نِهايةُ المَعْرفةِ

قراءات في سور القران

القراءة الثالثة

قراءة في آية

((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ))

سورة هود / آية 86 .

وهو بحث متعلق بمعرفة " بقية الله " في زماننا لعدم الضلال

إن كنا مؤمنين .

الشيخ محمد حسين الأنصاري

مؤسسة الشيخ الأنصاري

النجف الأشرف – قم المقدسة - سدني

نتاجات المهدي عليه السلام

الإهداء :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ

إلى الذي لولاهُ لَما كانَ "الكتاب" .

إلى سيدي ، ومولاي " بقيّةِ اللهِ " في أرضِهِ ، الحجةِ بنِ الحَسَنِ عجّلَ اللهُ لهُ الفَرَج .

أمينِ اللهِ في أرضِهِ ، وَ سمائـهِ ــ عليه وعلى آبائه أفضلُ التحياتِ ، والصلاةِ ، و السلام ــ .

فمِنهُ المبتدأ ، وَ بهِ المطلبُ ، وَ إليهِ يعودُ الكَلِمُ كلُّهُ ، راجياً منهُ القبول .

وَ في مقامك ، وحضرتك **يضيعُ التعرّفُ إلا بك ؛**

فأنا عبدك ، وَ ابنُ عبديك (عبدِ الغفارِ ، الصفيةِ نفسُهُ) محمّد حسين الأنصاري .

سدني / أستراليا

ذكرى ولادة السيدة زينب الكبرى عليها السلام / 1431 هج.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين

اللهم صل على محمد و آل محمد

كلمة لابد منها :

إن الكتابة في هذا الأمر الحساس لهو أمر صعب ، و خاصة هذه الأيام العصيبة التي يعتقد كثير من الناس أنها متاخمة لأيام الظهور ، أعاننا الله على كل صعب ، وسهّل اللهُ لوليه الفرج ، ومنَّ الله علينا فجعلنا من أنصاره وأعوانه ، ومن قوة سلطانه ، إنه مجيب الدعاء ، فعـَّال لما يشاء .

أقول هو أمر حساس لأنَّ هناك أشواكاً كثيرة :

منها : الإستعمار العالمي ، الذي يتربص بنا الدوائر ، وهاهو قابعٌ على صدورنا .

ومنها : علماء السوء من المسلمين ، الذين يؤجِّجون نار الحقد على الإسلام والمسلمين ، بفتاواهم التكفيرية ، وبأمرهم بحرق الحرث والنسل .

ولا يبعد عنهم : أولئك المتسلطون الذين حكموا البلاد بلا أي حق ، سوى المجئ بدبابة ثقيلة هجمت على القصر الذي كان مَن فيه متسلطاً بدبابة كانت قوية في وقتها ، فركبتها الشيخوخة ، فكل واحد منهم هو القائد الأوحد ، وهو الأمير المفدّى .

وهناك : الجهل الراكس فيه الكثير من مجتمعاتنا ، وهم الجهلاء الحقيقيون الذين لا يريدون أن يتعلموا ، فتراهم يصنعون من الإمّعة شيئاً عظيماً في خيالاتهم ، فيعبدونه ، فإذا أحبوا ماتوا في حبهم ، وإذا أبغضوا شدّوا إلى تجاوز الحدود ، فهم بين حالتين إما التفريط ، أو الإفراط .

وهذه الفئة أخطر من الإستعمار نفسه ، لأنها يده التي يضرب بها قلب المجتمعات .

يحركها حسب ما يشاء في خطط شيطانية ، ليضرب المُخلِصين ، ويقتل المخلـّصين ، ويجعل لهم أئمة كذب ودجل ، فكل يوم هناك إمام ، وكل يوم هناك نبي ، وربما كل يوم هناك إله .

وكنا نحسب أن هذا بعيد عن بلادنا العزيزة ، ولا يوجد إلا في مجاهل أفريقيا ، أو متاهات الهند ، إذ بلادنا كانت دوماً مركزاً للإشعاع الفكري ، حتى في العصور الوسطى التي كانت أوربا فيها تقبع في ظلام دامس .

ولكنها الحقيقة المرة التي جاءت من الظلم الذي كان قابعاً سنيناً طوالاً في هذه الأرض .

وهذا ما يمزق الجسد الواحد تمزيقاً ، فلا نستطيع قراراً .

وهنا لا يبعد : الجهل الراكب أكتاف الكثيرين من المثقفين الذين لا يعرفون أكثر مما أطلعوا عليه ، يريدون أن يتصيدوا في الماء العكر ، فيرون الملك ذا الرأس الخاوي ، فيزينونه أمام الهمج الرعاع ، ويصنعون منه القائد الضرورة ، وكأن الناس عبيد لأمّه .

فإذا قال قال بلده ، و إذا سكت القائد فلـيسكتِ الجميع .

وقول أحدهم يصف كلامه : " إن هو إلا وحيٌ يُوحى " ، على حد تعبير مَن يُحسن التعبير منهم ، مع علمه بجرائمه وما اقترف في حق البلاد والعباد ، شاهد صدق على ذلك . من أراد الإطلاع فعليه بأدبيات الثلث الأخير من القرن الماضي مثلاً ، ليجد صدق ما نقول .

المهم : إنَّ الأمد قد طال على بعضهم فقست قلوبهم ، فأصبحوا ، لايرحمون صغيراً ، ولا كبيراً ، خوفاً ، وطمعاً .

و أخذوا يصنعون لأميرهم " لباس الإمبراطور " الذي لا يُرى إلا في مخيلة هذا الأرعن ، والكل يُصفّق لهذا الزي العظيم .

و آخرون من جهة ثالثة : تثقفوا ، بثقافات مختلفة فضاع عليهم الأساس ، فأصبحوا يبنون في الهواء .

و أحد أمثلتهم مثقفونا في العالم الإسلامي ، أقولها ، ويعصرني الأسف .

فأصبحوا لا يعرفون المؤمن إلا الذي يكون على شاكلتهم ، وهذا بنفسه بلاءٌ مبين .

وليت هذا وحسب ، بل ظلّوا يحاربون مَن ليس على نهجهم ، بأنواع الحروب ، فيقتلونه بالتهويش التَّهْوِيشُ : التخليط . أنظر كتب اللغة منها : لسان العرب / مادة شوش ؛ و التَّشْوِيشُ والمُشَوَّشُ والتَّشَوُّشُ : كُلُّها لَحْنٌ ، ووهِمَ الجوهريُّ ، والصَّوابُ : التَّهْوِيشُ والمُهَوَّشُ والتَّهَوُّشُ . القاموس المحيط / مادة شاش . عليه كلاماً ، أو بالتهميش فعلاً ، قبل السيف ، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

و الأدهى من ذلك كله أن أكثرهم ممَّن يملك وسائل الإعلام الخاصة بنا ، والناطقة باسمنا .

وقد عالجت في هذا الكتاب عدة أمور أحسبني قد أصبت فيها ، فإن كان كذلك فلله الحمد والمنّة ، و إن كان غيره فلا بأس بإطلاعي على الخلل ، عسى أن أنتفع به ، ونتداركه قبل الفوات .

والنقد العلمي دلالة على الصحوة العلمية ، إذ فوق كل عالم عليم ، و العلماء مهما وصلوا بالعلم والمعرفة فيمكن أن يقعوا بارتباك ، أو غفلة ، إلا المعصوم عليه السلام ، فهو البوصلة ، وهو الميزان ، ولذا بقيَ الإجتهاد لدينا مفتوحاً .

فلا تنظر لِمَن قال ، ولكن أنظر لِما قد قيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على محمد و آل محمد

المقدمة :

بما أن البحث حول معرفة ما لابدَّ من معرفته .

وبما أنه مبني على معرفتين أساسيتين أحدهما هو قوام المعرفة الكلية ، وأعني بها معرفة الله تعالى ، والثاني معرفة الرسول ونبوته صلى الله عليه و آله ، لذا كان عنوان الكتاب نهاية المعرفة .

وهذا الكلام ينكشف في الدعاء الذي أُمرنا أن ندعوا به في زمن الغيبة :

((" اللهمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ،

اللهمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ،

اللهمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي .")) .

إذ كما يُلاحظ من الدعاء أن الطلب منصب على معرفة الله تعالى ، ولولاها لم يُعرف النبي ، المرتكز على تلك المعرفة معرفة الرسول ، المبني عليها معرفة الحجة ، ولولاها لكان الضلال عن الدين .

ومن هنا يتبين لنا أن معرفة الحجة هي نهاية المعرفة .

وبما أن الحجة لله تعالى في الكون هو بقية الأنبياء والمرسلين ، والأوصياء والمصطفين ، لذا هو بقية حجج الله في الأرض ، و كما أنه هو المكلف بناءاً على هذا ببيان شرائع الله تعالى بعد اندراسها وانطماسها ، لذا هو المبين لبقية شرائع الله تعالى الذي هو الإسلام ، فيظهره بعد خمول ذكره ، ويوضحه بعد اندراس معالمه ، ويجمع أمره بعد تشتته .

وقد اعترف القاصي والداني من أنه مهدي هذه الأمة ، من نسل رسول الله صلى الله عليه و آله ، من نسل علي وفاطمة عليهما السلام .

وهم أي محمد و آل محمد صلى الله عليه و آله (آل الله) كما سيتبين لك من مطاوي الحديث ، و مدى صحة تلك النسبة .

فهل يصح أن يُسمّى " بقية الله " ؟

مع العلم بأنها قد وردت في كتاب الله ، حيث قال نبي الله شعيب على نبينا و آله وعليه السلام لقومه : " بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين " .

فهل جاءت بكيفية تُصحح لنا هذا الإطلاق ، أم لا ؟

ومن هنا جاء البحث في هذا الكتاب بقسمين :

القسم الأول : بحث في معرفة ما تعني " بقية الله " في كتابه المُنزل على صدر نبيه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال الله تعالى :

((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)) .

القسم الثاني : بحث في دعاء الغَيْبة .

بالإضافة إلى بحث أمور أخر نتعرض لها في مطاوي الكلام تبين لنا مدى ارتباطهما معاً ، و مصداقية ذلك و صحتة ، ومدى ارتباط ذلك بنا .

عسى ألا نضلَّ عن ديننا ، لنكون من المؤمنين .

والله العاصم .

القسم الأول في فصل واحد :

قراءة في آية :

((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ))

(هود / 86) .

التفسير الأولى :

ما معنى " بقيت الله " ؟

و هل لله بقية ؟

قال أصحاب اللغة :

بَقِيَ : يَبْقَى بَقاءً وبَقَى بَقْياً ضِدُّ فَنِيَ .

وأبْقاهُ وبَقَّاهُ وتَبَقَّاهُ واسْتَبْقاهُ .

والاسمُ البَقْوَى كدَعْوَى ، ويُضَمُّ ، والبُقْيا بالضم ، والبَقِيَّةُ .

وقد تُوضَعُ الباقَيةُ موضِعَ المَصْدَرِ .

ومُبْقِيات : الخَيلِ التي يَبْقَى جَرْيُها بعدَ انْقِطاعِ جَرْي الخَيلِ .

واسْتَبْقاهُ : اسْتَحْياهُ ، ومن الشيءِ تَرَكَ بَعْضَه . أنظر القواميس اللغوية ومنها : القاموس المحيط / مادة بقي .

ولذا قال صاحب القاموس فيما قال :

و" بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ " أيْ طاعةُ اللهِ ، وانْتظارُ ثوابِهِ ، أو الحالَةُ الباقيةُ لَكُمْ من الخَيْرِ ، أو ما أبْقَى لَكُمْ من الحلالِ . القاموس المحيط / مادة بقي .

هذا ما قاله أصحاب اللغة ، فما قال أصحاب التفاسير ؟

إذا رجعنا إلى ما قبل هذه الآية المباركة من الآيات المتعلقة التي كانت سبباً لإيرادها هنا لرأينا أن الآيات كانت تبين ما مر به شعيب النبي على نبينا و آله وعليه السلام في مدينته التي بُعِث إليها ، إذ قال تعالى :

((وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (84)

ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (85)

بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ (86))) سورة هود .

المعنى :

((البقية : بمعنى الباقي .

والمراد به : الربح الحاصل للبائع ، وهو الذي يبقى له بعد تمام المعاملة ، فيضعه في سبيل حوائجه .

وذلك أن المبادلة وإن لم توضع بالقصد الأول على أساس الاسترباح ، وإنما كان الواحد منهم يقتني شيئاً من متاع الحياة ، فإذا كان يزيد على ما يحتاج إليه بدّل الزائد المستغنى عنه من متاع آخر ، يحتاج إليه ولا يملكه ، ثم أخذت نفس التجارة وتبديل الأمتعة من الأثمان حرفة ، يكتسب بها المال ، وتقتنى بها الثروة .

فأخذ الواحد منهم متاعاً من نوع واحد ، أو أنواع شتى وعرضه على أرباب الحاجة ، للمبادلة ، وأضاف إلى رأس ماله فيه شيئاً من الربح ، بإزاء عمله في الجمع والعرض .

ورضي بذلك الناس المشترون ، لما فيه من تسهيل أمر المبادلة عليهم .

فللتاجر في تجارته ربح مشروع ، يرتضيه المجتمع بحسب فطرتهم ، يقوّم معيشته ، ويحوّل إليه ثروة يقتنيها ، ويقيم بها صلب حياته .

فالمراد : أن الربح الذي هو بقيه إلهية هداكم الله إليه من طريق فطرتكم هو خير لكم من المال الذي تقتنونه من طريق التطفيف ، ونقص المكيال والميزان ، إن كنتم مؤمنين ، فإن المؤمن إنما ينتفع من المال بالمشروع ، الذي ساقه الله إليه من طريق حله ، وأما غير ذلك مما لا

يرتضيه الله ، ولا يرتضيه الناس بحسب فطرتهم فلا خير له فيه ، ولا حاجة له إليه .)) . الميزان في تفسير القرآن/ الطباطبائي (ت 1401هـ) .

وقد حصرها صاحب جامع البيان في تفسير القران كذلك في ذلك ، فقال :

((يعني تعالى ذكره بقوله : { بَقِيَّة اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ } : ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم ، بالمكيال و الميزان بالقسط ، فأحله لكم خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم ، بالمكيال والميزان .)) .

ثم قال : ((وقد اختلف أهل التأويل في ذلك)) ، ثم أورد الأقوال المختلفة التي مرت بسنده إليها ، بعدها قال : ((وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته ، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان .

وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخير عمّا لهم من الحظّ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى .

مع أن قوله :{ بَقِيَّةُ } إنما هي مصدر من قول القائل بَقيْتُ بَقِيَّة من كذا ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى : بقية الله التي أبقاها لكم ، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم ، من ظلمكم الناس ببخسكم إيّاهم في الكيل والوزن .)) . تفسير جامع البيان في تفسير القرآن / الطبري (ت 310 هـ) .

وحتى الطبرسي صاحب مجمع البيان لم يبعد عن هذا البيان أولاً ، إذ قال :

(({ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين } البقية بمعنى الباقي ، أي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير من البخس ، والتطفيف .)) . مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت 548 هـ) .

و أضاف ابن كثير لما مر :

((و قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : "الهلاك" في العذاب ، و " البقية " في الرحمة .

وقال أبو جعفر بن جرير : " بقية الله خير لكم " (أي : ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل

والميزان) خير لكم ، (أي : من أخذ أموال الناس قال : وقد روي هذا عن ابن عباس .)) . تفسير ابن كثير / اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / ج4 / في تفسير هذه الآيات / دار طيبة / 2002م .

ولذا قال الخازن في تفسيره : ((قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف .)) . لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي / في تفسير هذه الآيات المباركة / ج 3 / ص 476 .

((والإضافة إلى الله للإشارة إلى أنّ المعطي هو الله ، وأنّ المكاسب وسائل إعطاء الله ، ستراً على إعطائه ، لئلاّ ينصرفوا عن المكاسب .)) . تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن 14 هـ) .

وهو على ما أفادت الكلمات القرانية في هذه القضية بالخصوص ، وهي قضية شعيب النبي ، وقومه قوم مدين .

ولا يمكن أن يقتصر المعنى على ذلك ، لأن ظاهره أنه جاء على شكل قاعدة ، إذا صح التعبير . وهو كثير موارده في القران الكريم .

ومثاله حتى لا نستوحش من المعاني التي نصل إليها باعتبار المقدمات المسلمة ، على الطريقة التي جرى عليها القران الكريم في كثير من الموارد :

قوله تعالى : ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

التوسع في المعنى : المرحلة الأولى ما بعد التفسير :

ونبدأ بها مارين بتفسير قوله تعالى :

((إنّ الصفا والمروة مِن شعائر الله ..)) البقرة 158.

ذكر العلامة القرطبي تسع مسائل ، في الثالثة منها قال :

((قوله تعالى: { مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ } أي من معالمه ومواضع عباداته ؛ وهي جمع شعيرة .

والشعائر : المتعبّدات التي أشعرها الله تعالى ؛ أي جعلها أعلاما للناس ، من الموقف والسَّعْي والنّحر .

والشِّعار : العلامة ؛ يُقال : أشعر الهَدْيَ أعلَمَه ، بغرز حديدة في سَنَامه ؛ من قولك : أشعرت أي أعلمت ، وقال الكُميت

نُقتِّلهم جِيلاً فجيلاً تَرَاهُمُ شعائِرَ قُرْبَانٍ بهم يُتقرَّبُ

تفسير الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي (ت 671 هـ(/ في تفسير الاية ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

وقد قال في تفسير آية ((ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)) بعد أن قال فيه سبع مسائل :

(الثانية : قوله تعالى : { وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللَّهِ } الشعائر جمع شَعيرة ، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعَر به وأعلم ؛ ومنه شِعار القوم في الحرب ؛ أي علامتهم التي يتعارفون بها.

ومنه إشعار البَدَنة وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم فيكون علامة ، فهي تسمى شعِيرة بمعنى المشعورة .

فشعائر الله أعلام دينه ، لا سيما ما يتعلق بالمناسك .

وقال قوم : المراد هنا تسمين البُدْن والاهتمام بأمرها والمغالاة بها ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة .

وفيه إشارة لطيفة ، وذلك أن أصل شراء البُدْن ربما يحمل على فعل ما لا بدّ منه ، فلا يدل على الإخلاص ، فإذا عظَّمها مع حصول الإجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع ، وهو من تقوى القلوب . والله أعلم .)) .

وقال الرازي في تفسيره : ((و في الآية مسائل ...)) ، وذكر في المسألة الثانية :

((وأما { شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ } فهي أعلام طاعته ، وكل شيء جعل علماً من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله .

قال الله تعالى :

{ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُمْ مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ } الحج: 36. أي علامة للقربة .

وقال : { ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ } الحج / 32 .

وشعائر الحج : معالم نسكه ، ومنه المشعر الحرام .

ومنه إشعار السنام : وهو أن يعلم بالمدية فيكون ذلك علماً على إحرام صاحبها ، وعلى أنه قد جعله هدياً لبيت الله .

ومنه الشعائر في الحرب ، وهو العلامة التي يتبين بها إحدى الفئتين من الأخرى .

والشعائر جمع شعيرة ، وهو مأخوذ من الإشعار الذي هو الإعلام ، ومنه قولك : شعرت بكذا ، أي علمت .

المسألة الثالثة : الشعائر إما أن نحملها على العبادات أو على النسك ، أو نحملها على مواضع العبادات والنسك .

فإن قلنا بالأول حصل في الكلام حذف ، لأن نفس الجبلين لا يصح وصفهما بأنهما دين ونسك ، فالمراد به أن الطواف بينهما والسعي من دين الله تعالى .

وإن قلنا بالثاني استقام ظاهر الكلام ، لأن هذين الجبلين يمكن أن يكونا موضعين للعبادات والمناسك .

وكيف كان فالسعي بين هذين الجبلين من شعائر الله ومن أعلام دينه ، وقد شرعه الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولإبراهيم عليه السلام قبل ذلك ، وهو من المناسك الذي حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال :

{ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا } . البقرة: 128 .)) . تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت 606 هـ / (الاية ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

وقال الشيخ الطوسي : ((والشعائر : المعالم للاعمال ، فشعائر الله : معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة ، وهي أعلام متعبداته من موقف ، أو مسعى ، أو منحر ، وهو مأخوذ من شعرت به : أي علمت ، وكل معلم لعبادة من دعاء ، أو صلاة ، أو اداء فريضة ، فهو مشعر لتلك العبادة .

وواحد الشعائر شعيرة ، فشعائر الله أعلام متعبداته)) وأورد بيت الكميت المذكور . تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن / الطوسي (ت 460 هـ) / في تفسير الاية ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

وقال العلامة الآلوسي : ((و ـ الشعائر ـ جمع شعيرة ، أو شعارة ـ وهي العلامة ـ والمراد بهما أعلام المتعبدات أو العبادات الحجية .

وقيل : المعنى إن الطواف بين هذين الجبلين من علامات دين الله تعالى ، أو أنهما من المواضع التي يقام فيها دينه ، أو من علاماته التي تعبد بالسعي بينهما لا من علامات الجاهلية .)) . تفسير روح المعاني/ الالوسي (ت 1270 هـ) / في تفسير الاية ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

وقال صاحب التحرير والتنوير : ((والشعائر جمع شعيرة بفتح الشين ، وشِعارة بكسر الشين بمعنى العلامة ، مشتق من شعر إذا علم وفطن .

وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، أي معلّم بها ، ومنه قولهم : أشعر البعير إذا جعل له سمة في سنامه بأنه معد للهدي .

فالشعائر ما جعل علامة على أداء عمل من عمل الحج والعمرة ، وهي المواضع المعظمة ، مثل المواقيت التي يقع عندها الإحرام ، ومنها الكعبة ، والمسجد الحرام والمقام ، والصفا والمروة ، وعرفة ، والمشعر الحرام بمزدلفة ومنى والجمار .

ومعنى وصف الصفا والمروة بأنهما من شعائر الله أن الله جعلهما علامتين على مكان عبادة ، كتسمية مواقيت الحج مواقيت ، فوصفهما بذلك تصريح بأن السعي بينهما عبادة ، إذ لا تتعلق بهما عبادة جُعلا علامة عليها غير السعي بينهما . وإضافتهما إلى الله لأنهما علامتان على عبادته ، أو لأنه جعلهما كذلك .)) . تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور (ت 1393 هـ(/ في تفسير الاية ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

فانظر تر صدق ما نقول فقد جاءت الشعائر في مورد معين ، لكنّ المفسرين بيّنوا عموميتها ، حتى شملت لا خصوص مناسك الحج و التي نزلت في أعمال خاصة فيه بل غيرها .

كما مر عليك قول الرازي : ((وأما { شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ } فهي أعلام طاعته ، وكل شيء جُعل علماً من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله .)) .

وقول الطوسي : ((وكل معلم لعبادة من دعاء ، أو صلاة ، أو اداء فريضة ، فهو مشعر لتلك العبادة ، وواحد الشعائر شعيرة ، فشعائر الله أعلام متعبداته)) .

وما قاله القرطبي : ((فشعائر الله أعلام دينه ، لا سيما ما يتعلق بالمناسك .)) .

فإذاً من واقعة واحدة استطاعوا أن يفهموا ما أراد الباري في كتابه من معنى أوسع من المورد الذي جاء فيه اللفظ .

وهذا من أسرار وبلاغة وقوة اللغة العربية ومطاطيتها .

ولذا قلنا من أن مجالس ومواكب الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام من شعائر الله .

المرحلة الثانية بعد التفسير : شواهد على هذا الإستعمال القرانى :

والقران لا يخلو من موارد كثيرة أخر لها هذا المؤدى ، منها :

قوله تعالى : **((قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث))** المائدة 100 .

وبما أن الخبيث يشمل كل ما يكره بسبب خساسته وحقارته ورداءته ، معنوياً كان أو مادياً ، فيشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات جميعاً ، وكذلك ضده الطيِّب يشمل كل ذلك عموماً .

قال سيد قطب في تفسيره : ((إن المناسبة الحاضرة لذكر الخبيث والطيب في هذا السياق ، هي مناسبة تفصيل الحرام والحلال في الصيد والطعام . والحرام خبيث ، والحلال طيب ... ولا يستوي الخبيث والطيب ولو كانت كثرة الخبيث تغر وتعجب .

ففي الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف ، وبلا عقابيل من ألم أو مرض ... وما في الخبيث من لذة إلا وفي الطيب مثلها ، على اعتدال وأمن من العاقبة في الدنيا والآخرة .

والعقل حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له ورقابة القلب له ، يختار الطيب على الخبيث ؛ فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة : { فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون } .

هذه هي المناسبة الحاضرة . . ولكن النص - بعد ذلك - أفسح مدى وأبعد أفقاً . وهو يشمل الحياة جمعياً ، ويصدق في مواضع شتى .)) . في ظلال القران / ج2 / في تفسير آية المائدة .

وقد قال ابن عجيبة في تفسيره : ((يقول الحقّ جلّ جلاله : { قل لا يستوي الخبيث والطيب } عند الله ، في القلوب والأحوال ، والأعمال والأموال ، والأشخاص ، فالطيب من ذلك كله مقبول محبوب ، والرديء مردود ممقوت...)) . تفسير آية ((قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)) المائدة 100 .

وقال أبو السعود في تفسير نفس الآية : ((قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها ، قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديئها ، وإن كان سبب النزول شريح بن ضبة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى "يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله"... الخ ، وقيل نزل

في رجل سأل رسول الله إن الخمر كانت تجارتي وإني اعتقدت من بيعها مالا ، فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال النبي (ص) : إن أنفقته في حج أو جهاد ، أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة ، إن الله لا يقبل إلا الطيب .)) . تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي أبو السعود / ج3 / ص83 / دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وقال الثعالبي في تفسيره :

((وقوله تعالى : " قل لا يستوي الخبيث والطيب " الآية ، لفظ عام في جميع الأمور فيتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها ، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة ، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة . وينظر إلى هذه الآية قوله تعالى " والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا " والخبث هو الفساد الباطن في الأشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك .)) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / ج1 / 491 / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت . بل ((أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في الآية قال : الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون .)) . الدر المنثور / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي / ج3 / ص204 / دار الفكر - بيروت ، 1993 .

ومن ذلك نعلم معنى قوله تعالى كذلك :

((ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ويجعله في جهنم)) الأنفال 37 .

ولولا هذه الطريقة لحكمنا على كثير من النصوص في لغة العرب بالموت ، والضمور ، ولو كان كذلك لتوقف الإستنباط ، ولما بقي القران حياً .

ومن هنا ندرك معاني قوله تعالى : ((ولا تنسوا الفضل بينكم)) ،

وقوله تعالى : ((وقد خاب من افترى)) ،

وقوله سبحانه : ((ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله)) ،

وقوله عز من قائل : ((وما على المحسنين من سبيل)) .

وحتى مثل قوله تعالى : ((وأتوا البيوت من أبوابها)) ،

أو قوله تعالى : ((وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ..)) التي نزلت في وقائع خاصة وأمور معينة .

وكما كررنا وقلنا إن مثل ذلك في القران كثير .

العودة إلى " البقية " :

لذا ترى ما في قول الثعالبي في إشكاله على قول مجاهد : ((وقوله " بقيت الله خير لكم " قال ابن عباس معناه الذي يبقي الله لكم من أموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكثرون به على غير وجهه ، وهذا تفسير يليق بلفظ الآية .

وقال مجاهد معناه طاعة الله ، وهذا لا يعطيه لفظ الآية .)) . الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / ج2 / ص 214 / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .

و قد أخرج ما قاله مجاهد السيوطيُّ في درِّ منثورهِ ، حيث قال : ((وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { بقية الله } يقول : طاعة الله .)) . تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / السيوطي ، (ت 911 هـ) .

فهل هذا هو كل شئ ؟

لو راجعنا بعض التفاسير الأخر لرأينا أن الأمر سيتجاوز ذلك إلى أقوال أخر غير التي مرت ، فَـهِـمَـها أقوامٌ آخرون .

((أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله { بقية الله } قال : رزق الله .

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن قتادة في قوله { بقية الله خير لكم } يقول : حظكم من ربكم خير لكم .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { بقية الله } يقول : طاعة الله .

وأخرج أبو الشيخ عن الربيع رضي الله عنه في قوله { بقية الله } قال : وصية الله { خير لكم } .

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن رضي الله عنه في قوله { بقية الله } قال: رزق الله خير لكم من بخسكم الناس .)) . تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / السيوطي (ت 911 هـ) .

أقول :

ألا ترى من كل ما تقدم أنه لا يصح أن نقول بقية الله إلا بتقدير محذوف ؟

ولهذا ذهب المفسرون مذاهب شتى في التقدير ، فهذا ذهب إلى أن المحذوف هو الطاعة وهذا إلى انْتظار ثوابِهِ ، أو إلى الحالَة الباقية لَكُمْ من الخَيْرِ ، أو إلى ما أبْقَى لَكُمْ من الحلالِ ، وذاك سماه بالربح وهكذا .

((وقيل : بقية الله يعني ما أبقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام)) . لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي / في تفسير هذه الآيات المباركة / ج 3 / ص 476 .

وهذا ما نقله البغوي عن ابن عباس ومجاهد . أنظر تفسير معالم التنزيل / البغوي (ت 516 هـ .

والقرطبي أضاف : ((وقال الفراء : مراقبة الله . ابن زيد : رحمة الله .)) . تفسير القرطبي / الجامع لأحكام القران / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / ج9 / في تفسير هذه الآية / دار الفكر.

وقد حصرها ابن الجوزي بثمانية أقوال ، حيث قال :

((قوله تعالى : { بقيَّةُ الله خير لكم } فيه ثمانية أقوال :

أحدها : ما أبقي الله لكم الحلال ، بعد إيفاء الكيل والوزن خير من البخس ، قاله ابن عباس .

والثاني : رزق الله خير لكم ، رويَ عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال سفيان .

والثالث : طاعة الله خير لكم ، قاله مجاهد ، والزجاج .

والرابع: حظُّكم من الله خير لكم ، قاله قتادة .

والخامس: رحمة الله خير لكم ، قاله ابن زيد .

والسادس: وصية الله خير لكم ، قاله الربيع .

والسابع : ثواب الله في الآخرة خير لكم ، قاله مقاتل .

والثامن : مراقبة الله خير لكم ، ذكره الفراء .

وقرأ الحسن البصري : « تقية الله خير لكم » بالتاء .

قوله تعالى: { إن كنتم مؤمنين } شرطَ الإيمان في كونه خيراً لهم، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عز وجل ، عرفوا صحة ما يقول .

وفي قوله: { وما أنا عليكم بحفيظ } ثلاثة أقوال :

أحدها : ما أُمِرْتُ بقتالكم وإكراهكم على الإيمان .

والثاني : ما أُمرتُ بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا.

والثالث : ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم .)) . تفسير زاد المسير في علم التفسير/ ابن الجوزي (ت 597 هـ).

و إن كان الرازي قد قال : ((ثم قال تعالى : { وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } ، وفيه وجهان :

الأول : أن يكون المعنى إني نصحتكم ، وأرشدتكم إلى الخير { وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ }، أي لا قدرة لي على منعكم عن هذا العمل القبيح .

الثاني : أنه قد أشار فيما تقدم إلى أن الاشتغال بالبخس والتطفيف يوجب زوال نعمة الله تعالى ، فقال: { وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } ، يعني لو لم تتركوا هذا العمل القبيح لزالت نعم الله عنكم ، وأنا لا أقدر على حفظها عليكم في تلك الحالة .)) . تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت 606 هـ) .

وقال الزمخشري : ((وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم ، وأجازيكم عليها ، وإنما بعثت مبلغاً ، ومنبهاً على الخير وناصحاً ، وقد أعذرت حين أنذرت .)) . تفسير الكشاف / الزمخشري (ت 538 هـ) .

بعد أن بيّن معنى البقية بقوله :

((بَقِيَّتُ ٱللَّهِ { ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم

{ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } بشرط أن تؤمنوا ، وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس ، والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان .

فإن قلت :

بقية الله خير للكفرة ، لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف ، فلِمَ شرط الإيمان ؟

قلت : لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ، وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر ، وفي ذلك استعظام للإيمان ، وتنبيه على جلالة شأنه .

ويجوز أن يراد : إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم .

ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم ، كقوله : ((وَٱلْبَـٰقِيَاتُ ٱلصَّـٰلِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ)) الكهف / 46 .

بعد أن قال ذلك قال : ((وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه ، وأمّا الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقاً .

وإذا أريد به الطاعة فكما تقول : طاعة الله .

وقرىء : « تقية الله » بالتاء ، وهي تقواه ، ومراقبته التي تصرف عن المعاصي ، والقبائح .

{ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها ، وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً ، وقد أعذرت حين أنذرت .)) . المصدر السابق .

((وشرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس .

وقيل : معناه إبقاء الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف ، عن ابن جبير .

وقيل : معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا ، لأنها يبقى ثوابها أبداً ، والدنيا تفنى ، عن الحسن ومجاهد ، ويؤيده قولـه :

{ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً } الكهف / آية 46 . .

وقيل : بقية الله رزق الله عن الثوري .)) . مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت 548 هـ) .

و قال صاحب بيان السعادة : (({ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } قيّد ذلك بالايمان لأنّ بقيّة الله لغير المؤمن نقمة وعذاب .

أو هو شرط تهييجيّ لأنّهم كانوا مدّعين أنّهم مؤمنون بالله ، وأصنامهم شفعاؤهم عند الله .)) .

تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن 14 هـ) .

وهو أحسن ما رأيت من توجيه لقوله تعالى " إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " ، إذ جلّ التفاسير ، إن لم يكن كلها قالت : ((شرطَ الإيمان في كونه خيراً لهم ، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عزّ وجلّ ، عرفوا صحة ما يقول .)) . أنظر التفاسير والعبارة لتفسير زاد المسير في علم التفسير / إبن الجوزي (ت 597 هـ) .

و لكنهم غير مؤمنين ، فكيف صحَّ توجيه الخطاب إليهم ؟

لأنهم حينئذٍ أي وقت الخطاب لا يفهمون ذلك بل لا يعقلونه .

بينما المعنيان الذين قدمهما الجنابذي ، له أثره الكبير في تقبُّل دعواه .

المرحلة الثانية ما بعد التفسير :

وهل يُكتفى بما ذكر هؤلاء ؟

طبعاً لا ، لأن المتدبر ربما يستطيع أن يستخرج دراً أخر من هذه الجمل ، إذ مِن كل ما تقدم نجد أن كل تقدير يصلح معه الكلام لابد وأن يكون صحيحاً .

ولو أردنا أن نتدبر أكثر ، ونغوص في المعنى أعمق لتسائلنا :

لِمَ أضاف الله سبحانه في كتابه على لسان نبيه شعيب لفظ البقية للفظ الجلالة ، فقال تعالى : " بقية الله " ؟

يقول الفخر الرازي : ((وأقول المراد من هذه البقية : إما المال الذي يبقى عليه في الدنيا ، وإما ثواب الله ، وأما كونه تعالى راضياً عنه ، والكل خير من قدر التطفيف :

أما المال الباقي فلأن الناس إذا عرفوا إنساناً بالصدق والأمانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه فيفتح عليه باب الرزق ، وإذا عرفوه بالخيانة والمكر انصرفوا عنه ولم يخالطوه ألبتة فتضيق أبواب الرزق عليه .

وأما إن حملنا هذه البقية على الثواب فالأمر ظاهر ، لأن كل الدنيا تفنى وتنقرض وثواب الله باق .

وأما إن حملناه على حصول رضا الله تعالى فالأمر فيه ظاهر .

فثبت بهذا البرهان أن بقية الله خير .)) . تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت 606 هـ) .

ولم يتوسع أكثر مع أن ديدنه التوسع في مثلها ، وهو قد تلمس سعة هذا القول ، و شموليته ، ولكنه توقف بحدود المال .

وسيأتي بقية كلام فانتظر .

قال صاحب تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن :

قوله تعالى { بَقِيَّةُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } بقية الله ، وقربته ، ووصاله ، وما ادخر لأوليائه من الكرامات السنية ، والدرجات الرفيعة ، قال بعضهم ما ادّخر الله لكم من كراماته خير مما تسألونه فيه .)) . تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن / البقلي (ت 404 هـ) .

وقال ابن عربي : (({ بقية الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين } أي : إن كنتم مصدّقين ببقاء شيء ، فما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية ، والمقتنيات العقلية ، والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية ، التي تشقون بها ، وتشقون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها ، ثم تتركونها بالموت ، ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات ، والعذاب اللازم ، لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات .)) . تفسير تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ) .

فإذاً هنا ظهر لنا (فما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية والمقتنيات العقلية ، والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي تشقون بها وتشقون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها ، ثم تتركونها بالموت ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات ، والعذاب اللازم لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات .) .

وقد قال العلامة الجنابذي كما مر عليك : ((والإضافة إلى الله للإشارة إلى أنّ المعطي هو الله ، وأنّ المكاسب وسائل اعطاء الله ستراً على اعطائه لئلاّ ينصرفوا عن المكاسب .)) . تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن 14 هـ) .

وبعدها قال : ((أو بقيّة الله من الفطرة الإلهيّة واللّطفيّة السّيّارة الانسانيّة والعقل وجنوده بعد احاطة النّفس وشهواتها والشّيطان واغوائه والجهل وجنوده بمملكتكم خير لكم من قضاء الشّهوات والآمال الّتى زيّنها الشّيطان .)) . المصدر نفسه .

فهنا نرى أن المعاني بدأت تتوسع .

وهذا التعامل مع هذه النصوص ديدن العلماء والمفسرين ، إذ لا يقفون عند حد معنى الآية الظاهر من السياق ويجمدون عليه لو ساعد على ذلك التدبر في الآية المباركة .

لذا قلنا لو أضاف الفخر الرازي على دائرة المال دوائر أخر لأنصف أي إنصاف .

ونحن نضيف ما لعله لو رآه لأقره ، بعد أن مر علينا ما ذكره ابن عربي والبقلي :

المراد من هذه البقية أما ما يتعلق بنفس الموضوع المالي ، فهو كما ذكر .

و إن كان المراد الأوسع من ذلك فليس الحصر واف .

وذلك لأنّ أي بقية يمكن أن تضاف إلى الله ، ومرتبطة بالمبلَّغ به ــ وهو الذي ركّز عليه المفسرون ، فضاع كثير من المطلب ــ و المبلَّغ ــ وهو ما ذكره قليل منهم ــ والمبلِّغ ــ وهو ما فات جلَّهم إن لم يكن كلهم ، ما عدا مَن ذكرنا ــ فهي خير .

فإذا صحت في المال وفي الإنسان الذي عرفه الناس (بالصدق والأمانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه فيفتح عليه باب الرزق) على حد قوله ، فلماذا النظر انصب على المعاملات المالية فقط ، لماذا لا نتوسع فنقول :

(فلأن الناس إذا عرفوا إنساناً بالصدق والأمانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه) المالية ، كما ذكروا ، وغيرها كما لم يذكروا ، فيفتح الله الخير عليه وعليهم .

إذا صح ذاك فليصح هذا ، وهو صحيح .

والشئ يكرم بما أضيف إليه : ولذا تقول بيت الله وجنة الله ، ولا تقصد أنه البيت الذي يسكن فيه الله سبحانه وتعالى .

بل تكريماً له وتعظيماً إذ فيه يُذكر الله تعالى أكثر من غيره ، فصحت نسبته إليه .

وهكذا عندما نقول عبد الله .

فإذا صحت تسمية المال بالبقية ، وأضيفت إليه ، فلم لا يصح أن تطلق على من أخلص لله وجهه ، فكان عبداً لله حقيقياً ، باعتبار أنه بقية أنبياء الله ورسله ، فهو بقية شرائعه ، فهو بقية دين الله ؟

خاصة و إن (البقية : تركة شيء من شيء قد مضى ، والمعنى بقية الله من نعمه .). تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن / الطوسي (ت 460 هـ) .

و إذا كانت البقية بمعنى الطاعة كما قال الإمام الطبراني ((. ويقالُ : أراد بالبقيَّة طاعةَ الله ، فإنَّها هي التي يبقَى ثوابُها.)) . التفسير الكبير / للإمام الطبراني (ت 360 هـ) .

فالطاعة خير لنفس المطيع ، وأما المطيع الخالص فلنفسه هو خير وللناس .

قال تعالى على لسان يوسف الصديق على نبينا وآله وعليه السلام مخاطباً صاحبي سجنه ((ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس))

فعدم شركهم بالله من شئ فضله عميم ، عليهم بالخصوص كأنبياء ، وعلى الناس بالعموم كمتبعين ، فتأمل جيداً فيه .

وخاصة إذا لاحظنا أن : ((لفظ (بقية) كلمة جامعة لمعان في كلام العرب ، منها : الدوام ، ومؤذنة بضده وهو الزوال .....)) . أنظر تفسير التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور / دار سحنون / ج13 / ص 140-141 .

((على أن لفظ البقية يتحمل معنى آخر من الفضل في كلام العرب ، وهو معنى الخير والبركة لأنه لا يبقى إلا ما يحتفظ به أصحابه وهو النفائس ، ولذلك أطلقت البقية على الشيء النفيس المبارك كما في قوله تعالى : ((فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى و آل هرون)) ، وقوله ((فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض))

وقال عمرو بن معدي كرب أو رويشد الطائي :

إن تذنبوا ثم تأتيني بقيتُكـمْ فما عليَّ بذنبٍ منكم فوتُ

قال المرزوقي : المعنى ثم يأتيني خياركم وأماثلكم يقيمون المعذرة ، وهذا كما يقال : فلان من بقية أهل ، أي من أفاضلهم .

وفي كلمة البقية معنى آخر وهو الإبقاء عليهم ، والعرب يقولون عند طلب الكف عن القتال : ابقوا علينا ، ويقولون " البقية البقية " بالنصب على الإغراء ، قال الأعشى :

قالوا البقية ـ والهنديُّ يحصدهم ـ ـ ولا بقية إلا الثار – وانكشفوا

وقال مسور بن زيادة الحارثي :

أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

والمعنى إبقاء الله عليكم ونجاتكم من عذاب الاستئصال خير لكم من هذه الأعراض العاجلة السيئة العاقبة ، فيكون تعريضا بوعيد الاستئصال .)) .

((وكل هذه المعاني صالحة هنا . ولعل كلام شعيب - عليه السلام - قد اشتمل على جميعها فحكاه القرآن بهذه الكلمة الجامعة .)) . المصدر السابق نفسه .

ثم قال : ((وإضافة (بقية) إلى اسم الجلالة على المعاني كلها جمعاً وتفريقاً إضافة تشريف وتيمن .

وهي إضافة على معنى اللام ، لأن البقية من فضله أو مما أمر به .)) . المصدر السابق نفسه .

وبناءاً على هذا يصح التوسعة بالمعنى ، بل تكون حينئذٍ إشارته واضحة ، ولذا قال العلامة الجنابذي في تفسيره : ((او بقيّة الله من خلفائه فى أرضه الدّاعين لكم إليه خير لكم من رؤسائكم فى ضلالتكم ، وكان هذا القول منه تلويحاً الى نفسه .)) . تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن 14 هـ) .

ومن هنا ظهر معنى أدق و أرقى تجاوز الحدود اللفظية إلى المعاني العلوية ، وظهرت بعض بطون الآية المباركة .

خاصة أن أهل البيت عليهم السلام قد بينوه في كلامهم ، فكان الشاهد من عدل القران ، ومن ترجمانه ، وبه يتم البيان ، ويكتمل البنيان .

قال المجلسي عليه الرحمة : ((فسَّر اكثر المفسرين " بقية الله " بما أبقاه الله لهم من الحلال بعد التنزه عما حرَّم عليهم من تطفيف المكيال والميزان ،

أو ابقاء الله نعمته عليهم ،

أو ثواب الاخرة الباقية ،

وأما الخبر فالمراد به من إبقاء في الأرض من الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام لهداية الخلق ، أو الأوصياء والأئمة الذين هم بقايا الأنبياء في أممهم .)) . البحار / ج 24 / باب 56 / أنهم عليهم السلام حزب الله وبقيته ..../ ص 211-212 .....

وقد قال العلامة السيد عبد الله شبر في معرض شرحه للزيارة الجامعة التي وردت فيها هذه الكلمة الطيبة (("وبقية الله " : أي بقية خلفاء الله ، و حججه في الأرض ، من الأنبياء ، و الأوصياء ، ولعله إشارة إلى قوله تعالى : (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) .

وتأتي البقية بمعنى الرحمة ، أي هم رحمة الله ، التي منَّ بها على عباده .

ويحتمل ان يكون المعنى : الذين بهم أبقى الله عليه العباد ، و رحمهم ، فالحمل للمبالغة ، فيكون إشارة إلى قوله تعالى : " أولو بقية " ، وقيل : أي أولو تمييز وطاعة .

في فلان بقية : أي فضل مما يمدح به .)) . الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة / السيد عبد الله شبر / ص103 / مؤسسة الوفاء ، بيروت .

كما قال العلامة المجلسي رحمه الله تعالى قبل ذلك إن هذه الآية المباركة نزلت في أهل البيت عليهم السلام ، وعنون عنواناً في كتابه :

قوله تعالى (بقية الله خير لكم) نزلت فيهم . البحار / ج 24 / باب 56 / أنهم عليهم السلام حزب الله وبقيته ..../ ص 211-212 .....

ولذا ورد ((في حديث ولادة الرضا عليه السلام أن الكاظم عليه السلام أعطاه أمه نجمة ، وقال : " خذيه فإنه بقية الله في أرضه " .)) . المصدر السابق .

وعن محمد بن العباس عن علي بن محمد الجعفي ، عن أحمد بن القاسم الأكفاني ، عن علي بن محمد بن مروان ، عن أبيه ، عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس قال :

خرج علينا علي بن أبي طالب عليهم السلام ونحن في المسجد فاحتوشناه ، فقال :

" سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن القرآن ، فإنَّ في القرآن علمَ الاولين والآخرين ، لم يدع لقائل مقالا ، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم : وليسوا بواحد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان واحداً منهم ، علَّمه الله سبحانه إياه ، وعلمنيهِ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم لا يزال في عقبه إلى يوم تقوم الساعة " .

ثم قرأ : ((وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة)) .

فأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة ، والعلم في عقبنا إلى أن تقوم الساعة .

ثم قرأ : (و جعلها كلمة باقية في عقبه)) .

ثم قال : كان رسول الله عقب إبراهيم ، ونحن أهل البيت عقب إبراهيم ، وعقب محمد صلى الله عليه وآله .)) . كنز الفوائد / 290 . البحار / ج 24 / باب 56 / أنهم عليهم السلام حزب الله وبقيته ..../ ص 211-212 ...

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أنه صعد جبلاً يشرف على أهل مدين حين أغلق دونه باب مدين ، ومنع أن يخرج إليه بالأسواق ، فخاطبهم بأعلى صوته يا أهل المدينة الظالم أهلها : " أنا بقيّة الله ، يقول الله " بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ " .

قال وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال لهم يا قوم هذه والله دعوة شعيب النبي عليه السلام ، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذنّ من فوقكم ومن تحت أرجلكم الحديث .)) . تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي / الفيض الكاشاني (ت 1090 هـ) .

وقد جاء في تفسير فرات وقد أورده الشيخ المجلسي عنه :

47 - فر: فرات بن إبراهيم الكوفي رحمة الله عليه معنعنا عن زيد بن علي عليه السلام في قوله تعالى : (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض) والاية في هود: 116 إلى آخر الآية ، قال : يخرج الطائفة منا ومثلنا كمن كان قبلنا من القرون ، فمنهم من يُقتل ، وتبقى منهم بقية ، ليحيوا ذلك الأمر يوماً ما .)) . تفسير فرات : 63../ عنه البحار / ج24 / ص 329 .

ومن هنا اختص هذا اللقب بالإمام الثاني عشر عليه السلام ، على اعتبار أنه بقية الرسالة ، و بقية آل الله في الأرض .

آل الله :

المراد من آل الله هو محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما هو بيّن . و إن كانت ربما تطلق على قريش من قبل .

ففي العلامات التي ظهرت عند ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان قد أوردها الشيخ المجلسي في بحاره قال : ((عظمت قريش في العرب ، وسموا آل الله عزوجل .)) . نفس المصدر / ج 15 / ص 258 .

((و كانت قُريش تُسَمَّى " آلَ اللهّ " ، و " جِيران اللّه " ، و " سكّان حرم اللهّ " . وفي ذلك يقول عبدُ المطلب بن هاشم :

نحن آل الله في ذِمَّتِهِ لم نَزَلْ فيها على عَهْدٍ قَدُمْ
إنَّ للبيتِ لَـرَبًّا مانِعاً مَن يُرِدْ فيه بإثْم يُخْتَرَم
لم تَزَلْ للّه فينا حُرْمة يَدْفَعُ اللهُ بها عَنَّا النِّقَم)) .

العقد الفريد / ج1 / كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب / أصل قريش .

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : " إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام . " .

البحار / ج 15 / ص 258 .

و ((قال في جلاء الأفهام : قال أصحاب القول الثاني : والتزمت العرب إضافته ـ أي لفظ الآل ـ فلا يستعمل مفرداً إلا نادراً كقول الشاعر :

نحن آل الله في بلدتنا لم نزل آلاً على عهد إرم))

غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب / محمد بن أحمد بن سالم السفاريني / مؤسسة قرطبة / سنة النشر 1414هـ / 1993م / ط2 / ج1 / ص 27 .

والعجيب من أمر صاحب جلاء القلوب لماذا لا يقول قال عبد المطلب ، وهو بيت مشهور له ، أنشأه عبد المطلب عليه السلام جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما صمم إبرهه على مهاجمة الكعبة المشرفة ، في جملة أبيات قد مرّت عليك ؟!

وقد ورد هذا البيت بصيغ ثلاث المارتين عليك ، والثالثة هي :

نحن آل الله فيما قد خلا * لم يزل ذاك على عهد ابرهم

وابرهم مخفف إبراهيم ، أنظر في ذلك كله : بحار الأنوار / ج 15 / ص140 .

المهم هو وجود استعمال هذه الكلمة " آل الله " عند العرب والمسلمين ، ولا استغراب فيها .

وقد جاء في لسان العرب : ((و آل الرجل أهله ، وآل الله ورسوله أولياؤه .)) . أنظر لسان العرب ج11/ص31 / مادة أهل .

وقد روي أنه : ((قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم : « إنّ لله أهلين » ، قيل : مَن هم ؟ ، قال : " أهل القرآن " .)) . رواه الدارمي في سننه : 2 : 433 / كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن .

و مَن أقرب للقران من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم عدل القران وفي بيتهم نزل ؟

لذا صار من الواضحات بهاتين النسبتين أنهم أولى من غيرهم بهذا اللقب .

و لذا بعد مجئ الإسلام اختصت هذه الكلمة أي " آل الله" بآل محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، على اعتبار قربهم من الله ، والتصاقهم بشرعه ، فهم أولى بالله ، وبكتابه ، و ببيته من غيرهم ، إذ هم عباد الله المنتجبون ، وعبيده المخلصون .

وقد وردت هذه اللفظة في تراثنا في عدة أماكن منها ما مر عليك ، ومنها :

في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين ((قال عطا : كنت مع جابر بن عبد الله ، يوم العشرين من صفر ، فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ، ولبس قميصا " كان معه طاهرا " ، ثم قال لي : أمعك شئ من الطيب يا عطا ؟ قلت : معي سعد ، فجعل منه على رأسه وساير جسده ، ثم مشى حافيا " حتى وقف عند رأس الحسين عليه السلام ، وكبر ثلاثا " ، ثم خر مغشياً عليه ، فلما أفاق سمعته يقول : السلام عليكم يا آل الله .....)) . البحار / ج 98 / ص 329 / أبواب فضل زيارة سيد شباب أهل الجنة أبى عبد الله الحسين صلوات الله عليه ، وآدابها ، وما يتبعها / الباب 25 / زيارة الأربعين / مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان / الطبعة الثانية المصححة / 1403 هـ 1983 م .

وقد رواها عن السيد بن طاووس ، وكان قد أوردها السيد في كتابه " مصباح الزائر " . ص 286 .

وكذلك وردت هذه اللفظة في زيارة النصف من رجب المرجب ، وقد رواها الشيخ المجلسي عن الشيخ المفيد . أنظر نفس المصدر / ص345 / الباب 27 / زيارة ليلة النصف من رجب ويومها .

وقد بيَّن الشيخ المجلسي "قدس سره" ما المقصود بهذه العبارة بعدها حيث قال :

((قوله :" يا آل الله "، أي أتباعه وأولياؤه ، و مَن يؤول أمرهم إليه .)) . نفس المصدر / ص 346 .

وهذا ما أورده الشيخ المجلسي في أحد رواياته عن الحسين عليه السلام حيث قال :

((نحن آل الله ، وورثة رسوله .)) . (بحار الأنوار / ج44 / 184 .).

فهو عليه السلام بقية تلك الصفوة من آل الله ، وبقية العترة الطاهرة ، والباقي من آل البيت .

و قد جاء في تفسير فرات :

((قال : حدثني جعفر بن محمد الفزاري ، معنعناً : عن عمر بن زاهر ، قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام : نسلم على القائم بإمرة المؤمنين ؟

قال : لا ، ذلك اسم سمى الله به أمير المؤمنين [عليه السلام] لا يُسمّى به أحدٌ قبله ، ولا بعده ، إلا كافر .

قال فكيف نسلِّم عليه ؟

قال : تقول : السلام عليك يا بقية الله .

قال : ثم قرأ جعفر : { بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين } .)) . تفسير تفسير فرات الكوفي / فرات الكوفي (ت القرن 3 هـ) / في تفسير هذه الآية المباركة / ص 193 . ومثله ورد في الكافي / الشيخ الكليني / ج 2 / كتاب الحجة / باب 107 / ح 2 .

وقد ورد عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال :

(.. وأول ماينطق به القائم عليه السلام هذه الاية

" بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين " ، ثم يقول : أنا بقية الله ، وحجته ، وخليفته عليكم ، فلا يسلِّم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقية الله في أرضه ...)) . كتاب إكمال الدين / صفحة 310 .

إذاً بقية الله هو خير لنا إن كنَّا مؤمنين .

ولكن من هو ؟

وهل علينا أن نعرفه أصلاً ؟

هذا وغيره سيتبين لنا في القسم الثاني من الكتاب .

القسم الثاني : الدعاء

لقد ورد فيما ورد عنهم عليهم السلام :

اللهم عرفني .....

فمن هو الحجة الذي لولا معرفتي به لضللت عن ديني ؟

والبحث يستدعي مراحل وفصول .

الفصل الأول : المرور بالمراحل الثلاثة من المعرفة على وجه السرعة والتثبيت .

المرحلة الأولى : معرفة الله تعالى .

المرحلة الثانية معرفة الرسول .

المرحلة الثالثة معرفة الحجة .

مقدمة في " الصلاة " للدخول في المطلب :

لماذا سميت هذه الأفعال التي نقوم بها يومياً على أقل تقدير خمس مرات بالصلاة ؟

قيل والأقوال عدّة من أحب أن يطلع عليها ، وأصل اشتقاقها فعليه بكتابنا (الصلاة على النبي و أثرها في النشأتين) .

وهناك رجحنا أن اشتقاقها قد تم من الصلاة بمعنى الدعاء .

فإذا كان كذلك ، وهو كذلك ، ونحن نعلم ويعلم كل من اطلع على لغة الضاد من أنه لابد من مناسبة بين المعنى الأول والمعنى الثاني ليصح استعمال اللفظ في المعنى الثاني .

فأين الدعاء في هذه الأفعال ؟

لو تفحصنا واجبات الصلاة التي تشمل الأركان وغيرها أيضاً من أولها أي من النية و تكبيرة الإحرام مروراً بالوقوف والقراءة التي لا تحتوي إلا قراءة القران وحسب ، إلى الركوع والسجود ، وإلى بقية الواجبات من الذكر الذي هو تسبيح وحمد في الركوع والسجود إلى التشهد بقسميه الأول إن كان والأخير لما رأينا للدعاء أثراً ولا عيناً ، نعم في السور وخاصة فاتحة الكتاب التي لا صلاة بدونها هناك دعاء ولكنه قران ولا يُسمى دعاءاً فانتبه ، أقول لو قلبنا

الصلاة واجباتها لما شاهدنا للدعاء أثراً إلا بالصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله بعد التشهد سواء التشهد الأول أو الأخير ، فمن هنا نستكشف أنه كرامةً لهذا الجزء ، ولميزانه عند الله تعالى سميت أعظم فريضة في الإسلام التي هي عمود الدين به .

فانظر لعظمة هذا الدعاء الذي ندعوا به في صلواتنا من دون أن ننتبه لثقله عند الله تعالى .

ثم ألا تلاحظ حين نزل قوله تعالى ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)) ، ماذا أجاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين لما سألوه قد علمنا كيفية التسليم عليك فكيف الصلاة ؟

ما أجابهم إلا بالصلاة الإبراهيمية .....

وننقل حديثاً واحداً لا يخرج كلها عنه :

((فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : " إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا ، فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟

قال : " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد " .

متفق عليه .

والمراد بالسلام في قوله : " قد علمنا كيف نسلم عليك " السلام الذي في التشهد وهو قول "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " .)) . فتح الباري في شرح صحيح البخاري / (11/ 155).

وقال السيد الطباطبائي في ميزانه :

((أقول : و قد أورد صاحب الدر المنثور ثماني عشرة حديثا غير هذه الرواية روتها أصحاب السنن والجوامع عن عدة من الصحابة منهم ابن عباس و طلحة و أبو سعيد الخدري و أبو هريرة و أبو مسعود الأنصاري و بريدة و ابن مسعود و كعب بن عجرة و علي (عليه السلام) تفيد تشريك آل النبي معه في الصلاة عليه .

وأما روايات الشيعة فهي فوق حد الإحصاء والحصر)) . الميزان / السيد محمد حسين الطباطبائي / في تفسير آية الصلاة بأدنى تصرف .

أي أن الله عز ّ مِن قائل عندما أخبرنا من أنه يصلي هو وملائكته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، طلب بعده منا تبعاً لذلك أن نصلي عليه .

فبأي كيفية سنصلي عليه ؟

علـّمنا هو ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه و آله .

سنصلي عليه بالدعاء من الله أن يُصلي عليه .

وكأنه يريد أن يُخبرنا من أنه ليس من مصلٍ عليه ، أي على النبي على الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى صلى الله عليه و آله وسلم .

أي لا يُمكن أن نصلي عليه من دون أن نطلب من الله تعالى أن يُصلي عليه ، فبدأنا من نقطة عدنا إليها بشكل دائري ، فإنه يريد أن يبين من أن محمداً عظيم لا يمكن الإحاطة بعظمته إلا بالمرور بعظمة الله تعالى .

فما أعظم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم !

ثم :

ألا يوقفك من أن الآية أمرتنا من أن نصلي على النبي ولم تذكر الآل بحال من الأحوال إلا إن جواب محمد كما رواه القوم هو أن نصلي على محمد وآل محمد .

فما أعظم آل محمد صلى الله عليه وآله !

وكأنهم كانوا مندكين به صلى الله عليه وآله وسلم ، وعندما بيّن بيّن أن المقصود بالصلاة عليه ما هو إلا محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي ذلك استدللنا وأثبتنا أن الصلاة بهذه الآية المباركة وبهذه الكيفية التي بينها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتضي عصمة محمد وآل محمد .

فبناءاً على ذلك سيخرج كل من ليس بمعصوم .

أي سيخرج كل من ارتكب ذنباً صغيراً أو كبيراً من الصلوات بلا ريب ولا شك ، سواء أعتقدنا دخوله أم لم نعتقد .

((شرحه لمن لم يدرك هذا الأمر :

جاء الجواب عن كيفية الصلاة بعد سؤال المسلمين عن كيفيتها ، ولم يأت اعتباطاً ، بل جاء بعد إخبار الله تعالى أنه يصلي عليه وملائكته إذ قال تعالى :

((إن الله وملائكته يصلون على النبي)) ، ثم طلب بعد ذلك من الذين آمنوا أن يصلوا عليه ، فالصلاة مستمرة بدليل الجملة الفعلية التي جاءت خبرا للحرف المشبه بالفعل فهو استمرار مع توكيد ، ((والتعبير بالجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار ، وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث أنها جملة اسمية ، وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث أنه جملة فعلية ؛ فيكون مفادها استمرار الصلاة وتجددها وقتاً فوقتاً ، وتأكيدها ب (أنّ) للاعتناء بشأن الخبر ، وقيل لوقوعها في جواب سؤال مقدر هو ما سبب هذا التشريف العظيم ؟)) . الآلوسي في تفسيره / عند تفسيره لهذه الآية المباركة .

فلو كان بعض المُصلى عليهم لا يمكن أن يُصلّى عليهم للمانع ، وهو على أقل تقدير عند تلبسهم بالمعصية ، --- ولا يمكن لأحد أن يدّعي بأن الله تعالى يُصلّي على أحد في حال كونه مرتكباً للمعصية طالت أو قصرت ، صغيرة كانت أم كبيرة ، فلا يمكن أن يدخل هذا البعض في تلك الحال في الصلاة --- ، فكيف ستصح الآية إذ الآية كما لاحظنا قبل قليل تفيد التجدد والإستمرار في كل الآنات المتصورة ؟! .

من هنا تستطيع أن تثبت أن محمداً والمعطوفين عليه بالصلاة عليهم معه يجب أن يكونوا معصومين وإلا لما صح هذا الإخبار والتوكيد .

وهو صحيح فإذاً يجب أن يكونوا معصومين في جميع أوقاتهم .

ولا أحد من المتقين ولا المسلمين ولا الزوجات ولا الأقارب ، لا من بني هاشم ولا من قريش ولا من غيرها لا أحد يدعي العصمة ، لا لنفسه ولا لغيره فإذاً لا تشملهم هذه الصلاة بلا ريب ولا شك ، وتشمل من ثبتت العصمة لهم .

ولا يمكن حينئذٍ أن تكون الصلاة لا على المتقين من المسلمين خاصة ولا المسلمين عامة ولا الزوجات وحتى كثير من الذرية لأنهم لم يكونوا معصومين أبداً .

فنعلم علم اليقين بأن تلك الصيغ الواردة فيها بعض أولئك أو كلهم ماهي إلا اشتباه من الراوي ، أو دس أو تزوير، أو تفسير تبرعي ما أنزل الله به من سلطان ، ما شئت فعبِّر .

والصيغة الأقرب للحق والأنصع والأتم على كل الموازيين الدقيقة ما هي إلا (اللهم صل على محمد وآل محمد) .

وهذه إحدى الطرق الجديدة لإثبات العصمة قد منَّ الله تعالى بها علينا قبل كل أحد عند خوضنا في هذه المباحث الكريمة .

ولا يمكن أن يكون المذكورين في الصلاة إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ومن ثبتت بحقه العصمة ، فالتفت تغنم .

لأن هؤلاء إدّعى قوم من المسلمين عصمتهم ، وهم باتفاق المسلمين جميعاً داخلون بالآل على جميع الأوجه فإذاً يجب أن يكونوا هم لا غيرهم ، وهذا ما يوافق حديث الكساء ، وآية المباهلة وغيرهما ، فطابق النقل العقل ، والكتاب السنة ، فانتبه تفز .)) . الصلاة على النبي و أثرها في النشأتين للمؤلف / الباب الخامس : الإستدلال على الحق / ص 151 .

ومن هنا نعلم اندكاك ذكرهم بذكره دائماً ، وهذا ما نشاهده حتى في كتاب الله تعالى المحكم .

إذ قال تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) . النساء / آية 59 .

فهنا بعد أن ذكرهم منفصلين ضمهم مجتمعين ، لأن أساس التشريع رب العزة و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكأنهم واحد معه ، ألا تلاحظ أن الأمر بالإطاعة له ولهم جاء مرة واحدة شملتهما معاً .

فقد طواهم هنا وأظهرهم هناك لتتبين منزلتهم .

ألا تراه قد رجع وقال بعد ذلك ، وفي نفس السورة المباركة : ((وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)) . النساء / آية 83 .

وهنا ذكر الطرفين المُطاعَين في الأرض ، لِيُطاع مَن في السماء .

ووضحت الصورة حيث قال :

((إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) .

المائدة / آية 55 .

و (إنّما) أداة حصر في لغة العرب ، كما تعرفون .

والكل يعرف فيمن نزلت هذه الآية المباركة .

ولو كنت لا تدري أخي المسلم فسل حتى تصل إلى الحق وأهله ، ولا يضيّع عليك عبادتك مَن غرّته الحياة الدنيا وباع حظه بالأدنى .

إذ قال تعالى بعدها مباشرةً :

((وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) . المائدة / آية 56 .

فكن من الغالبين ، ولا تأخذك في الله تعالى لومة لائم .

ثم نضيف للمقدمة ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

قال تعالى : ((قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم)) الفرقان / آية 77 .

فهنا سمى العبادة بالدعاء .

بدلالة قوله تعالى : ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) الذاريات – 56 .

قال القرطبي في تفسيره : ((يقال : ما عبأت بفلان أي ما باليت به ; أي ما كان له عندي وزن ولا قدر .

وأصل " يعبأ " من العبء وهو الثقل .

فالعبء الحمل الثقيل ، والجمع أعباء . والعبء المصدر .

و " ما " استفهامية ; ظهر في أثناء كلام الزجاج ، وصرح به الفراء .

وليس يبعد أن تكون نافية ; لأنك إذا حكمت بأنها استفهام فهو نفي خرج مخرج الاستفهام ; كما قال تعالى : " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " .

قال ابن الشجري : وحقيقة القول عندي أن موضع " ما " نصب ; والتقدير : أي عبء يعبأ بكم ; أي أي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاؤكم ; أي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه ، فالمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف إلى مفعوله ; وهو اختيار الفراء .

وفاعله محذوف ، وجواب " لولا " محذوف ، كما حذف في قوله : " ولو أن قرآناً سيرت به الجبال " ، تقديره : لم يعبأ بكم .

ودليل هذا القول قوله تعالى : " وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون " .))

فالخطاب لجميع الناس ; فكأنه قال لقريش منهم : أي ما يبالي الله بكم لولا عبادتكم إياه أن لو كانت ; وذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله.)) . تفسير القرطبي / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / ج13 / ص81-82 / في تفسير هذه الآية المباركة .

وقال الطبري : ((يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : أي شيء يعدكم ، وأي شيء يصنع بكم ربي ؟))

ثم يذكر معنى يعبأ لغة ، ثم يقول : ((وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)) . ثم يذكر من قال ذلك .

ويضيف : ((وقوله : " لولا دعاؤكم" يقول : لولا عبادة من يعبده منكم ، وطاعة من يطيعه منكم)) .

ثم يذكر كذلك من قال من أهل التأويل ذلك . أنظر تفسير الطبري / محمد بن جرير الطبري / ج19 / / ص322-323 / دار المعارف / في تفسير هذه الآية المباركة .

ولا يخرج بقية المفسرين عن هذا . أنظر للتفاسير الكثيرة منها تفسير البغوي وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور مثلاً .

فانظر لمنزلة الدعاء من العبادة .

وقد أكد هذا المعنى ما ورد :

فقد ورد : " مخ العبادة الدعاء "

((1294 : الدعاء مخ العبادة .

رواه الترمذي عن أنس .

1295 : الدعاء هو العبادة .

رواه مسلم والطبراني عن ابن أبي شيبة ، وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير بلفظ : " الدعاء هو العبادة " ، وقال الترمذي حسن صحيح .)) . كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / حرف الدال / الإمام إسماعيل الشافعي العجلوني .

المطلب الثاني :

وقد رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السَّلام) أنهُ قَالَ :

((كُلُّ دُعَاءٍ يُدْعَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ " .

)) . الكافي : 2 / 493 / الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني ، المُلَقَّب بثقة الإسلام (ت 329 هـ) / ط. دار الكتب الإسلامية / 1365 هـ ش / طهران / إيران .

كما ورد عن طريق غيرنا :

ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي عليه السلام أنه : قال " كل دعاء محجوب حتى يصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم " .

ورواه بقي بن مخلد عن علي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . والحديث صححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في " صحيح الجامع الصغير " وزيادته " الفتح الكبير . " / وقد رواه بطريقين عن أنس وعن علي (عليه السلام) / رقم الحديث (4523) / المجلد الثاني / الطبعة المجددة والمزيدة / المكتب الإسلامي / 1408 هـ .

وقد رواه الطبراني في الأوسط . الطبراني في " الأوسط " (1 / 220) .

وهذا قد ورد بثلاث صيغ :

1 : كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ، وقالوا عنه (حسن لشواهده) . الألباني السلسلة الصحيحة ص2035 .

2 : كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد [وآل محمد] . وقالوا عنه (صحيح لغيره) . الألباني صحيح الترغيب ص 1675 .

3 : كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا عنه – حسن - ، كما مر عليك . الألباني / صحيح الجامع الصغير / (4523) .

و أخرج الترمذي "موقوفاً" عن أبي قرة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم .) . رواه الترمذي (486) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (403) .

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري : ((قال ابن العربي ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فيكون له حكم الرفع " إنتهى . ج11 / ص164.

وإن كان قد ضعفه الألباني في "إرواء الغليل" . ص 432 .

وضعفه كل من المباركفوري في " تحفة الأحوذي" إذ قال : " الحديث ضعيف لجهالة أبي قُرَّة الأسدي " إنتهى . تحفة الأحوذي / محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري / مسألة 486 / دار الكتب .

و الشيخ ابن باز إذ سئل عنه قال :

" في سنده أبو قرة الأسدي ، وهو من رجال البادية مجهول ، كما في التقريب ، وهو الراوي له عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ..؛ وبذلك يعتبر هذا الأثر ضعيفا من أجل جهالة أبي قرة .. والله أعلم " إنتهى . مجموع فتاوى ابن باز" (289/26) .

إلا أنه فيما تقدم كفاية .

كما أنه قد ورد كذلك في كتاب " الأول من فوائد أبي الحسين بن غنائم " حديث برقم (39) :

((أنبا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ نَظِيفٍ الْفَرَّاءُ ، ثنا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّافِقِيُّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زُرْعَةَ الْخَيْزُرَانِيُّ ، ثنا عَامِرُ بْنُ سَيَّارٍ ، ثنا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَزَّازُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنِ الْحَارِثِ وَعَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : " كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ." .

وقد رواه عنهما عن علي بن أبي طالب عليه السلام المتقي الهندي في كنز عماله برقم (2153)

إلا أنه أورده بهذه الصيغة ((كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .)).

ووسم ما جاء عن علي بكونه موقوفاً . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / حرف الهمزة / الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله عليه الصلاة والسلام / ح 2153 .

فبناءاً على مجموع ما ورد من المقدمتين نستطيع أن نقول :

إن الدعاء عبادة .

والدعاء محجوب أو موقوف حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ومخ العبادة الدعاء ، أو هو العبادة .

إذاً المحرك الأصلي لمخ العبادة هو الصلاة على محمد وآل محمد .

فإذاً مخ العبادة الحقيقي هو الصلاة على محمد وآل محمد .

هذا من جهة .

ومن جهة ثانية نقول : مخ العبادة الدعاء .

ومن أفضل الدعاء الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو كما ورد من طرقهم أن الدعاء هو العبادة .

وهي بنفسها صلاة فلا تحتاج إلى صلاة ، فهي بعينها مخ العبادة أو هي العبادة .

فتأمل فيه جيداً .

وربما يظهر ذلك لأمرين ، وهما واحد :

1 : هو فعل مشترك بين العبد وربه وهذا نادر .

2 : أن الله هو المصلي الحقيقي على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله دون غيره ، وذلك لأن الله بعد ما أخبر بصلاته هو وملائكته كذلك وأكد ذلك ، طلب من الذين آمنوا أن يصلوا عليه .

فماذا سيفعل المؤمنون حينئذٍ ؟

حينئذٍ سيصلون على محمد وآله صلى الله عليه وآله .

وما هي كيفية الصلاة ؟

اللهم صل على محمد وآل محمد .

والملائكة كذا يفعلون .

فانظر للجملة وتمعن بها ، تجد أنها طلب من العبد للمولى بأن يصلي على محمد وآل محمد صلى الله عليه و آله وسلم .

فإذاً المصلي الحقيقي والوحيد هو الله تعالى على نبيه الكريم صلى الله عليه و آله وسلم .

من هنا يتبين لنا مدى عظمة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله .

ورب قائل يقول لو كنت ألحقت هذه المباحث بكتابك المذكور .

أجبته : من أني رأيت ان هذه المطالب بهذا العنوان أنسب ، فهي بيانات لمعرفة مقام أهل البيت الذين يمثلون الإمامة الحقيقة للمسلمين ، ولبيان علوها وسموها ، وهو من جملة ما نبحث عنه في دعائنا الموشح به عنوان الكتاب :

اللهم عرفني رسولك .....

اللهم عرفني حجتك .....

ومن هذا و أمثاله نعرف مقام سيدنا ومولانا الحجة بن الحسن عجّل اللهُ تعالى ظهوره الشريف .

المطلب الثالث :

لابد أن يكون هذا الحجة الذي ندعي وجوده مرتبطاً : بالله ، وبرسوله ، وبالمعجزة التي جاء بها وهي القران ، حتى تتم به الحجة علينا ، كما تمت برسوله صلى الله عليه و آله وسلم من قبل .

فهل هو كذلك ؟

إرتباطه بالله وبرسوله : ((أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم))

ولهذا شواهد كثيرة في كتاب الله المجيد .

ومختصراً نقول :

الإطاعتان إطاعة واحدة ، بدليل أن الرد جاء لمتعلقيهما مع كونه رداً واحداً ،

في حال التنازع ، إذ لو كانا اثنين لأمر بالرد إليهما طولاً ، هذا من جهة ومن جهة ثانية إن إطاعة أولي الأمر مندكة في إطاعة الرسول ، كما هو ظاهر الآية الشريفة ، بل هي نفسها .

وهذا كله عرفناه ببركة تكملة الآية المباركة : ((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.....))

إذ لو لم تكن لـَذكـَرَها ، فمع عدم ذِكـْرها هنا ، مع أنه صرّح بها في باب الإطاعة بالعطف على رسوله الكريم يقتضي أنهما واحد .

وبملائكته : ((بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر)) .

وليلة القدر كما نعلم ليست مختصة بزمن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانتبه أيها المسلم لذلك .

والله يخبرنا بنزول الملائكة ، فهل سألنا أنفسنا على من تنزل الملائكة والروح فيها ؟

والوحي قد انتهى ، والرسالة قد خـُتمت ، والدين قد كمل ، ورضي لنا الأسلام دينا .

فبأي شئ تنزل وقد كمل الدين ؟

وعلى من تنزل ، وقد مات محمد صلى الله عليه و آله ، الرابط بين السماء والأرض ؟

ألا فكرت بذلك أخي المسلم ؟

إذاً بهذا الذي كمل به الدين ، وبه الذي رضي الأسلام لنا دينا يجب أن يكون مرتبطاً .

وهو الذي نقول به .

إذ هذه كلها كانت إخبار بالولاية ، وبالحجة على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله .

فبمعرفة الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله : كمل الدين ، ورضي الإسلام لنا دينا .

ولا يظن ظان ، ويتقصد متقصد من أن الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إخباركم هذا هو نبي أو رسول ، و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول " لا نبي بعدي " والله سبحانه يصف رسوله في محكم كتابه " وخاتم النبيين "

لأن : **أمر نزول الملائكة ليس مختصاً بالأنبياء والمرسلين** ، فانتبه .

كيف ؟

هذه السيدة العذراء مريم مثال واضح ، إذ نزل عليها الملك بصريح القران ، بل أكثر من هذا تمثل لها بشراً سوياً ، وهي ليست بنبي ، فالقران يصرح : " وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيَ إِلَيْهِمْ فَٱسْأَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ " . سورة النحل / آية 43 .

ولكن المشكلة أن نزولها بعيد عن الأذهان فيظن الظان ما يظن .

فهؤلاء قوم طالوت قد شاهدوا عندما أخبرهم نبيهم أن دليل ملك طالوت أن يأتيهم التابوت تحمله الملائكة . أنظر : (سورة البقرة / الآية 248).

وزوجة إبراهيم عليه السلام ليست ببعيدة عن هذا الموضوع ، فهي قد ضحكت وقد دار حوار بينها وبينهم بحسب الظاهر ، لما أبلغوها بحملها ، و قد أجابتهم بتعجبها من حملها وهي عجوز وهذا زوجها شيخ كبير . أنظر : (سورة هود / الآية 72) .

بل القران يخبر بما يُمكن أن يكون ظاهره أن الكفار من قوم لوط أنهم قد رأوا الملائكة ، و إلا كيف تيقنوا من وجودهم حتى راودوه عن ضيفه . أنظر (سورة القمر / الآية 37) .

بل صرّح كثير من علماء العامة بأمكانها ، بل بوقوعها .

قال الشيخ عمر الأشقر :

((وقد دلَّت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة إذا تمثَّلت الملائكة في صورة البشر .)) . عالَم الملائكة الأبرار " (ص11) .

إذ دلت النصوص التاريخية لديهم على إمكانه ووقوعه .

((عن بعض بني ساعدة ، قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما كفّ بصره ، يقول : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ، ولا أتمارى ....)) تفسير بن كثير . قال ذلك ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات : " وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنّي جَارٌ لّكُمْ فَلَمّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىَ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنّي بَرِيَءٌ مّنْكُمْ إِنّيَ أَرَىَ مَا لاَ تَرَوْنَ إِنّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ غَرّ هَؤُلآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " وبعدها قال : ((وأوحى الله إليهم أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ، فيقول له أبشر ، فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، فكرُّوا عليهم..)) .

وقد ذكر البيضاوي في تفسيره ، عند تفسير قوله تعالى " عالِمُ الغيب فلا يُظْهِرُ على غيبهِ أحداً * (({ إلا من ارتضى } لعلم بعضه حتى يكون له معجزة { من رسول } بيان ل { من } . واستُدِلَّ به على إبطال الكرامات .

وجوابه : تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسيط ، وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقياً عن الملائكة ، كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء (ع) .

{ فإنه يسلك مِن بين يديه } من بين يدي المرتضى { ومِن خلفه رصدا } حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم .)) . تفسير البيضاوي / سورة الجن / ج 7 / ص402 .

مع أن الآيات المباركات ظاهرات في التبليغ الإلهي للأنبياء ، حيث يقول الله تعالى متمّاً لآياته :

((ليعلَمَ أنْ قد أبلَغوا رسالات ربهم ..)) .

كما أن مسلماً قال في صحيحه :

((1327 - و حَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ ، قَالَا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْهَادِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبَّابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ حَدَّثَهُ :

أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ ، فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى ، فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا .

قَالَ أُسَيْدٌ فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي ، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا .

قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ .

قَالَ فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ .

قَالَ فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ ، قَالَ فَانْصَرَفْتُ ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ .)) . الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ) / ج3 / ص 215 / ح 1327 .

وهو الذي أشار إليه ابن تيميه حينما قال : ((وكرامات الصحابة والتابعين من بعدهم ، وسائر الصالحين كثيرة جداً ، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة،

فيها أمثال السرج ، وهي الملائكة نزلت لقراءته ؛ وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين .

)) ... مجموع فتاوى ابن تيمية / ج11 / ص 276 .

والأخير مروي كذلك ، وشائع في كتبهم بألفاظ متعددة ، ومنها كتاب الإعتقاد لأبي بكر البيهقي حيث يقول : ((وروينا تسليم الملائكة على عمران بن حصين .)) .

بل أضاف : ((وروينا عن جماعة من الصحابة أنّ كل واحد رأى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي .)) . الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص 201 .

ولذا قال القرطبي : ((والأخبار في هذا كثيرة .)) ، بعد أن قال : ((وقد تظاهرت الأخبار بأن جماعة منهم رأوا الملائكة ، وكانت تسلم عليهم مثل عمران بن حصين ، و أسيد ابن حضير .)) .

أنظر كتابه : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / ص 383 .

ولا يتوقف الأمر عند الصحابة بل يشمل غيرهم ، فنرى حتى مثل ابن تيميه يقول : ((ولهذا رأى بعض هؤلاء ــ مِمّن ذكرهم ــ الملائكة تكتب الحجّاج ، فقال : ألا تكتبونى ؟ فقالوا : لستَ من الحجاج ، يعنى حجاً شرعياً .)) . مجموع فتاوى ابن تيمية / ج11 / ص 286 .

والذي يريد أن يطلع على أمثال هذا ، وغيره فعليه بكتاب " الهواتف " لابن أبي الدنيا مثلاً .

وبعد أن أورد الكثير من هذا صاحب كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف " قال :

((أقول : التقاء كل هؤلاء بالملائكة لم نجد له معترضاً ، ولكن عندما يُقال بأنّ فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (ع) ، بنصٍ متسالم عليه من الرسول الأعظم (ص) ، أو أنّ أمير المؤمنين (ع) ، أو أحد الأئمة الطاهرين (ع) من أهل بيت الوحي يرى الملائكة ، أو تلتقيه الملائكة يكون ذلك القول باطلاً ؛ و بعضهم يعتبره كفراً ، والعياذ بالله ...)) . الإنصاف في مسائل الخلاف / ج2 / ص245 / الشيخ حسين معتوق .

والحق ما قال ، فإنه لأمر غريب جداً .

إذن مع هذا وغيره يثبت في الجملة أنه ليس عجباً نزولُ الملائكة ، وهذا ما نريد أن نثبته الآن ، خوفاً مِن معترض يعترض من أن ذلك معناه أن الذي تنزّل عليهِ لابدَّ أن يكون نبياً ، والنبوة قد

خُتمت بمحمد صلى الله عليه و آله وسلم ، فما تقولونه ، وتدّعونه هو خارج عن قول المسلمين قاطبة ، وهو الضلال بعينه ، لا سامح الله .

وعوداً على بدء نقول :

فالأمر الذي تنزل الملائكة به والروح فيها في ليلة القدر كلَّ عام لابد أن تنزل على واحد يقوم مقام النبي محمد صلى الله عليه وآله ، و هذا لا يدعيه أحد من المسلمين جميعاً ، أي يدّعي أن الملائكة تتنزل عليه ، ولا على أحد يؤمن بوجوده ، ولا يُمكن ذلك أصلاً ، إلا على الأخذ بأقوال الشيعة الإثني عشرية الذين يعتقدون بوجود هذا الشخص بعينه ، وهو الإمام ، والخليفة الثاني عشر من الأئمة الذين يظهر عددهم فقط - مع الأسف - عند المسلمين ، إلا عند هؤلاء الثلة من المؤمنين ، إذ شخصوهم بأسمائهم و أنسابهم ، واعتقدوا بوجوده المبارك .

وعدمُ القدرة من الوصول إليه سببه التفريط بالأحد عشر من الأئمة الذين كانوا من قبله ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

فسبحان الله ، ليلة القدر دلّت عليه ، ببركة ما بيّن اللهُ فيها مِن أمر ، ولعلّ أحد بركاتها العظيمة هذه الدلالة .

إذ ليلة القدر ليست خاصة بزمن دون زمن ، ونزول الملائكة من الأمر المجزوم به ، المعلوم ، و لا معنى لنزولها في الخواء ، هذا أولاً .

و أما ثانياً فإنه لابد من وجود مَن تنزل عليه ، و لا يوجد على الأرض بالصفات التي ذكرناها ونذكر جامعاً لها إلا هو ، فانحصر الأمر به ، فانتبه .

ومقتضى ذلك أن الذي تنزل الملائكة عليه هو المعنيّ بآية ((أولي الأمر)) .

إذ الأمر عندما يكون عنده يصبح هو من أولي الأمر .

ولاندفع بهذا التفسير من أن أولي الأمر ماهم إلا أصحاب الشأن ، كما قال به المفسرون ، فهو منهم على أي حال .

ما بعد المقدمة :

الصيغ الواردة لهذا الدعاء :

وقد وردت صيغ عدة له :

فقد ورد في جمال الإسبوع بهذا النص : ((دعاء آخر رواه محمد بن يعقوب الكليني عن الصادق (ع) و قد قدمت طريقي إلى كل ما يرويه محمد بن يعقوب الكليني فقال ره في كتابه كتاب الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله (ع) جعفر بن محمد الصادق (ع) ما هذا لفظه : لا بد للغلام من غيبة ، قلت مما ، قال يخاف ، و أومأ بيده إلى بطنه ، وهو المنتظر ، وهو الذي يشك الناس في ولادته ، فمنهم من يقول حمل ، و منهم من يقول مات أبوه و لم يخلف ، و منهم من يقول ولد قبل موت أبيه بسنتين . قال زرارة فقلت ما تأمرني إذا أدركت ذلك الزمان ؟

فقال ادع بهذا الدعاء :

((اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرفك ، اللهم عرفني نبيك فانك إن لم تعرفني نبيك لم أعرفه ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .)) هذا آخر رواية محمد بن يعقوب رضوان الله عليه في كتابه المشار إليه .)) . جمال الإسبوع يذكره بعد ذكر الدعاء لصاحب الأمر المروي عن الرضا عليهما أفضل الصلاة و السلام .

والوارد في كمال الدين وتمام النعمة هكذا : ((اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فانك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .)) كمال الدين وتمام النعمة / 342 - (343) / للشيخ الجليل الاقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة 381 / صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة . و راجع كذلك غيبة الطوسي : ص333.

وقد أورده الشيخ الطوسي في كتابه مصباح المتهجد بهذه الصورة : قال :

أخبرنا جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري أن أبا علي محمد بن همام أخبره بهذا الدعاء ، وذكر : أن الشيخ أبا عمرو العمري قدس الله روحه أملاه عليه ، وأمره أن يدعو به .

وهو الدعاء في غيبة القائم من آل محمد عليه وعليهم السلام :

اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك ، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني ، اللهم لا تمتني ميتة جاهلية ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ...الخ)) . مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي - ص 411 – 412 .

والذي يورده صاحب البحار :

70- عن الكافي : العطار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن خالد بن نجيح ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن للقائم غيبة قبل أن يقوم قلت : ولم ؟ قال : يخاف وأومأ بيده إلى بطنه.

ثم قال : يا زرارة : وهو المنتظر ، وهو الذي يشك الناس في ولادته (منهم من يقول مات أبوه ولم يخلف و) منهم من يقول هو حمل ، ومنهم من يقول هو غائب ومنهم من يقول : ماولد ومنهم من يقول : قد ولد قبل وفاة أبيه بسنتين ، وهو المنتظر غير أن الله تبارك وتعالى يجب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون.

قال زرارة : فقلت : جعلت فداك ، فان أدركت ذلك الزمان فأي شئ أعمل ؟ قال : يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء .

" اللهم عرفني نفسك ، فانك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فانك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .)) . المجلسي / البحار / ص 147- 148 .

ورأيت اختلاف النقل لذا اعتمدت في جُمَل الدعاء بما ورد في الكافي ، لأنّ جلهم أورده عنه فرجعنا إليه ،، كما إنه المطابق لما جاء في كمال الدين للشيخ الصدوق ، كما أوردناه في مستهل حديثنا .

وقد أورده صاحب مفاتيح الجنان المرحوم الشيخ عباس القمي كذلك ، وهو أهل للإعتماد إذ هو

ابن بجدتها . أنظر : مفاتيح الجنان / عباس القمي / ص .

((5- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُوسَى عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ إِنَّ لِلْغُلامِ غَيْبَةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ قَالَ قُلْتُ وَلِمَ قَالَ يَخَافُ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ يَا زُرَارَةُ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ وَهُوَ الَّذِي يُشَكُّ فِي وِلادَتِهِ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَاتَ أَبُوهُ بِلا خَلَفٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ حَمْلٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسَنَتَيْنِ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ غَيْرَ أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَحِنَ الشِّيعَةَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ يَا زُرَارَةُ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ أَيَّ شَيْءٍ أَعْمَلُ قَالَ يَا زُرَارَةُ إِذَا أَدْرَكْتَ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ :

" اللهمَّ عرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ،

اللهمَّ عرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ،

اللهمَّ عرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي .")) .

ثُمَّ قَالَ : يَا زُرَارَةُ لا بُدَّ مِنْ قَتْلِ غُلامٍ بِالْمَدِينَةِ .

قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ أَلَيْسَ يَقْتُلُهُ جَيْشُ السُّفْيَانِيِّ ؟

قَالَ : لا ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ جَيْشُ آلِ بَنِي فُلانٍ ، يَجِيءُ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، فَيَأْخُذُ الْغُلامَ فَيَقْتُلُهُ ، فَإِذَا قَتَلَهُ بَغْياً ، وَعُدْوَاناً وَظُلْماً لا يُمْهَلُونَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَقُّعُ الْفَرَجِ ، إِنْ شَاءَ الله .)) . أنظر : الكافي / ج 1 / ك الحجة / باب في الغيبة / ص 337 .

الفهم العام لهذا الدعاء :

والفهم العام لهذا الدعاء ، وبالخصوص معرفة الحجة عليه السلام لابد أن يمر بفهم بعض المقدمات التي لابد من ذكرها ، ولذا قسمنا الكتاب إلى أقسام عدّة سميناها : مراحل .

ولكن قبلها نقول كما قال الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (قدس سره) في فرائده ، بعد أن قدم عدة روايات : ((و المستفاد من هذه الأخبار المصرّحة بعدم اعتبار معرفة أزيد مما ذُكر فيها في الدين ـ وهو الظاهر أيضاً من جماعة من علمائنا الأخيار كالشهيدين في الألفية الألفية والنفلية: 38. وشرحِها المقاصد العلية / 20 – 21 . ، والمحقق الثاني في الجعفرية الرسالة الجعفرية (رسائل المحقق الكركي) / 1 / 80 . وشارحها ، وغيرهم :

هو أنه يكفي في معرفة الرب التصديق بكونه موجوداً ، وواجب الوجود لذاته ، والتصديق بصفاته الثبوتية الراجعة إلى صفتي العلم والقدرة ، ونفي الصفات الراجعة إلى الحاجة والحدوث ، وأنه لا يصدر منه القبيح ، فعلاً أو تركاً .

والمراد بمعرفة هذه الامور : ركوزها في اعتقاد المكلف ، بحيث إذا سألته عن شئ مما ذكر ، أجاب بما هو الحق فيه ، وإن لم يعرف التعبير عنه بالعبارات المتعارفة على ألسنة الخواص .

... ويكفي في معرفة النبي (صلى الله عليه وآله سلم) معرفة شخصه بالنسب المعروف المختص به ، والتصديق بنبوته وصدقه ، فلا يعتبر في ذلك الاعتقاد بعصمته ـ أعني كونه معصوماً بالملكة ـ من أول عمره إلى آخره .)) .

ــ والعجيب أن البعض عندما نقل رأي الشيخ الأعظم في هذه الأمور اكتفى بهذه العبارات منه ، غفلة أو جهلاً ، مع إن نظر الشيخ الشريف رحمه الله تعالى يظهر بعد نقله لعبارة صاحب المقاصد قدس الله نفسيهما الطاهرتين ، حيث قال بعدها مباشرة وبلا فاصل ــ :

((قال في المقاصد العلية : و يمكن اعتبار ذلك أي الإعتقاد بالعصمة . ، لأن الغرض المقصود من الرسالة لا يتم إلا به أي بالإعتقاد بالعصمة . ، فينتفي الفائدة التي باعتبارها وجب إرسال الرسل أي لو لم نعتبر العصمة . .

وهو ظاهر بعض كتب العقائد المصدَّرة بأن من جهل ما ذكروه فيها أي في تلك الكتب . فليس مؤمناً ، مع ذكرهم ذلك أي مع ذكرهم أنه يعتبر الإعتقاد بالعصمة . .

والأول غير بعيد من الصواب ، إنتهى .)) . الشهيد الثاني أعلى الله مقامه (ت 966هـ) / المقاصد العلية : 24 – 25 .

((**أقول ــ والقول لا زال للشيخ الأعظم رحمه الله تعالى ــ :** والظاهر أن مراده ببعض كتب العقائد هو الباب الحادي عشر للعلامة (قدس سره) حيث ذكر تلك العبارة ، **بل ظاهره دعوى إجماع العلماء عليه ــ أي الاعتقاد بعصمته ـ أعني كونه معصوماً بالملكة ـ من أول عمره إلى آخره ــ** نقلنا عبارته السابقة هنا حتى يتبين مراده واضحاً . .

نعم ، يُمكن أن يُقال : إن معرفة ما عدا النبوة أي الإعتقاد بالعصمة و أمثالها . واجبة بالإستقلال على مَن هو متمكن منه بحسب الاستعداد وعدم الموانع ، لِما ذكرنا :

من عمومات وجوب التفقه ،

وكون المعرفة أفضل من الصلوات الواجبة ،

وأن الجهل بمراتب سفراء الله جل ذكره مع تيسر العلم بها تقصير في حقهم ، وتفريط في حبهم ، ونقص ، يجب بحكم العقل رفعه ، بل من أعظم النقائص وهنا بعد كل ما تقدم تبين نظر الشيخ رحمه الله تعالى ، فانتبه . ....

وقد ورد في بعض الأخبار : تفسير معرفة حق الإمام (عليه السلام) بمعرفة كونه إماماً مفترض الطاعة . أنظر الوسائل 10: 435، الباب 82 من أبواب المزار، الحديث 10.

ويكفي في التصديق بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : التصديق بما علم مجيئه به متواتراً ، من أحوال المبدأ والمعاد ، كالتكليف بالعبادات ، والسؤال في القبر ، وعذابه ، والمعاد الجسماني ، والحساب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار إجمالاً ....)) . فرائد الأصول / الشيخ مرتضى الأنصاري / ج 1 / ص 564 ـ ص 568 ، بتصرف طفيف غير مخل .

بعد هذا نرجع للدعاء :

إذا لاحظنا الدعاء ، وتمعنا فيه فسنجد :

أن المدار الله .

فالطلب من الله .

والطالب عبد لله ، بدلالة " اللهم " .

والمعرفة مطلوبة من الله .

والنبي نبي الله .

والرسول رسول الله .

والحجة حجة الله .

فالمدار كله الله .

إذاً " الدعاء عبارة أخرى من كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " .

لكن بطريقة برهانية خفيفة ولطيفة .

فهو جامع لمعرفة الله الحقيقية ، وفهم للتوحيد الخالص ، وتطبيق للعبودية المتمحظة .

وبهذه المعرفة يُعرف الوجود كله .

فهي أساس كل شئ .

ولهذا صار هذا الخط التنازلي .

ولا يمكن أن أطلب هذا إلا إذا مررت ب" من عرف نفسه فقد عرف ربه " .

ليكون الإحتياج فيظهر الطلب .

فالواقع العلمي و العملي هو هذا الدعاء .

فأولاً هذا الدعاء .

بعد معرفة النفس ، أي الإلتفات للواجد و الوجود .

ثانيا ذاك الدعاء " اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن ....."

فبعد معرفته بنوع معرفة يأتي الدعاء له .

ولا مجال للمقارنة بينهما .

فبعد معرفة مضمون الحديث القدسي الذي ذكره السبزواري رحمه الله في شرح الأسماء الحسنى مثلاً : قال (ومن الخفيات مقام الخفى من مقامات النفس مقام الخفا المشار إليه بقوله: كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) . شرح الأسماء الحسنى : 1 / 37 . و قد أورده المجلسي رحمه الله كذلك في البحار : 84 / 199 ، بلفظ مقارب .

وبعد معرفة رب العزة لابد ان نتوصل الى معرفة خلافة الله في الارض ، ولابد من وجود خليفة ، وهي أي الخلافة اول ما يعبر عنها ويمثلها النبوة .

ثم بعد ادراكها والعلم بالخاتمية ، وبانتقال النبي الخاتم للرفيق الاعلى لابد وان ندرك الإمامة .

فالخلافة مستمرة والنبوة قد انقطعت . ولا يمكن الوصول الى ذلك لا بالشورى ولا بالانتخاب .

فالحديث كل الحديث في : " إني جاعل في الأرض خليفة "
فبه ندرك ابعاد هذا الخليفة سواء اكان نبيا ام وصي نبي .
فبمعرفة المستخلِف بكسر اللام نعرف المستخلَف بفتحها .
وكذلك بمعرفة النبي والمرسل نعرف وصيه .
وبهذا آمن وعمل الملائكة المقربون حينما قالوا ((سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)) .
وخُذل إبليس وأبعد حيث لم يرض باختيار الله .
وبها وقع من وقع لأنهم ما عرفوا الله ، ولا رسوله فظنوا أنهم يستطيعون أن يختاروا ، أمام إختيار الله ورسوله صلى الله عليه و آله ، فوقعوا في شباك السقيفة ، وبراثن الشيطان .
وما وعوا ((إذا قضى الله ورسوله أمرا ما كان لهم الخيرة من أمرهم))
وهي من بديهيات الإسلام الأولى .
فعلينا أن نعرف الخليفة ، المعبر عنه بإمام الزمان ، ذاك الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه و آله ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)) ، وإلا سنقع في الضلال .
وليس معرفته شخصياً ، وإلا فالمشركون عرفوا النبي العربي صلى الله عليه و آله وسلم من حيث النسب ، ولكنهم جابهوه بالشدة والقسوة حتى اضطر لأن يُهاجر من أرض مأنسه ومسكنه ، ثم عزموا على قتاله وقتله ، و لكنّ الله سبحانه مال دون مخططاتهم ، وكسر شوكتهم ، حتى دخلوا الإسلام خوفاً ، و طمعاً .
والمسلمون عرفوه من حيث النسب والتشخيص والنبوة ، و رأوا ما رأوا من أنوار نبوته ، وبركات وجوده ، ولكنهم وقعوا في كثير من المطبّات ، و أخيراً في فخاخ التخلف عن جيش أسامة ، الذي جرّهم إلى حرارةٍ شديدة ، جمّعتهم كيوم الظلّة تحت السقيفة ، فكانت الفتنة الكبرى ، التي لم تُصب الذين ظلموا خاصة ، فكان ما كان مما لستُ أذكره ....
فعلينا أن ننتبه ونعرف الحجة عليه السلام بما عرف النبي المرسلَ المؤمنون الذين ثبتوا على الحق مهما تقلبت ظروفهم ، وظهرت فتن شديدة غمرت الناس ، و تركت اللبيب حيرانا .

فمعرفة نسبه فقط لا تنفع .

ومعرفة كونه إماماً فقط لا تنفع .

بل النافع معرفة كونه حجة ، أي أنه هو بنفسه حجة الله على خلقه .

ولذا ورد في الدعاء اللهم عرفني حجتك .

وإلا فالضلال ، فانتبه يا أخي المسلم .

وفي الفقرات التي هي مسك ختام الزيارة الجامعة الكبيرة للأئمة عليهم السلام جاء :

((...اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار، الأئمة الاطهار ، لجعلتهم شفعائي.....فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم ، وبحقهم ..... وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم ، إنك أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً ، وحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .)) .

فهم أقرب الخلق إليه .

وهم أئمة أطهار .

وهم شفعاء خلقه .

وهم أصحاب حق قد أوجبه الله عليه .

ومعرفتهم مرتبطة بالله ولذا أطلبها منه ، فإذاً هي محبوبة لديه .

وليست معرفتهم فقط ، بل هناك حق لهم أطلب من الله معرفته .

حتى أكون أهلاً لبلوغ شفاعتهم .

وشفاعتهم مرتبطة بالرحمانية وتوكيدها .

ولا تتم إلا بالصلاة عليهم والتسليم لهم ، و الإتكال على الله تعالى .

وهذا هو مؤدى الزيارة كلها .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المرحلة الأولى : ((اللهم عرفني نفسك .....))

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : ((أول الدين معرفته .)) .

فإذن إذا أردنا أن نبدأ المسير على صراط الله القويم علينا أن نعرف الله تعالى .

وهذا بديهي غير مُلتَفتُ إليه ، وإلا كيف أسلك طريقاً لا أعرف صاحبه ؟

ويظهر أن أول شئ في معرفته هو (لا إله إلا الله) .

ولذا كان أول شئ ابتدأ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوته هو :

(قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا) .

((روى عبد الله بن ذكوان عن ربيعة بن عباد الديلي قال : "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو لا يسكت ، يقول : أيها الناس قولوا : " لا إله إلا الله تفلحوا " ، إلا أنّ وراءه رجلاً أحول ، وضيء الوجه ، ذا غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب ، فقلت: من هذا ؟ قالوا : محمد بن عبد الله ، وهو يذكر النّبوّة ، قلت: من هذا الذي يكذّبه ؟ قالوا : عمه أبو لهب ، قلت : إنك كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا ، والله إني يومئذ لأعقل .)) . أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (15448) 3 / 462 ، 4 /341-342 ، وذكره البيهقي في الدلائل برقم 2182 ، 2 / 182 ، والطبري في تاريخه 2 / 348 ، و قد جاء في المعجم الكبير / 5 / 5 6 ، وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة 4 / 721 ، كما إن الألباني قد صححه في " إرواء الغليل " / ص 834 .

وعن طارق بن شدّاد قال : ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّتين ، رأيته بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة لي، فمرّ وعليه حلة حمراء ، وهو ينادي بأعلى صوته : أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل يتبعه بالحجارة ، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه ، وهو يقول : يا أيها الناس ، لا تطيعوا هذا ، فإنه كذّاب ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا غلام من بني عبد المطلب ، فقلت : من هذا الذي يرميه بالحجارة ؟ فقيل : عمه عبد العزى ، أبو لهب .)) . مصنف ابن أبي شيبة 4 1 / 300 ، ابن خزيمة 1 / 2 8 ، الحاكم 2 / 612 ، وقد ورد برقم 2612 فيه ، وصححه ووافقه الذهبي ، موارد الظمآن / ص406 ، سنن الدار قطني 3 / 44 ، المعجم الكبير 8 / 376 ، سنن البيهقي 1 / 6 7.

بل كل رسول بدأ دعوته بهذا ، قال تعالى :

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) سورة الأنبياء الآية 25.

وقولها درجات ، كما لعله سيظهر من مطاوي البحث .

إذن ابتداء معرفة الإمام عليه السلام تبدأ من هنا ، لأنها من الدين .

و أما أدنى المعرفة بحسب الروايات ، فيتبين بما يلي :

عن ((مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ الْهَمْدَانِيِّ جَمِيعاً عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلام) قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ ، فَقَالَ : الإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلا شِبْهَ لَهُ وَلا نَظِيرَ ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثْبَتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .)) . أصول الكافي / الكليني / كتاب التوحيد / باب أدنى المعرفة / ح**1** .

و عن ((عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ طَاهِرِ بْنِ حَاتِمٍ فِي حَالِ اسْتِقَامَتِهِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الرَّجُلِ مَا الَّذِي لا يُجْتَزَأُ فِي مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ بِدُونِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ لَمْ يَزَلْ عَالِماً وَسَامِعاً وَبَصِيراً وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ .

وَسُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلام) عَنِ الَّذِي لا يُجْتَزَأُ بِدُونِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ ، فَقَالَ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ عَالِماً سَمِيعاً بَصِيراً.)) . نفس المصدر / الحديث الثاني .

ويبقى سؤال مهم عالق ، و سيثار بدواً ، سؤال مؤداه :

كيف ندعوا الله أن يعرّفنا نفسه ، وسؤالنا إيّاه يقتضي أننا نعرفه ؟ وإلا كيف ندعوه ؟

ويمكن أن يُجاب على ذلك بجوابين :

الجواب الأول :

إذ يمكن الإجابة بصورة سريعة ومختصرة حيث نقول من أننا عرفناه بالإجمال ونريد معرفته تفصيلاً منه . على ما تحيط به عقولنا ، وهذا يأتي بعد المعرفة .

و الجواب الثاني :

تارة يكون بالإيجاز إذ نقول :

إن هناك فرقاً بين المعرفة للشئ والعلم به .

لأن العلم يأتي بنفس وجود الشئ في الذهن ، ثم تأتي المعرفة .

فإذا قلنا من أن العلم بشئٍ ما كما قالوا ارتسام صورة ذلك الشئ في الذهن ، فالمعرفة تابعة للإرتسام .

إذ بعد الإرتسام يقال أعرفه . أي المعرفة تأتي بعد الإرتسام .

ألا تجد فرقاً بين أن تعلم بوجود زيد من الناس في مكان ما ، وبين أن تعرف وجوده فيه ؟

إذ العلم لا يتعلق بالذات ، فلا يصح أن تقول " علمتُ زيداً " إذ يُحتاج إلى بعض أحوال زيد ، أو صفاته لكي يكون العلم منصباً عليها ، وأنت تريد أن تخبر بعلمك بها ، أما المعرفة فلها أن تتعلق بالذات مباشرة فتقول مثلاً " عرفتُ زيداً " .

المعرفة به تقتضي الإطلاع على أحواله .

فارتسام صورة زيد في الذهن تكفي للعلم به ، ولكن معرفته تقتضي شيئاً آخر .

فنقول في جوابنا إنّ السائل بعد علمه بوجوده سبحانه سأله ، فصح سؤاله ، فلا إشكال .

هذا إجمال للجواب .

و الجواب التفصيلي ربما يظهر بالتمعن فيما يأتي .

المعرفة الحقيقية :

قبل الإنتقال إلى المرحلتين التاليتين علينا أن نتذكر :

روى ((الحسين بن محمد ، عن معلي بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً.

قلت: جعلت فداك ، فما معرفة الله ؟

قال : تصديق الله عز وجل ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله ، وموالاة علي عليه السلام ، والإئتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، وهكذا يُعرف اللهُ عزّ وجلّ .)) . الكافي:180/1 .

ومن هنا ننتقل للمرحلتين الأخريتين .

المرحلة الثانية :

((.... فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك ....))

معرفة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم .

وما بين هذه وتلك المعرفة تقع معرفة النبوة ، إذ لابد أن نعرف أولاً من كونه نبياً من الله حتى نثبت أنه رسول ولديه رسالة ،

فمرتبة النبوة أولاً ، ثم مرتبة الرسالة .

ومن هنا كان لدينا أنبياء ، ورسل ، ومن هؤلاء الرسل كان أولوا العزم .

وقد جاء التصريح بأسماء أولي العزم عند قوله تعالى : ((وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)) . الأحزاب / 7 .

واعتقادنا بهم جميعاً أنهم عباد الله المخلصون ، وعقيدتنا عند قوله تعالى :

((كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)) . البقرة / 285 .

و منهم من ورد ذكره في القران الكريم ومنهم من لم يرد .

قال تعالى : ((ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك)) . النساء / 164 .

أما الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم فهم خمس وعشرون نبياً ، وهم :

آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذو الكفل ، موسى ، هارون ، داود ، سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى و محمد على نبينا وآله وعليهم السلام .

و قال شيخنا الصدوق : ((إعتقادنا في عددهم أنّهم مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ، ومئة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي ، لكلّ نبيّ منهم وصي أوصى إليه بأمر الله تعالى . ونعتقد فيهم أنّهم جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ ، وأنّ قولهم قول الله تعالى ، وأمرهم أمر الله تعالى ، وطاعتهم طاعة الله تعالى ، ومعصيتهم معصية الله تعالى ، وأنّهم :

(عليهم السلام) ، لا ينطقون إلاّ عن الله تعالى وعن وحيه .)) . إعتقادات الصدوق / ص92 .

وعلى ترتيب النبوة والرسالة والوصاية جاءت مفردات الدعاء بالكيفية التي مرت عليك.

فإنك إ ن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك .

ثم ورد : اللهم عرفني رسولك .....

ونبيه ورسوله كما هو أبين من الشمس هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله وسلم النبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الأولين والآخرين.

المرحلة الثالثة :

معرفة الحجة :

تمهيد :

في الدعاء ثلاثة يجب معرفتهم :

أولاً تجب معرفة الله .

ثم النبي والرسول صلى الله عليه وآله ثانياً .

ثم الحجة ثالثاً .

ولو لم نعرف ذلك ضللنا عن ديننا ، كما هو نص الدعاء .

وهذا قريب من قول رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية .)) ، أو ما يؤدي هذا المؤدى ، الذي ورد عند الفريقين .

فمَن هو إمام الزمان الوارد في الروايات ، أو (الحجة) الوارد في متن الدعاء ؟

لا أحد من المسلمين يدّعي من أن المسلم لو لم يعرف فلاناً أو فلاناً لأصبح ضالاً .

حتى لو لم يعرف الخلفاء الذين يعلمونهم .

وبكلام صريحٍ لا أحد يجرأ فيقول من أن الإنسان المسلم يموت ضالاً لو لم يعرف أبا بكر (رض) مثلاً ، أو عمر بن الخطاب (رض) ، أو عثمان بن عفان (رض) ، فضلاً عن بقية أمراء المسلمين ، وحتى قضاتهم ومشايخهم جميعاً من الأولين والآخرين .

إذاً هناك أمر ما وراء هذه المتون علينا أن نعرفه .

فكل واحد منا أيها المسلمون ولا يُستثنى أحدٌ أبداً منا لو لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، بحسب ما نطق به رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله وسلم ، على ما جاءت به أخبار المسلمين قاطبة ، فثبت عندهم ذلك ، وضيعه كثير منهم إن لم يكن كلهم ما عدا الذي آمن بأئمة أهل البيت الإثني عشر عليهم السلام ، المتواتر عدتهم وعددهم عند المسلمين قاطبة ، الذين

ضيع الظالمون مع الأسف أسمائهم ومنازلهم في خضم أحداث التاريخ ، آمنوا بها عدداً ، وضيعوها في حياتهم العملية إيماناً ، وتمسكاً واقتداءاً مع الأسف .

فإذن يا أخي المسلم ـ أينما كنت ـ أنت واحد من المغرر بهم ، فانتبه قبل نزول الموت ، وقبل الفوت .

فإني أسأل كل مسلم ـ بناءاً على تواتر ذلك وصحته عندنا جميعاً ـ ، و أقول له ناصحاً قبل كل شئ : سل مشايخك فإن أجابوك بالحق فبها ونعمت ، وإلا فاعلم أن من لم يجبك عنه فهو في ضلال ، فلا تجعل نفسك في ضلالٍ مثله .

من هم خلفاء الرسول الأثنا عشر ؟!

ومن الذي إذا لم نعرفه غير النبي الكريم صلى الله عليه و آله وسلم نموت ميتة جاهلية ؟!

روى في الكافي ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَمَعَ الْخَلْقِ وَبَعْدَ الْخَلْقِ .)) . أصول الكافي / الشيخ الكليني / بَابُ أَنَّ الْحُجَّةَ لا تَقُومُ لله عَلَى خَلْقِهِ إلا بِإِمَامٍ / ح4 .

وقد أورد ثلاث روايات قبلها ذات مؤدى واحد ، ننقل واحدة منها :

روى ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ (عَلَيْهِ السَّلام) قَالَ : إِنَّ الْحُجَّةَ لا تَقُومُ لله عَلَى خَلْقِهِ إلا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ .)) . المصدر نفسه / الروايات الثلاثة الأولى .

وقد بينت روايات أخر صفته ، سواء أكان نبياً أو مرسلاً أو عبداً صالحاً لله مخلَصاً غير نبي ولا رسول ، بالإضافة للرواية التي ذكرناها في مرحلة النبوة .

2ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً ، وَإِنَّ الله اتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولاً ، وَإِنَّ الله اتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلاً ، وَإِنَّ الله اتَّخَذَهُ خَلِيلاً قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاماً ، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الاشْيَاءَ قَالَ : إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً ، قَالَ فَمِنْ

عِظَمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ، قَالَ لا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقِيِّ .)) . المصدر نفسه / بَابُ طَبَقَاتِ الانْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالائِمَّةِ (عَلَيْهِم السَّلام) .

و روى ((الْحُسَيْنُ عَنْ مُعَلىً ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ أَحَدِهِمَا (عَلَيْهِما السَّلام) ، أَنَّهُ قَالَ : " لا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً حَتَّى يَعْرِفَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالائِمَّةَ كُلَّهُمْ ، وَإِمَامَ زَمَانِهِ ، وَيَرُدَّ إِلَيْهِ ، وَيُسَلِّمَ لَهُ . " .

ثُمَّ قَالَ : " كَيْفَ يَعْرِفُ الاخِرَ وَهُوَ يَجْهَلُ الاوَّلَ ؟ " .)) . المصدر نفسه / بَابُ مَعْرِفَةِ الإِمَامِ ، وَالرَّدِّ إِلَيْهِ / ح2 .

فإذن إذا أوردنا ما اشتهر و استفاض بل تواتر بين المسلمين من أن خلفائه أثنا عشر ، عرفنا المراد ، واختصرنا المسافات .

روى ((مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلام) إِنَّ اللهَ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ ، بَلِ الْخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِاللهِ .

قَالَ : صَدَقْتَ .

قُلْتُ : إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبّاً فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِكَ الرَّبِّ رِضًا وَسَخَطاً وَأَنَّهُ لا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ إِلا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ ، فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الْحُجَّةُ ، وَأَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ ، وَقُلْتُ لِلنَّاسِ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) كَانَ هُوَ الْحُجَّةَ مِنَ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ، قَالُوا بَلَى ، قُلْتُ فَحِينَ مَضَى رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) مَنْ كَانَ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ ؟ فَقَالُوا الْقُرْآنُ ، فَنَظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ بِهِ الْمُرْجِئُ وَالْقَدَرِيُّ ، وَالزِّنْدِيقُ الَّذِي لا يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يَغْلِبَ الرِّجَالَ بِخُصُومَتِهِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لا يَكُونُ حُجَّةً إِلا بِقَيِّمٍ ، فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقّاً ، فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ قَيِّمُ الْقُرْآنِ ؟

فَقَالُوا : ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ ، وَعُمَرُ يَعْلَمُ ، وَحُذَيْفَةُ يَعْلَمُ .

قُلْتُ : كُلَّهُ ؟

قَالُوا : لا .

فَلَمْ أَجِدْ أَحداً يُقَالُ إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلا عَلِيّاً (عَلَيْهِ السَّلام) ، وَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ فَقَالَ هَذَا لا أَدْرِي ، وَقَالَ هَذَا لا أَدْرِي وَقَالَ هَذَا لا أَدْرِي ، وَقَالَ هَذَا أَنَا أَدْرِي فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً (عَلَيْهِ السَّلام) كَانَ قَيِّمَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً ، وَكَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) ، وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ فَقَالَ رَحِمَكَ الله . فَقُلْتُ إِنَّ عَلِيّاً (عَلَيْهِ السَّلام) لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) وَأَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ وَأَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ الْحَسَنِ الْحُسَيْنُ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ الله فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَقُلْتُ وَأَشْهَدُ عَلَى الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلام) أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ الله فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَقُلْتُ وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ الله قُلْتُ أَعْطِنِي رَأْسَكَ حَتَّى أُقَبِّلَهُ فَضَحِكَ قُلْتُ أَصْلَحَكَ الله قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَاكَ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ وَأَشْهَدُ بِالله أَنَّكَ أَنْتَ الْحُجَّةُ وَأَنَّ طَاعَتَكَ مُفْتَرَضَةٌ فَقَالَ كُفَّ رَحِمَكَ الله قُلْتُ أَعْطِنِي رَأْسَكَ أُقَبِّلْهُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ فَضَحِكَ وَقَالَ سَلْنِي عَمَّا شِئْتَ فَلا أُنْكِرُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدا .)) .

أصول الكافي / الشيخ الكليني / كتاب الحجة / ب فرض طاعة الأئمة / ح2 .

عن ((عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه ، عمن ذكره ، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا ، حتى تصدقوا ولا تصدقوا ، حتى تسلموا ، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها . . . إنما يتقبل الله من المتقين ، فمن اتقى الله فيما أمره لقى الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا ، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم

يطع الله ولا رسوله ، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل ، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره فقال : وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، تاه من جهل ، واهتدى من أبصر وعقل .

إن الله عز وجل يقول : فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ، وكيف يهتدي من لا يبصر ؟ وكيف يبصر من لم يتدبر ؟

إتبعوا رسول الله وأهل بيته ، وأقروا بما نزل من عند الله ، واتبعوا آثار الهدى ، فإنهم علامات الإمامة والتقى .

واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى ابن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن .

اقتصوا الطريق بالتماس المنار ، والتمسوا من وراء الحجب الآثار ، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم ...)) . الكافي / 1 / 180 .

(ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه ، ويعتقد إمامته وفرض طاعته ، وأنه أفضل أهل عصره وسيد قومه ، وأنهم في العصمة والكمال كالأنبياء عليهم السلام .

يعتقد أن كل رسول لله تعالى فهو نبي إمام ، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً ، وأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه وخاصة أصفياء الله ، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عليه أفضل السلام ، وبعده الحسن والحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي بن موسى ، ثم علي بن محمد بن علي ، ثم الحسن بن علي بن محمد ، ثم الحجة القائم بالحق ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام ، لا إمامة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرهم ، ولا يستحقها سواهم ، وأنهم الحجة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام ، وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام ،

والشهداء على رعاياهم يوم القيامة ، كما أن الأنبياء عليهم السلام شهداء الله على أممهم ، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تقبل الأعمال ، وبعداوتهم والجهل بهم يستحق النار .) . المقنعة / 32 .

.....

(يجب أن يعتقد أن الإمامة حق ، كما اعتقد أن النبوة حق ، ويعتقد أن الله عز وجل الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله نبياً هو الذي جعل الإمام إماماً ، وأن نصب الإمام واختياره إلى الله عز وجل ، وأن فضله منه.

ويجب أن يعتقد أنه يلزمنا من طاعة الإمام ما يلزمنا من طاعة النبي صلى الله عليه وآله وكل فضل آتاه الله عز وجل نبيه فقد آتاه الإمام إلا النبوة. ...) . الهداية للصدوق / باب الإمامة / 6 .

ثم بعد ذلك بعدة اسطر يقول ((ويجب أن يعتقد أنهم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأنهم الشهداء على الناس ، وأنهم أبواب الله والسبيل إليه والأدلاء عليه ، وأنهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده ، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل ، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأن لهم المعجزات والدلائل ، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماوات ، ومَثَلُهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح وباب حطة الله ، وأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ويجب أن يعتقد أن حبهم إيمان وبغضهم كفر ، وأن أمرهم أمر الله ونهيهم نهي الله ، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، ووليهم ولي الله وعدوهم عدو الله.

ويجب أن يعتقد أن حجة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب غليهم السلام، وأنه هو الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله به عن الله عز وجل بإسمه ونسبه ، وأنه هو الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وأنه هو الذي يظهر الله عز وجل به دينه صلى الله عليه وآله على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنه هو الذي يفتح الله عز وجل على يده مشارق الأرض ومغاربها ، حتى لا يبقى مكان إلا ينادى فيه بالأذان ويكون

الدين كله لله ، وأنه هو المهدي الذي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه ، ويكون إذا صلى خلفه مصلياً خلف الرسول صلى الله عليه وآله لأنه خليفته.

ويجب أن يعتقد أنه لا يجوز أن يكون القائم غيره ، بقي في غيبته ما بقي ، ولو بقي في غيبته عمر الدنيا لم يكن القائم غيره ، لأن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عرفوا باسمه ونسبه ونصوا به وبشروا .)) . نفس المصدر السابق .

وقال الصدوق : (حدثنا أبي (رض) قال :حدثنا أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبدالكريم بن عبدالله ، عن سلمة ابن عطا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي (عليهما السلام) على أصحابه فقال أيها الناس: إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوا استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه.

فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله ؟

قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته ؟

قال مصنف هذا الكتاب يعني ذلك: أن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذي لا يخليهم في كل زمان عن إمام معصوم ، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عز وجل.)) . علل الشرائع / ج 1 / ص 9 .

وعن محمد بن علي بن الحسين ، في معاني الأخبار عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبيه ، عن علي بن النعمان ، عن فضيل بن عثمان ، قال: سئل أبوعبدالله عليه السلام عما روى عن أبيه : إذا عرفت فاعمل ما شئت ، وأنهم يستحلون بعد ذلك كل محرم ، فقال : ما لهم لعنهم الله ؟

إنما قال أبي عليه السلام : إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك . وسائل الشيعة : ج 1 / ص 88 .

وجاء في مستدرك الوسائل عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام بيان ذلك تفصيلاً حيث ورد فيه : ((أن رجلاً من أصحابه ذكر له عن بعض من مرق من شيعته واستحل المحارم وأنهم يقولون إنما الدين المعرفة فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت !

فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنا لله وإنا إليه راجعون ، تأول الكفرة ما لا يعلمون ، وإنما قيل إعرف واعمل ما شئت من الطاعة فإنه مقبول منك ، لأنه لا يقبل الله عملاً من عامل بغير معرفة.

لو أن رجلاً عمل أعمال البر كلها وصام دهره وقام ليله وأنفق ماله في سبيل الله وعمل بجميع طاعة الله عمره كله ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدقه ، وإمام عصره الذي افترض الله طاعته فيطيعه ، لم ينفعه الله بشئ من عمله ، قال الله عز وجل في مثل هؤلاء: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً.)) . مستدرك الوسائل : ج1 / ص 174 .

وبنفس ألفاظه إلا القليل منها جاء في دعائم الإسلام . ج1 / ص52 .

وهكذا بالنص ثبتت أسماؤهم ، وبالدلائل ظهرت .

وبما أن الكتاب مخصص لمعرفة حجة زماننا بالخصوص ، لذا نقول :

أولاً من تواتر المسلمين نعلم من أنه لابد لآخر الزمان من حجة مهدي بإذن الله .

ومن التواتر عندنا فهو معلوم النسب ومعروف .

بالإضافة إلى ذلك فالنصوص قد دلت عليه وشخَّصته .

فمن النص على الحجة على اعتباره إمام زماننا عليه السلام :

ما رواه الصدوق عن محمد بن علي بن ماجيلويه عن محمد بن يحيى العطار عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري قالوا : عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال : " هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ، ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا ." .

قالوا فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد (ع) .)) . كمال الدين / الشيخ الصدوق / ج2 / ص 435 .

وقد روى الشيخ الصدوق في الفقيه بسند صحيح عن عبدالله بن جعفر الحميري أنه قال : سألت محمد بن عثمان العمري رضي اللّه عنه ، فقلت له : رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال : « نعم ، وآخر عهدي به عند بيت اللّه الحرام ، وهو يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني .

قال محمد بن عثمان رضي اللّه عنه وأرضاه : ورأيته صلوات اللّه عليه متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهمّ انتقم لي من أعدائك .)) . كتاب من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق / ج 2 / 306 .

8 ـ حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي ، قال : سمعت أبا محمد الحسن ابن علي عليهما السلام يقول :

" كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني ، أما إن المقر بالائمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله لان طاعة آخرنا كطاعة أولنا ، والمنكر لاخرنا كالمنكر لأولنا .

أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا مَن عصمه الله عزوجل . " .

9 ـ حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه قال : حدثني أبو علي بن همام قال : سمعت محمد بن عثمان العمري ـ قدس الله روحه ـ يقول : سمعت أبي يقول : سُئل أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام ، وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام : « أن الارض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلي يوم القيامة ، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . » فقال عليه السلام : " إن هذا حق كما أن النهار حق . " .

فقيل له : يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك ؟

فقال : " إبني محمد ، هو الإمام ، والحجة بعدي ، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية . " .

أما إنّ له غيبة يُحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون ، ويكذب فيها الوقّاتون ، ثم يخرج ، فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة .)) . كمال الدين / الشيخ الصدوق / (409) .

و لهذه المرحلة عدة فصول .

الفصل الأول :

الفرق بين العلم والمعرفة :

كلمة العلم :

العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد ، يدلّ على أَثرٍ بالشيء يتميَّز به عن غيره . مقاييس اللغة (4 / 109)

و العِلْم مصدر علِم يعلَم ، ، وهو نقيض الجهل . أنظر كتب اللغة منها : لسان العرب (مادة عَلم) .

و ورد في اللسان أيضاً : أن ((العِلْم نقيضُ الجهل ، عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هو نَفْسُه ، ورجل عالمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ)) .

وفي (مقاييس اللغة)) : (تعلّمت الشَّيءَ ، إذا أخذت علمَه)) . ومَن أخذ عِلْمَ عِلْمٍ ما صار من أهل العلم به ... والعِلم يَرْسَخُ في قلب الإنسان .

و الراسخ في العلم البعيد العلم . . والعالم الرَّاسِخُ في العِلم والدين ، أَو الذي يَطْلُب بِعلْمِه وجهَ اللّهِ ، ويقال له : الرباني .. يُجمع على : عُلَماءُ وعُلاَّمٌ .

و قال الجويني: " وَالْعِلْمُ : مَعْرِفَةُ الْمَعْلُومِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ فِي الْوَاقِعِ . " . الورقات (8) .

وقال ابن القيم: " هو نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس " . الفوائد / الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية. / 91 .

وقال الجرجاني: " هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " . التعريفات (191) .

كلمة المعرفة :

العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدُهما على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض ، والآخر على السكون ، والطُّمَأنينة .

فالأوّل العُرْف : عُرْف الفَرَس ، وسمِّي بذلك لتتابُع الشَّعر عليه....

والأصل الآخر المعرفة ، والعِرفان ، تقول : عَرَف فلانٌ فلاناً عِرفاناً ، ومَعرِفة .

وهذا أمر معروف . وهذا يدلُّ على ما قلناه من سُكونه إليه ، لأنَّ مَن أنكر شيئاً توحَّشَ منه ، ونَبَا عنْه .)) . أنظر مقابيس اللغة / مادة عرف .

و ورد في (العباب الزاخر) : المَعْرفَةُ والعِرْفانُ : مصدرا عَرَفْتُه أعْرِفُه ..

و العِرْفَةُ - بالكسر - : المَعْرِفَةُ والعِرفان . تقول : عَرَف فلانٌ فلاناً عِرفاناً ومَعرِفة .

ونقول : هذا أمر معروف.

هذا بعض ما ورد في قواميس اللغة .

<u>وأما من جهة الإستعمال :</u>

ففعل المعرفة متعدٍ لمفعول واحد : تقول : عرفتُ زيداً ، أو عرفت الدار .

قال تعالى : ((فعرفهم وهم له منكرون)) يوسف / 58 . ، وقال تعالى : ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) البقرة / 146 . .

وقال الشاعر عنترة بن شداد العبسي في مطلع معلقته المشهورة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وأما فعل العلم فهو متعدٍ لمفعولين ، ولذا قال ابن مالك في ألفيته في بداية باب ظن وأخواتها :

انصب بفعل القلب جزأي ابتدا أعني رأى خالَ علمتَ وجدا

وبعدها قال : إلى ثلاثة رأى وعلما عدّوا ، إذا صارا أرى وأعلما

وقد ((أشار بهذا الفصل إلى ما يتعدى من الافعال إلى ثلاثة مفاعيل ، فذكر سبعة أفعال : منها " أعلم ، وأرى " .

فذكر أن أصلهما " علم ، ورأى " ، وأنهما بالهمزة يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل ، لأنهما قبل دخول الهمزة عليهما كانا يتعديان إلى مفعولين ، نحو :

" علم زيد عمراً منطلقاً ، ورأى خالد بكراً أخاك " ، فلما دخلت عليهما همزة النقل زادتهما مفعولاً ثالثا .)) . ج1 / ص440 ./ شرح ابن عقيل / بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني / الطبعة الثانية ، 1985 / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / الناشر : دار الفكر – دمشق .

قال تعالى : ((فإن علمتموهنّ مؤمنات)) .

وقد قال الله تعالى : ((وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)) .

وكأنه هنا استعملها للمقابلة ، إذ لا يصح استعمال عرف ومشتقاتها مع لفظ الجلالة إذا كان فاعلاً ، كما ذكرنا .

نقول بدواً إنه من الممكن أن تستعمل علم بمعنى عرف ، ولذا قال ابن مالك في ألفيته أيضاً :

لعلم عرفان وظن تهمه تعدية لواحد ملتزمه

لعلم " جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وعلم مضاف و " عرفان " مضاف إليه .

" وظن " معطوف على علم ، وظن مضاف ، و " تهمة " مضاف إليه .

" تعدية " مبتدأ مؤخر .

" لواحد " جار ومجرور متعلق بتعدية .

" ملتزمة " نعت لتعدية .

إذا كانت " علم " بمعنى عرف تعدت إلى مفعول واحد ، كقولك : " علمت زيدا " ، أي : عرفته ، ومنه قوله تعالى :

((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)) .)) . ج1 / ص452 / شرح ابن عقيل .

ولعل هذا ما حدا ابن منظور ألا يفرق بين العلم والمعرفة . انظر في عدم التفريق بين معنى العلم والمعرفة في اللغة : ابن منظور ، لسان العرب / 9 / 236 ، وإن كان قد أشار إلى التفريق كما أشرنا في بداية الحديث .

فلوجود القرينة الصارفة استعمل أحدهما بدل الآخر .

وقد جاء في تاج العروس :

((وفي البصائر : المعرفة إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره ، وهى أخص من العلم .

والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظا ومعنى :

أما اللفظ :

ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد ، وفعل العلم يقتضى مفعولين ، وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة .

وأما من جهة المعنى :

فمن وجوه : أحدها : إن المعرفة تتعلق بذات الشئ ، والعلم يتعلق بأحواله .

والثانى : أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ، فإذا أدركه قيل عرفه ، بخلاف العلم .

فالمعرفة نسبة الذكر النفسي ، وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر ، ولهذا كان ضدها الانكار ، وضد العلم الجهل .

والثالث : أن المعرفة علم لعين الشئ مفصلا عما سواه ، بخلاف العلم فانه قد يتعلق بالشئ مجملا . ولهم فروق أخر غير ما ذكرنا .)) .

من ذلك و من غيره يظهر لنا :

1 : أن أهل اللغة ربما لم يفرقوا بينهما في المعنى :

ففي مختار الصحاح : وعلم الشيء بالكسر يعلمه علما عرفه . مختار الصحاح (بتحقيق محمود خاطر) / 189 .

وقال ابن منظور في لسان العرب : ((عرف : العرفان العلم ، ثم نقل عن ابن سيده قوله : وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان .)) . لسان العرب / 9 / 236 / طبعة دار صادر.

وكلامه الأخير يدل على التفريق ، بل صرح بالفرق حيث قال :

((وفي التعريفات : المعرفة إدراك الشيءِ على ما هو عليهِ ، وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العِلْم ، بخلاف العِلْم ولذلك يُسمَّى الحقُّ بالعالمِ دون العارف .

وفي الكلّيات : والعِلْم يقال لإدراك الكلّي أو المركَّب .

والمعرفة تقال لإدراك الجزئيّ أو البسيط ، ولهذا عرفت اللَّه دون علمتهُ .)) . لسان العرب / مادة عرف .

و هذا أبو هلال العسكري في كتابه ((الفروق في اللغة)) ؛ في مستهل الباب الرابع منه فرّق بين العلم والمعرفة قائلا :

((إن المعرفة أخص من العلم : لأنها علم بعين الشيء منفصلا عما سواه ، والعلم يكون مجملا ومفصلا .

قال الزهري : لا أصف الله بأنه عارف ، ولا أعنّف من يصفه بذلك ؛ لأن المعرفة مأخوذة من عرفان الدار يعني آثارها التي تعرف بها.

قال : ولايجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل .

قال والمعرفة تمييز المعلومات ، فأومأ إلى أنه لايصفه بذلك كما لايصفه بأنه مميز .

وليس ماقاله بشيء ، لأن آثار الدار إن كانت سميت عرفاناً فسميت بذلك لأنها طريق إلى المعرفة بها ، وليس في ذلك دليل على أن كلَّ معرفةٍ تكون من جهة الأثر و الدليل ، وهذا الرد واضح ما فيه ، إذ لم يقل الرجل من أن كل معرفة يجب أن تكون من جهة الأثر ، بل لأن المعرفة مأخوذة من ذلك نزهوا الله عن أن يوصف بذلك – منا - . وأما وصف العارف بأنه يفيد تمييز المعلومات في علمه فلو جعله دليلا على أن الله عارف كان أولى لأن المعلومات متميزة في علمه . بمعنى أنها متخيلة له ، وإنما لم يسم علمه تمييزا لأن التمييز فينا هو استعمال العقل بالنظر ، والفكر اللذين يؤديان إلى تمييز المعلومات . فلم يمتنع أن توصف معلوماته بأنها متميزة ، وإن كان لا يوصف بأنه مميز لأن تميزها صفة لها لا له .

والمعرفة بها تفيد ذلك فيها ، لا فيه ، فكل معرفة علم ، وليس كل علم معرفة .

وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ، ولفظ العلم لايفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم .

والشاهد قول أهل العلمِ العلمُ يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما إلا أن يكون بمعنى المعرفة كقوله تعالى : ((لاتعلمونهم الله يعلمهم)) الأنفال / 60 . ، أي لاتعرفونهم الله يعرفهم .

وإنما كان ذلك كذلك لأن لفظ العلم مبهم ؛ فإذا قلت : علمت زيدا فذكرته باسمه الذي يعرفه به المخاطب لم يفد ، فإذا قلت قائما أفدت ، لأنك دللت بذلك على أنك علمت زيداً على صفة جاز أن لاتعلمه عليها مع علمك به في الجملة .

وإذا قلت عرفت زيدا أفدت لأنه بمنزلة قولك علمته متميزا من غيره فاستغنى عن قولك متميزا من غيره لما في لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك .

والفرق بين العلم والمعرفة إنما يتبين في الموضع الذي يكون فيه جملة غير مبهمة ؛ ألاترى أن قولك علمت أن لزيد ولداً وقولك عرفت أن لزيد ولداً يجريان مجرى واحداً .)) . الفروق في اللغة / أبو هلال العسكري / الطبعة الرابعة - 1980 - ص 72 - 73.

وقال أبو حيان التوحيدي في المقابسات : في المقابسة السبعون : ((في أن التماس الرخصة عند المشورة خطأ : سمعت أبا سليمان ويعني به : محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني ، وهو شيخ أبي حيان التوحيدي في الفلسفة . وكان من علماء بغداد الكبار فيها وفي المنطق والحكمة ؛ كان كريم العين ، أبرص الوجه ، وهذا ما منعه أن يرتاد مجالس الخاصة من الأمراء والوزراء ، واختص بمجلس خاص به ، توفي أواخر القرن الرابع الهجري .

يقول .....)) ثم قال التوحيدي :

((وسألته أي سأل أبا سليمان المذكور . عن الفرق بين المعرفة والعلم ؟ فقال : المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية : والعلم أخص بالمعقولات والمعاني الكلية .

قال غيره : ولهذا يقال في الباري : يعلم ، ولا يقال يعرف ، ولا عارف .)) . أبو حيان التوحيدي / المقابسات / المقابسة السبعون : في أن التماس الرخصة عند المشورة خطأ .

2 : و الإستعمال القراني فرَّق بينهما ، حيث استعمل مادة العلم ومشتقاتها صفة لله سبحانه وتعالى ، ولم يستعمل مادة المعرفة كذلك ، كما تبين لك في بعض ما مر .

وهذا شاهد بيِّن على أن هناك فرقاً بينهما .

قالوا من أن الفرق يكمن في أن :

أ : المعرفة ربما يسبقها جهل ، والعلم ليس كذلك .

قال الطوفي في شرح مختصر الروضة : وقيل المعرفة تستدعي سابقة جهل بخلاف العلم .

الطوفي / شرح مختصر الروضة / ج 1 / ص 174 .

و لكن هذا التفريق يُشكل عليه بعضُ آي القرآن ، كمثل قوله تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " النحل / 78 . فوصف ما كان مسبوقا بالجهل بالعلم ، و لم يصفه بالمعرفة .

وجاء في معلقة زهير أبن ابي سلمى

و أعلم ما في اليوم و الأمس قبله * * * و لكنني عن علم ما في غدٍ عمِ

ومطلع المعلقة :

أمن أم أوفى دمنةٌ لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

إلى أن يقول فيها :

رأيت المنايا خبط عشواء مَن تُصبْ ... تمتهُ و من تـُخطئ يُعمّرْ فيهرمِ

و أعلمُ ما في اليوم و الأمس قبلهُ ... و لكنّني عن علم ما في غدٍ عمِ

فهنا أيضاً وصف ما كان مسبوقاً بالجهل بالعلم .

ب : إن المعرفة تأتي بعد تدبر وتفكر ، بينما العلم ليس له هذه الخصوصية .

ولعلّ قول الزهري المار الذكر قبل قليل " لا أصف الله بأنه عارف ... لأن المعرفة مأخوذة من عرفان الدار يعني آثارها التي تعرف بها . قال : ولايجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل . " يعود إلى هذا .

ولو ألقينا نظرة سريعة نحو أقوال الشعراء وغزلهم لرأينا أنهم يتصورون و يتوهمون أولاً ، ثم يعرفون إذا صح التعبير :

قال عنترة العبسي في معلقته :

هل غادر الشعراء من متردم *** أم هل عرفت الدار بعد توهم

و قال زهير زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات ، وابنه كعب بن زهير صاحب القصيدة المشهورة في مدح رسول الله صلى الله عليه و آله المسماة بالبردة :

وقفت بها من بعد عشرين حجة *** فلأياً عرفت الدار بعد توهم

أي بعد إبطاء ، بتقدير محذوفٍ ، أو مبطئاً عرفت الدار .

فمن استعمالاتهم يظهر ذلك ، وربما هذه أحد الأسباب الأخر التي لا تجيز للمتكلم بأن يصف الله من كونه عارفاً .

وحاشا لله أن يتصف بذلك .

و الله سبحانه أبعد الألفاظ التي تعود عليه إذا كان فيها أدنى ملابسة من جهة هذه الأمور ومشابهاتها ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

بعد أن اطلعنا على ان الله تعالى لم يستعمل في كتابه المعرفة صفة لله تعالى ، واستعمل العلم ، منها قوله تعالى :

((والله يعلم و أنتم لا تعلمون)) البقرة / آية 216 .

كما أنه وصف نفسه بصفة العلم ، بل من أسمائه الحسنى عالم الغيب والشهادة ، بل أتى بصيغة المبالغة المضافة للجمع " علام الغيوب " على لسان عبيده : ((إنك أنت علام الغيوب)) المائدة / 109 .

بينما المعرفة كصفة له سبحانه لا نجد لها عيناً ولا أثراً في كتابه الكريم .

وهذا يدل على الفرق .

ولكن ماهو ؟

هذا ما احتار به أرباب الفكر .

حتى قالوا إنه لا يصح أن تنسب المعرفة لله سبحانه أصلاً .

وهذا يرده ورود أحاديث كثيرة جاءت بهذه النسبة .

منها :

((ياعلي ما عرف الله إلا أنا وأنت ، ولا عرفني إلا الله وأنت ، ولا عرفك إلا الله وأنا .)) . إرشاد القلوب / الديلمي / ج2 / ص209 ؛ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة / السيد شرف الدين الحسيني (ت : 940 هـ) / ص 145 .

نعم لا يقال له " العارف " لأن أسمائه الحسنى توقيفية .

و حتى لو استعمل فإنه لا يستعمل إلا بصورة نادرة ، ولعل مرد ذلك :

لأن المعرفة في أغلب الأحيان يسبقها جهل ، بعكس العلم .

كما أنها تأتي بعد تفكر وتدبر .

بعض الألفاظ التي لا يُمكن أن تُستعمل صفة لله تعالى ، ولماذا ؟! :

ولا يستعمل أي لفظٍ فيه مظنة عدم كمال مطلق لله في صفاته ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

فهو لا يوصف باليقين مع أنه أعلى درجات العلم ، لأن اليقين ربما دلّ على سبق تردد أو نقص في المعلومة ، واضطراب ، أو إن اليقين يأتي بعد برهان واستدلال ، فتسكن النفس له ، وهذا مما لا يمكن أن يوصف الله سبحانه به ، فانتبه .

ولا يوصف بالإدراك و كأن الإدراك يطلق على شئ متأخر عن شئ ثم يدركه ، أي يلحق به ، كما إن الإدراك يستعمل مقابل الإحساس بالشئ ، فتقول أحسستُ به بحواسي ، وأدركته بعقلي ، لذا ورد :

الإدراك : هو أن يدرك الإنسان الشيء ، وإن لم يحس به .

والإحساس : هو أن يشعر به ، فكل ما تشعر به فقد أحسسته .

كما أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بالدراية .

قال المناوي في تعاريفه : (الدراية المعرفة المدركة بضرب من الحيل) التعاريف للمناوي / فصل الراء / باب الدال . ، وذلك لأنها مشتقة من " دريتُ الصيدَ ، و أدريته ، أي ختلته ، وكأن العلم قد حصل بضرب من الحيلة .

والله متنزه عن هذا كله .

ولذا قالوا إنها أي الدراية : المعرفة المدركة بضرب من الحيل . راجع كتب اللغة . أنظر مثلاً : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، و لسان العرب لابن منظور ، وكتاب الخصائص لابن جني وغيرها من كتب اللغة .

وحتى عندما استعمل المقابلة لم يستعمل هذه اللفظة أصلاً ، مع أنه أولى بالأسلوب العربي ، وذلك لما ذكرنا ،

قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))

لقمان / 34 .

فنراه قد استعمل " عليم خبير " مقابل الدراية .

وإن كان السبب يمكن أن يكون لغير ذلك ، ويمكن إجماله : لأنه لو استعمل الدراية لظن ظان من أن الله يدري ، وهذا يوقع الإنسان بجهل قريب منه ، من أن الله تعالى يدري ما يكسب هو غدا سبحانه ويدري هو بأي أرض يموت جلّ وعلا سبحانه ، وهذا جهل بالله ما بعده جهل ، ولذا استعمل العلم دون هذا الفعل .

أو لكليهما ، فانتبه .

و العلم كما أشرنا في مطلع حديثنا من الصفات التي استعملها القران الكريم كثيراً ليصف الله تعالى به على اختلاف الصيغ .

وقد قال تعالى ((والله يعلم و أنتم لا تعلمون)) البقرة / 216 .

فنرى في هذه الآية المباركة نسب العلم إلى نفسه ، ونفاهُ عنا ، لما للعلم من أهمية عظيمة .

وقد قال تعالى : ((وعلَّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما))

فلمكانة العلم وصف ذلك الفضل بالعظيم .

فالعلم « صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما » . الشوكاني / إرشاد الفحول / 20 .

بحيث يحصل ذلك المطلوب « في النفس حصولاً لا يطرق إليه احتمال كذبه » . الآمدي / المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين / 423 / ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب / لعبد الأمير الأعسم .

فيعبر عنه بالعلم الحصولي .

أو يحضر بنفسه ، وهو أعلى مراتب العلم ، الذي يُعبر عنه عندهم بالعلم الحضوري .

وعوداً على بدءٍ نقول :

إذاً يمكن أن يكون ثمّة عدّة فوارق بين العلم والمعرفة :

1) : فعل المعرفة يقع على مفعول واحد ، وفعل العلم يقتضى مفعولين ، وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة .

2) : إن المعرفة لها تعلق بذات الشئ ، ، مثاله : تقول مستفهماً هل عرفتَ أباهُ ؟ ولا يصح هل علمت أباه ؟

أما العلم فيتعلق بأحوال الشئ : ولذا يصح قولك لو قلت : علمت أباه صالحاً .

ولذا قالوا :

((المعرفة حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس ، والعلم حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه ، فالمعرفة تشبه التصور ، والعلم يشبه التصديق .)) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (691 -751) / دار الكتاب العربي - بيروت / 1973 / ط 2 / تحقيق محمد حامد الفقي .

و((الفرق بينهما أن المعرفة متوجهة إلى ذات المسمى ، والعلم متوجه إلى أحوال المسمى .)) . محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / في تفسير قوله تعالى(ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ...) / الجامع في أحكام القرآن / (طبعة الشعب) ج 1 /ص 439 .

ولذا نلاحظ الإستعمال القراني للمعرفة متوجه إلى الذات ، فلاحظ : (تعرفهم) ، (يتعارفون) ، (تعرف... المنكر) ، ثم أخيراً (تعرف ... نضرة النعيم) ، فهو متوجه إلى الذات ، أو إلى الصفة مباشرة ، كما في الآيات الآتية ، على التسلسل :

((للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإنَّ الله به عليم)) البقرة / 273 .

((ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين)) يونس /45 .

((وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير)) الحج / 72 .

((تعرف في وجوههم نضرة النعيم)) المطففين / 24 .

وقد جاء الأمر بالعلم دون المعرفة لما يتعلق بالذات الإلاهية ، قال تعالى : ((فاعلم أنه لا إله إلا الله)) ، وقال تعالى : ((اعلموا أن الله شديد العقاب)) ، وقال عزّ مِن قائل : ((فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)) .

3) : فبالمعرفة نميز المعروف عن غيره ، وبالعلم نميز صفاته عن صفات غيره .

ولذا تقول : عرفت الله ، ولا يصح علمت الله ، ولما سيأتيك في النقطتين الأخيرتين .

4) : إذا كانت هناك صفات لذات مجهوله عندنا ثم رأيناها حاملة لصفاتها فسنقول بأننا عرفناها ، ومن هنا جاء قوله تعالى : ((الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)) 146 / البقرة .

وحتى لو كانت الذات مفقودة وليست بمجهولة ورأيناها فإننا نقول بأننا عرفناها ، ومن هنا جاء قوله تعالى : ((ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم))

وقال تعالى : ((وجاء أخوه يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون))

وقال تعالى : ((وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)) .

فنستطيع أن نقول من أن المعرفة تكون بالشئ الذي أدركه العقل ثم غاب عنه لفترة ثم أدركه ، أو لما عرفه بالصفات فقط ثم شاهده .

5) : ومن الذي تقدم علمنا من أن ضدَّ المعرفة هو الإنكار ، وضدَّ العلم الجهل .

ولذا قال الله تعالى في محكم كتابه : ((يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)) .

6) : والذي أراه من أن المعرفة لها حد محدود وعلامات تقود ، منها يتوصل إلى شئ ليصبح معروفاً ، بينما العلم يمكن له الإحاطة التامة بالمعلوم ، من الخصوصيات إلى عموميات الشئ ، وله أن يُدرك زوايا منه فقط ، وبهذا تتفاوت مقادير الرجال .

ولذا قال الله تعالى :

((يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ..))

وقال عز من قائل : (((يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) (طه / 109 - 110) .

وهذا الشئ نراه في مصاديق كثيرة :

فالمعرفة والنكرة عند النحاة ، ليست ببعيدة عنا ، لو دققنا فيهما لرأينا نكتة لابد من ذكرها .

والأول أي المعرفة عندهم كما نعلم هو كل اسم له دلالة معينة .

فأي دلالة فيه صغيرة كانت أو كبيرة ، لها القابلية في نقل الاسم من كونه نكرة إلى ما يجعله صالحاً لأن يوصف بكونه معرفة ، لهذا فهو يُطلق :

على كل علم

على كل ضمير

بل على كل من عُرّف بالألف واللام حتى وإن كان فقط لأجل ذكره قبل قليل ، فمجرد ذكره جعله أهلاً لأن يتصف بكونه معرفة وهكذا .....

من هنا أيضاً نستشف من أن المعرفة في لغة العرب تطلق على أي شئ نطلع عليه ، ولو بأدنى معلومة .

فأي أمر حتى وإن كان بسيطاً عن الشئ يتبين لك فلك أن تقول بأنني أعرف ذلك الشئ ولو لأجل تلك المعلومة البسيطة .

ومن أجل ذلك أصبحت للمعرفة مراحل ، استقصاها الشيخ المظفر في كتابه المنطق ، فكانت خمساً :

المرحلة الأولى : المرحلة التصورية :

وقد قال فيها :

((تطلب فيها تصور معنى اللفظ تصوراً إجمالياً ، فتسأل عنه سؤالاً لغوياً صرفاً ، إذا لم تكن تدري لأي معنى من المعاني قد وضع ....ويسمى التعريف اللفظي ، وقواميس اللغات هي المتعهدة بالتعاريف اللفظية .)) .

المرحلة الثانية : السؤال عنه ب(ما) الشارحة .

(و يصح أن يجاب بالفصل وحده أو بالخاصة وحدها، أو بأحدهما منضماً إلى الجنس البعيد ، أو بالخاصة منضمة إلى الجنس القريب .

وتسمى هذه الأجوبة تارة بالحد الناقص وأخرى بالرسم الناقص أو التام، ولكنها توصف جميعاً بالاسمي .))

(ولو فرض أن المسؤول أجاب خطأ بالجنس القريب وحده ، كما لو قال) شجرة (في جواب) ما النخلة (ـ فان السائل لا يقنع بهذا الجواب ، وتتوجه نفسه إلى السؤال عن مميزاتها عن غيرها ، فيقول) : أية شجرة هي في ذاتها ؟ (أو) أية شجرة هي في خاصتها ؟

(فيقع الجواب عن الأول بالفصل وحده فيقول) : مثمرة التمر (وعن الثاني بالخاصة ، فيقول) : ذات السعف .) مثلاً .

وهذا هو موقع السؤال بكلمة) أي (وجوابها الفصل ، أو الخاصة) .

المرحلة الثالثة : (وهي طلب التصديق : بوجود الشيء ، فتسأل عنه بـ هل ، (وتسمى) هل البسيطة) ، فتقول : هل وجد كذا ؟ ، أو هل هو موجود ؟

تلك التي تسأل بها إذا كنت عالماً بوجود الشيء قبل العلم بتفصيل ما أجمله اللفظ الدال عليه ، ثم تسأل عنه بـ (ما) ،

أو أنك على خلاف الطبع قدمت السؤال عن وجوده فأجبت .

وحينئذٍ اذا كان عالماً بوجود الشيء قبل العلم بتفصيل ما أجمله اللفظ الدال عليه ، ثم سأل عنه بـ (ما) ، فإن ما هذه تسمى (الحقيقية.) . والجواب عنها نفس الجواب عن (ما الشارحة) ، بلا فرق بينهما إلا من جهة تقدم الشارحة على العلم بوجوده ، وتأخر الحقيقية عنه .

وانما سميت حقيقية ، لأن السؤال بها عن الحقيقة الثابتة ــ والحقيقة باصطلاح المناطقة هي الماهية الموجودة ــ والجواب عنها يسمى (تعريفاً حقيقياً) ، وهو نفسه الذي كان يسمى (تعريفاً اسمياً) قبل العلم بالوجود ، ولذا قالوا :

" الحدود قبل الهليات البسيطة حدود اسمية ، وهي بأعيانها بعد الهليات تنقلب حدوداً حقيقية . " .

المرحلة الرابعة : وهي طلب التصديق بثبوت صفة أو حال للشيء ، ويسأل عنه بـ (هل) أيضاً، ولكن تسمى هذه (هل المركبة) ، لأنه يسأل بها عن ثبوت شيء لشيء بعد فرض وجوده ، والبسيطة يسأل بها عن ثبوت الشيء فقط .

فيقال للسؤال بالبسيطة مثلاً : هل الله موجود .

وللسؤال بالمركبة بعد ذلك : هل الله الموجود مريد .

فإذا أجابك المسؤول عن هل البسيطة أو المركبة تنزع نفسك إلى :

المرحلة الخامسة : وهي طلب العلة : أما علة الحكم فقط ، أي البرهان على ما حكم به المسؤول في الجواب عن هل ، أو علة الحكم وعلة الوجود معاً ، لتعرف السبب في حصول ذلك الشيء واقعاً .

ويسأل لأجل كل من الغرضين بكلمة (لِمَ) الاستفهامية ، فتقول لطلب علة الحكم مثلاً : لِمَ كان الله مريداً ؟

وتقول مثلاً لطلب علة الحكم وعلة الوجود معاً : لِمَ كان المغناطيس جاذباً للحديد ؟ ، كما لو كنت قد سألت هل المغناطيس جاذب للحديد ؟

فأجاب المسؤول بنعم ، فان حقك أن تسأل ثانياً عن العلة فتقول : (لِمَ) .)) . محمد رضا المظفر / المنطق / الباب الثالث / المُعرّف وتلحق به القسمة / المقدمة / بتصرف غير مخل .

من هذا يتبين لنا أن المعرفة لها درجات ، وفي أي درجة هي معرفة .

ولكن العلم بالشئ يقتضي الإحاطة به إحاطة تامة ، إلا إذا قامت قرينة دون ذلك .

و لعله لذا احتجنا لأن يُبين لنا أن فوق كل ذي علم عليم ، بينما لم نحتج لأن يُبين لنا أن فوق كل صاحب معرفة صاحب معرفة .

ومن هذه النقطة بالذات ربما وردت صفة العالم و بعض مشتقاتها صفة لله تعالى في استعمالات القران دون المعرفة .

وهي من النكات الخفية ، التي أرشدنا الله إليها ، بالإضافة إلى بعض ما ذكروا من الفوارق .

7) : ولعله منها جاء : في التعاريف للمناوي : العرفان كالمعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر ، فهو أخص من العلم . التعاريف / للمناوي / بتحقيق الداية / ص 511 / فصل الراء ، باب العين .

ومن هذين الأخيرين لعله صح أن يُقال عرفتُ الله ، ولا يُقال علمت الله .

8) و أهم شئ ، وأقول ربما لقربه قد غفل عنه من تعرض للفرق بينهما ، وهو أن المعرفة تحتاج لمعرِّفٍ دائماً ، بينما العلم ليس كذلك .

فلذا يصح وصف الله بالعلم دون المعرفة .

ولذا ورد في الدعاء الذي بين أيدينا : اللهم عرفني نفسك .. فلمعرفته نطلب المعرفة منه سبحانه.

و لو أخذنا بعض ما قاله علماء اللغة و المطلعون عليها مما مر عليك مثل :

قول أبي هلال العسكري في كتابه ((الفروق في اللغة)) :

((إن المعرفة أخص من العلم : لأنها علم بعين الشيء منفصلا عما سواه ...)) . الفروق في اللغة .

((والعلم يكون مجملاً ومفصلا . والمعرفة تقال لإدراك الجزئيّ أو البسيط ، ولهذا عرفت اللَّه دون علمتهُ .)) . لسان العرب / مادة عرف .

وكما قال أبو حيان التوحيدي في مقابساته عن لسان أبي سليمان : ((المعرفة أخص بالمحسوسات ، والمعاني الجزئية .)) .

و كما قال الزهري : ((لأن المعرفة مأخوذة من عرفان الدار ، يعني آثارها التي تعرف بها .)).

وقال : ((وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ، ولفظ العلم لايفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم .)) .

وهو عين الإستعمال القراني في مثل هذه الموارد ، قال تعالى : ((الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)) 146 / البقرة .

وهونفس حال الحجة عند ظهوره مع الناس .

و قد قال تعالى في قضية يوسف الصديق على نبينا و آله وعليه السلام : ((وجاء إخوه يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون))

وهكذا في عدة موارد من هذا القبيل .

ولهذا عندما يظهر الحجة بن الحسن عليه السلام ، ويأتي بالبينات فإن من يعاديه لا يجهله بل ينكره ، بعد إقامة الحجة عليهم .

فلهذا نقول من أن هذه اللفظة جاءت في محلها ، قد حلّت الكلام وجمّلته .

ولا يعنينا الآن على أقل تقدير ما قالوا ، حيث قالوا :

((الفرق مابين المعرفة والعلم :

إن كل علم هو معرفة ، ولكن ليست كل معرفة هي علم ، ذلك باعتبار وجود مصادر أخرى للمعرفة من خارج العلم .

وعلى صعيد تنوع العلوم حسب مادتها ، فأيسر العلوم التي تستطيع أن تلخص موضوعاتها بصيغ القوانين والنظريات هي العلوم الطبيعية ، وذلك من خلال إمكانية استخدام لغة الرياضيات فيها ، وهذا ما يصعب استخدامه في الإنسانيات في الوقت الراهن .

طموح العلماء إدخال لغة الرياضيات ، باعتبارها لغة موضوعية ومجردة إلى حقل الإنسانيات للإرتقاء بها لمستوى العلوم .)) .

لأن هذا مبني على أن العلوم باصطلاحهم هي التي تعتمد على الرياضيات ، واما غيرها فلا تسمى بها .

ولذا قالوا بعدها : ((ومنها نعرف العلم تعريفا بسيطا بأنه هو المعرفة المنتظمة .)) .

أنظر مثلاً : الرسائل العلمية ترف أم حل للمشكلات ؟ / الأستاذ الدكتور عبد علي الخفاف عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة / العراق 15 / آذار / ورقة مقدمة إلى الندوة المصاحبة للمؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة الجنان – طرابلس / لبنان ، في 21-22 نيسان 2007 . والنصان من هذه الدراسة .

علم المعرفة ، ومعرفة هذا العلم .

جرنا الكلام إلى المعرفة و أهلها من أهل العرفان :

((والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن أن المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بامل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل إلى الله ، وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله تشهد له بالمعرفة .

فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وافعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه وأدرانه ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته ، ثم دعا إليه على بصيرة .)) .

ولقد اختص هذا المصطلح بالصوفيين إلى أن انتقل منهم لأهل العرفان .

و لقد طار بعضهم إلى أن قال من أن المعرفة تأتي بعد العلم :

((ولما كانت مرتبة المعرفة فوق مرتبة العلم عندهم ومرتبة الشهود فوق مرتبة المعرفة ومرتبة الوجود فوق مرتبة الشهود ...)) مدارج السالكين / ص471 / ج3 .

وقال أيضاً : ((لما كانت المعرفة فوق العلم وأخص منه كان فناء المعرفة في المعروف مستلزما لفناء العلم في المعرفة)) . المدارج / ج3 / ص372

فإذاً هو مصطلح خاص بهم .

ومن حقنا أخيراً أن نسأل : لو كانت المعرفة فوق العلم ، فلمَ لمْ تُطلب بصريح القران ؟

ولم كانت منازل الآخرة بالعلم دون المعرفة ؟

ولم خُصّ الأنبياءُ وغيرُهم من عباد الله المكرمين بالعلم صفة عند مدحهم في القران الكريم دون المعرفة ؟!!!!

الفصل الثاني :

من عرف نفسه فقد عرف ربه :

ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : " من عرف نفسه فقد عرف ربه ." البحار ج2 / ص 32 .

و يمكن أن يكون فيه اتجاهان :

الأول : من الرب إلى العبد .

أي من عرف نفسه يكشف أنه قد عرف الله قبل ذلك .

الثاني : ومن العبد إلى الرب .

أي بعكس ذلك ، وله تفسيران ، وسنضيف ثالثاً :

أ) : تفسير إيجابي ، ب) : وآخر سلبي .

أ) : الإيجابي منهما :

النفس مدبرة لابد لها من مدبر ، فلابد للكون من مدبر .

وقالوا : من عرف نفسه من جهات عرف الله منها ، إذ أن الإنسان روح وجسد :

وقد ((ذكر أحد العلماء الماضين (رحمه الله) في هذا الصدد قوله : " الروح لطيفةٌ لاهوتية ، في صفة ناسوتية ، دالّة من عشرة أوجه على وحدانية ربّانية :

1) : لمّا حرَّكت الهيكل و دبَّرته عَلِمْنَا أنّه لا بدّ للعَالَمِ من محرّك و مُدَبر .

2) : دلّت وحدتها على وحدته .

3) : دلَّ تحريكها للجسد على قدرته .

4) : دلَّ اطّلاعها على ما في الجسد على علْمِه .

5) : دلّ استواؤها إلى الأعضاء على استوائه إلى خلقه .

6) : دل تقدّمها عليه ، و بقاؤها بعده على أزله و أبده .

7) : دلّ عدم العلم بكيفيّتها على عدم الإحاطة به .

8) : دلّ عدم العلم بمحلّها من الجسد على عدم أينيّته .

9) : دلّ عدم مسّها على امتناع مسّه .

10) : دلّ عدم إبصارها على استحالة رؤيته .)) . البحار ج61 / ص 99-100 .

و أضاف السيد كاظم الحائري على ما سبق :

((الروح يعلم بجميع البدن بالعلم الحضوري ، فدل ذلك على احاطته بكل الموجودات بالعلم الحضوري .

و دلّت كيفية ارتباطها بالجسم على ارتباطه بالكون و إفاضته له ، فلو قطعت النظر عن الجسم لحظة لانعدم ، كذلك لو قطع الله الإفاضة عن الكون و لو للحظة لانعدم الكون .

ودلّ تحريكها للجسد بمجرّد الإرادة على أنّه : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) .)) . تزكية النفس / السيد كاظم الحائري / ص 521-522 ، بتصرف .

واستشهدوا بآيات كثيرة :

قال تعالى : ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))

وقال تعالى ((لو كان معه الهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراَ))

وقال تعالى : ((وما كان معه من اله ، اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون)) .

وقال تعالى : { لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم }

و اعتمدوا على قول علي أمير المؤمنين عليه السلام :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر ؟!

وقولهم مردود .

وتبياناً للرد :

نقول :

هذا الذي ذكروه ليس منحصراً بنفس الإنسان بل حتى بالحيوانات الباقية ، فعليه يصح أن نقول من عرف الحيوانات عرف ربه مثلاً ، فلماذا هذا الإنفراد والوحدة ؟

إذ يصح بذلك لهذا الشرح صيغة أخرى ، ربما كانت أولى لتكون جامعة : " من عرف النفس عرف الرب " .

هذا أولاً .

بل لنا أن نقول **ثانياً** :

هل يصح أن نقول إن النفس مكونة من شهوة وعقل -- إذا أخذناها بالمعنى العام ، كما هم فعلوا ، وإذا أخذناها بالخاص ففيها الشهوة مثلاً -- فالمدبر كذلك ؟

أو نقول : من أن الروح لو انقطع عن الجسد لبقي جسداً بلا حراك ، ولا نعبر بما عبر به السيد الحائري من أنه انعدم ، لأنه لا ينعدم بل يبقى ، فهل يصح أن نقول : لو قطع المدبر صلته بالكون لبقيَ جسداً من دون حراك ؟

وما معنى ذلك أصلاً ؟ لأن الكون سيفنى ولا يبقى .

فمن هنا وغيره علمنا أن كل ما ذكر لا يصح ، لأن المدبِّر لا يمكن قياسه وتشبيهه بالمدبَّر ، فانتبه للمزلق .

وإذا قلت : لكن كل الذي ذكروه نراه صحيحاً وتاماً .

أقول لك : القضية بنفسها التي سميت بالنتيجة عندهم كانت صحيحة ، وليس التشبيه بنفسه صحيحاً .

ومع الأسف فات هذا حتى الكبار من القوم .

نعم لنا أن نأتي لهذا التشبيه من جهة أخرى يكون فيها صحيحاً :

نقول مثلاً : هذا الكون فيه مطالب متعددة ، فهل يصح أن يكون المتصرف واحد ، ويعلمها كلها في آن واحد كذلك ، نقول نعم ، ودليله الإنسان نفسه ، فهاهو الجسد له مطالب متكثرة في آن واحد ، والروح المتصرف به واحد .

أو نقول :

إن المدبر قريب من الكون كله على نفس البعد ، من الذرة إلى الجرم الكبير ، فيقولون : وكيف يكون كذلك ؟

نقول : مثاله الروح والجسد ، فالروح متساوية البعد عن جميع أجزاء الجسد ، صغير الأجزاء وكبيرها .

وهكذا الباقي ، فانتبه .

فحينئذٍ يصح التشبيه ، وهو ما ربما أشار إليه الإمام عليه السلام ، ولكن القوم قلبوا فانقلبوا بالمراد .

وقد ألحقوا بهذا القول قولهم : من أن الإنسان لا يحب أن يُعترض عليه ، ولا يحب أن يُمانع في شئ ولا.... فالله كذلك .

وهو كما ترى .

ب) : التفسير السلبي : من عرف نفسه بالعجز ، والإفتقار والإحتياج عرف الله بخلاف ذلك كله .

أو بمعنى جامع من عرف بأن نفسه مخلوقة ولها صفات ، عرف من أن الله تعالى يتصف بصفاتٍ خلاف ذلك ، إذ كل ما تتصف به النفس فلابد أن يتصف المدبر بغيرها .

أي لا بد أن تكون صفاتها ليست بصفاته ، وإلا لانقلب الخالق إلى مخلوق ، وهو نقيض الفرض فلابد أن تكون صفاته مستقلة به .

ج) : و يمكن أن يكون له تفسير آخر : عبارة عن تعليق الأمر ، إذ لك أن تقول في تفسيره :

إنك لا تستطيع أن تعرف نفسك ، التي هي أنت ، وأنت هي ، فكيف تستطيع معرفة ربك ؟ ولكن هذا يُستبعد بأحاديث وردت تطلب معرفة النفس .

نعم لو كان معنى النفس هنا الروح فقط لكان لذلك مجال ، حيث أن الروح أمرها خفي ، قال تعالى : ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)) ، فحيث ان الإنسان لا يستطيع أن يعرف مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى الذي هو نفسه ، فأنّى له أن يعرف الخالق ؟

د) : وله معنى آخر ، يبتعد قليلاً عن هذا كله ، حيث قالوا :

بما أن الانسان لا يكون لائقاً لمعرفة ربه إلا بتنقية النفس ، و تهذيبها ، و تزكيتها إذاً كان من الحتم معرفة النفس أولاً .

للتخلية ، فالتجلية و التحلية .

فالعلم الأول العلم الذهني البسيط كما عبرنا عن ذلك قبل قليل ، ثم يأتي العلم الآخر أي العلم التفصيلي إذا صح التعبير .

وإلا لاصطدم هذا مع ما ورد عنهم عليهم السلام : من ذلك ما ورد في دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) : ((يا من دل على ذاته بذاته .)) .

و هذا الامام الحسين (عليه السلام) يقول : ((أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ؟)) .

والإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعاء أبي حمزة الثمالي : ((بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك ، ودعوتني اليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت .)) .

فالمعرفة الذهنية ، ثم المعرفة القلبية بالإحساس والشعور بما ارتسم في ذهنه ، فيدركه إدراكاً ، ويحس به إحساساً ، كأنه يراه . أنظر مثلاً في هذا الأخير : كتاب التقوى في القرآن للسيد كمال الحيدري .

وهذا هو العرفان الحقيقي .

الفصل الثاني :

المراحل :

اللهم عرفني نفسك ،

فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ،

اللهم عرفني رسولك

فانك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ،

اللهم عرفني حجتك

فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .

مقدمة لابد منها :

الخليفة أو المستخلَف :

قال الإمام الصادق عليه السلام :((الحجة قبل الخلق ، ومع الخلق ، وبعد الخلق)) .

وتصديق ذلك في كتابه العزيز حيث قال عز من قائل : ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة)) سورة البقرة / آية 30 .

فبدأ قبل أن يخلق الخلق بخلق الخليفة .

والحكمة باقية ، فلابد من استمرار النبوة بما إنها تمثل الإستخلاف ، ولوجب ولو بعد حين من إرسال نبي أو رسول ، ولكنا نعلم علم اليقين من أن محمداً خاتم النبيين ، فعليه نبقى متحيرين :

هل فسدت الحكمة ؟

أم أن هناك خليفة حقيقياً يمثل الله في أرضه ؟

فمن هو ؟

هل هو القران ؟

وهاهو بيننا ولا زلنا مختلفين ، لأنه أصلاً حمّال وجوه .

قال تعالى ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)) النور : 55 .

فإذاً من هذه الآية المباركة نستفيد وجود قوم من الذين آمنوا سيستخلفهم الله في أرضه ، وهو وعد منه غير مكذوب .

ولا يمكن أن يكون المستخلف من الذين آمنوا نبياً لانقطاع النبوة وختامها بنبينا نبي الرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

إذاً المستخلف أو الخليفة لله في أرضه يومها لن يكون نبياً .

فمن يكون ؟

((قد روى السدير الصيرفي انه قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح ـ والمسح: الكساء من الشعر ـ خيبري مطوّق بلا جيب مقصّر الكمين وهو يبكي بكاء الواله الثكلى ذات الكبد الحرى، قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغيير في عارضيه وأبلى الدموع محجريه وهو يقول: سيدي غيبتك نفت رقادي وضيقت علي مهادي وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجايع الأبد وفقد الواحد بعد الواحد، يفني الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا مثّل بعيني عن غوابر أعظمها وأفظعها وبواقي اشدها وأنكرها ونوائب مخلوطة بغضبك ونوازل معجونة بسخطك.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل، وظننا انه سمت لمكروهة قارعة، أو حلّت به من الدهر بائقة، فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك، من أية حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك؟ وأيّة حالة حتمت عليك هذا المأتم؟

قال : فزفر الصادق (عليه السلام) زفرة انفتح منها جوفه ، واشتد عنها خوفه ، وقال : ويلكم نظرت في كتاب الجفر ، صبيحة هذا اليوم ، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا ، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، الذي خص الله به محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من بعده ، وتأملت منه مولد قائمنا وغيبته ، وابطاءه وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدس ذكره : (وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه) سور ة الإسراء : 13. يعني الولاية ـ فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان .) . كمال الدين: ص354.

.....

.....

بعض صفات الحجة عليه السلام التي علينا أن نعرفها ، و أن نؤمن بها :

1) : تجب معرفته .

2) : الإئتمام به .

3) : البرائة من عدوه .

إذ ورد فيما ورد : 1ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلام) إِنَّمَا يَعْبُدُ الله مَنْ يَعْرِفُ الله فَأَمَّا مَنْ لا يَعْرِفُ الله فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلالاً قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ الله قَالَ تَصْدِيقُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَتَصْدِيقُ رَسُولِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) وَمُوَالاةُ علي (عَلَيْهِ السَّلام) وَالائْتِمَامُ بِهِ وَبِأَئِمَّةِ الْهُدَى (عَلَيْهِم السَّلام) وَالْبَرَاءَةُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرَفُ الله عَزَّ وَجَلَّ. أصول الكافي / الجزء الأول / الشيخ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ / بَابُ مَعْرِفَةِ الامَامِ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ .

4) : هو من شهداء الله على خلقه .

4 - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ قُلْتُ لأبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلام) قَوْلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً " .

قَالَ : نَحْنُ الامَّةُ الْوَسَطُ ، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ، وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ .

قُلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجاهِدُوا فِي الله حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ "

قَالَ : إِيَّانَا عَنَى ، وَنَحْنُ الْمُجْتَبَوْنَ ، وَلَمْ يَجْعَلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، فَالْحَرَجُ أَشَدُّ مِنَ الضِّيقِ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً ، وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ، الله سَمَّانَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ ، وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ ، لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَرَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَنَحْنُ

الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ ، فَمَنْ صَدَّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقْنَاهُ ، وَمَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ .)) . المصدر نفسه / باب في أن الأئمة شهداء الله على خلقه .

5) : هو من الهداة :

تحت هذا الباب أورد الشيخ الكليني أربع روايات نحن ننقل إثنتين منها :

1- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ وَفَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ " وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ " ، فَقَالَ كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ .

2- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ ابي جعفر (عَلَيْهِ السَّلام) فِي قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ " إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ " .

فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) الْمُنْذِرُ ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ ، يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) ، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ ، عَلِيٌّ ثُمَّ الاوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ . المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ (عليهم السلم) هُمُ الْهُدَاةُ .

6) : هو من ولاة الأمر .

7) : ومن خَزَنَةِ عِلْمِ الله ، وَعَيْبَةِ وَحْيِ الله .

أورد الشيخ الكليني ست روايات اخترنا الأولى منها :

1- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ نَحْنُ وُلاةُ أَمْرِ الله ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ الله ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ الله . المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ (عليهم السلم) وُلاةُ أَمْرِ الله وَخَزَنَةُ عِلْمِهِ .

8) : خليفة الله عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ .

9) : باب الله الذي منه يؤتى .

أورد ثلاث روايات ، اخترنا اثنتين منها :

1- الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الاشْعَرِيُّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، عَنِ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ : الائِمَّةُ خُلَفَاءُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ .

2- عَنْهُ عَنْ مُعَلىً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) الاوْصِيَاءُ هُمْ أَبْوَابُ الله عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا ، وَلَوْلاهُمْ مَا عُرِفَ الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِهِمُ احْتَجَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ . المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ (عليهم السلم) خُلَفَاءُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ وَأَبْوَابُهُ الَّتِي مِنْهَا يُؤْتَى .

10) : من الذين مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ الله وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى الله .

5- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ ابي جعفر (عَلَيْهِ السَّلام) فِي قَوْلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً "

قَالَ جَعَلَ مِنْهُمُ الرُّسُلَ وَالانْبِيَاءَ وَالائِمَّةَ ، فَكَيْفَ يُقِرُّونَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِم السَّلام) ، وَيُنْكِرُونَهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) ؟

قَالَ قُلْتُ " وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً "

قَالَ : الْمُلْكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أَئِمَّةً ، مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ الله ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى الله ، فَهُوَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ . المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ (عليهم السلم) وُلاةُ الامْرِ ، وَهُمُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الله عَزَّ وَجَلَّ .

11) : هو من المصطفين .

12) : هو ممن ورث الكتاب .

13) : وهو من السابقين بالخيرات .

وقد أورد الشيخ الكليني رحمه الله في هذه العناوين أربع روايات نذكر اثنتين منها :

1- الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَنْ سَالِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلام) عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ الله "

قَالَ : السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الامَامُ ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ لِلامَامِ ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لا يَعْرِفُ الامَامَ .

3- الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلام) عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ : ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ..)) الايَةَ.. قَالَ فَقَالَ : وُلْدُ فَاطِمَةَ (عليها السلام) ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الإمَامُ ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِالإمَامِ ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لا يَعْرِفُ الإمَامَ . المصدر نفسه / بَابٌ فِي أَنَّ مَنِ اصْطَفَاهُ الله مِنْ عِبَادِهِ وَأَوْرَثَهُمْ كِتَابَهُ هُمُ الائِمَّةُ (عَلَيْهِم السَّلام) .

14) : **الزيارة الجامعة .**

وفيها ما فيها ، من أراد أن يعرف بعض ما نُصّ عليه من صفاتهم ، وحقائق أنوارهم ، فعليه بهذه الزيارة العظيمة .

و فيما يلي فصل خاص عقدناه لها ، لرفع بعض الأوهام حولها .

بيان خاص :

الزيارة الجامعة : سندها ، و متنها :

نقول بدواً : الذي يريد أن يحيط به ، و بآبائه وأجداده صلوات الله عليهم جميعاً ، صفاتاً وتعريفاً ، فعليه بالزيارة الجامعة الكبيرة ، المروية عن الإمام عليٍّ الهادي عليه السلام .

وقد رواها الشيخ الصدوق في كتابه " من لا يحضره الفقيه " " من لا يحضره الفقيه " / ج2 / ص370 .،

وفي كتابه الآخر " عيون أخبار الرضا (عليه السلام) " . " عيون أخبار الرضا (عليه السلام) " / ج1 / ص305 .

و قد رواها بإسناده الصحيح عنه شيخ الطائفة المحقّقة الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى ، في كتابه التهذيب . التهذيب / ج6 / ص95 .

وتبعاً لذلك روتها أغلب كتب الأدعية المعتمد عليها ، منذ ذلك الوقت و إلى الآن ،

وهاك بعضها بالإضافة لمن ذكرنا في المتن :

روضة المتّقين لوالد العلاّمة المجلسي / ج5 / ص450 .

بحار الأنوار للمولى المجلسي / ج102 / ص127 .

تحفة الزائر لشيخنا المجلسي / ص363 .

البلد الأمين للشيخ الكفعمي / ص297 .

الوافي للفيض الكاشاني / ج10 / ص416 / ب85 / ح17 .

عمدة الزائر للسيّد حيدر الكاظمي / ص370 .

مستدرك الوسائل للمحدّث النوري / ج10 / ص416 .

و أخيراً لا آخراً كتاب " مفاتيح الجنان " للعلامة المقدس الشيخ عباس القمي ، وقد قال في آخرها:

(وهذه الزيارة كما صرّح العلامة المجلسي " رحمه الله " إنما هي أرقى الزيارات الجامعة سنداً ومتناً ، وهي أفصحها و أبلغها .

وقال والده في شرح الفقيه : إنَّ هذه الزيارة أحسن الزيارات ، و أكملها ...) .

ولكن بناءاً على مبنى بعض علمائنا الرجالي هناك تأمل في صحة سندها ــ **إنتبه ، في صحة سندها ، لا فيها** ــ ، لأنه لم يثبت لديه وثاقة مشايخ الصدوق ، كما هو رأي أستاذنا السيد الخوئي رحمة الله تعالى عليه .

وما دام الكلام قد انجر إلى هذا فنقول :

أولاً : وقبل كل شئ بناءاً على ذلك المبنى وصحته ، لا يعني ذلك التشكيك بها ، كما يحاول البعض أن يفعل ، أو يصرح بذلك لتضليل الناس ، وإبعادهم عنها .

فالتوقف بالسند غير ، و الجزم بعدم كونها صادرة عن مقام الإمامة شئ آخر .

ثانياً : لذا حتى البعض الذي توقف بسندها لم يتوقف عن قرائتها ، والإيمان بمضامينها ، فمضامينها مطابقة لكثير من معتقداتنا الموروثة عن العلماء الأعلام .

ثالثاً : قد وردت كثير من مضامينها في روايات أخر ، فلا ينفع التشكيك فيها ، التشكيك بمضامينها الحقة ، فدونك بقية الزيارات وكثير من الروايات ، المشحون منها تراثنا الشيعي الصحيح .

رابعاً : و بعض المضامين التي فيها والتي لا تستوعبها بعض عقولنا المشحونة بالثقافات العامة الناتجة من دراسة الكتب المنحرفة قبل التأهل ، وقبل دراسة عقائدنا الحقة ، أقول تلك المضامين يُمكن توجيهها حتى بناءاً على ما تفقهت به تلك العقول ، بأدنى تأمل ، والتفات .

و أخيراً نقول في هذه النقطة بالذات :

الذي يحتج بمبنى السيد الخوئي عليه الرحمة عليه ألا يقتصر على ذلك فقط ، وعليه أن يتبع السيد الخوئي قُدّس سرُّه بعقائده العملية أيضاً ، وهي متمثلة بإرجوزته في مدح أمير المؤمنين وما جاء فيها وهي أرجوزة لطيفة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، نظمها في أواخر سني عمره الشريف ، وهي تبين معتقده الحق ، بحدود المائة والخمسين بيتاً .

وفيها يتجلى عمق إيمان السيد الأستاذ ، وتعلقه بالعترة الطاهرة ، ومعرفته العميقة بمقاماتهم عليهم السلام .

وكان لي الشرف مع أخي الخطيب العلامة الشيخ إبراهيم النصيراوي حفظه الله تعالى بكتابتها أولاً بأول ، بل المشاركة الفعلية بخدمته قدس الله تعالى نفسه الطاهرة لإنجازها ، ولذلك حديث خاص .

وقد طلب من العلامة السيد محمد مهدي بن السيد حسن الموسوي الخرسان أن يستخرج مصادرها ، فقام أطال الله تعالى بقاءه بشرحها ، واستخراج مصادرها لإتمام الفائدة ، وقد قامت دار الهادي للنشر بطباعتها بثلاثة أجزاء ، بمقدمة كتبها المغفور له آية الله العظمى السيد علي البهشتي (قدس سره) ، من أرادها فليطلبها من المكتبات العامة والخاصة . ، التي نظمها في أواخر سني عمره الشريف ، فانظر إليها لتجد صدق ما قدَّمناه أولاً حيث قلنا : لذا حتى البعض الذي توقف بسندها لم يتوقف عن قرائتها ، والإيمان بمضامينها ، فمضامينها مطابقة لكثير من معتقداتنا الموروثة عن العلماء الأعلام .

خامساً : لذا من الجهة العملية قد التزم بهذه الزيارة العظيمة جلّ علمائنا الأعلام .

و لم يأت هذا الإلتزام مراعاة لعوام الناس ، كما يحاول بعض المشككين أن يدّعي أنّ كثيراً من المظاهر الإيمانية في مجتمعاتنا الشيعية قد جاءت تسويفاً من العلماء ، ومراعاةً لعقائد وعواطف عوامِّ الناس ، وكأن العلماء يمشون على أذواق الناس وميولهم ، ولو كان هذا صحيحاً ـ لا سامح الله ـ لدرس التشيع منذ زمن طويل ، فهل هم مَن حافظ عليه لحدِّ كتابة هذه السطور ؟

قلت لم يكن ذلك منهم مراعاة ، لأن قرائتها والإلتزام بها أمر خاص بهم ، لا يطلع عليه كل أحد .

سادساً : وعلى المثل العربي " رمتني بدائها وانسلت " .

أهؤلاء الأعلام مَن يعمل لأجل الغير وعلى ذوقه ، أم أنتم من حيث تدرون ، أو لا تدرون ؟

وما وجهة نظركم هذه إلا لأجل أن يرضى عنكم ذلك الغير ، و لئلا يقولوا عنكم من أنكم من الغلاة ، وما هو بقولٍ غال إذا ثبت ، وما هو بثابت إذا كان غالٍ .

أو يقولوا عنكم من أنكم ضدّ الوحدة الإسلامية ، وما بوسائلكم تدرك الوحدة الإسلامية ، ولا بإثباتها تنتهي الوحدة ، فلكلٍّ حدٌ و مد .

وتأتي الوحدة بالتفاهم ، و التدارس والتعقل ، لا بتغيير العقائد ، وطمس الحقائق .

ولكل وجهة هو موليها ، والحساب عند الله تعالى .

ولذا كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، و سننهم يعتقدون بتواتر حديث " ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة واحدة ناجية والباقي في النار " ، نصاً أو معنى ، لكنه ما

ضرَّ في صِلاتهم ، وتكاتفهم ، واجتماعهم الدنيوي ، فالدنيا شئ ، و الكلام عن الآخرة شئ آخر .

فكثير من المسلمين يرتكب الموبقات ، ويقترف الجرائم و ما أثّرَ ذلك في أخوته لك ، فلماذا تؤثر أنت ؟

ثم لماذا نتنازل نحن عن عقائدنا ، أو متسالماتنا لأجل الوحدة ، ولا يتنازل الآخرون حتى عن كلمة واحدة ، أو حرف واحد ؟

مثاله وإن أطنبت :

لماذا لا يتنازل هؤلاء عن " الصلاة خير من النوم " التي ما تُقال إلا بأذان صلاة الصبح فقط ، ولا نسأل عن أنه لماذا رفعت " حي على خير العمل " ، قبلها ، لأجل مصلحة الحروب التي أقاموها في مطلع حكمهم ، فلذلك مقام آخر ؟ مَن أحب أن يطلع على ذلك بالتفصيل ، ومع ذكر المصادر المختلفة لهم ، فعليه بكتاب "النص و الإجتهاد" للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين / المورد " 24 " تحت عنوان " إسقاط حي على خير العمل " من الأذان والإقامة / ص238 .

مع علمهم من أنها ـ أي " الصلاة خير من النوم " ـ دخيل في الأذان .

وقد صرح بهذا : مالك في موطئه من أنه بلغه أن المؤذن جاء على عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح ، فوجده نائماً ، فقال : الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح أنظر : الموطأ للإمام مالك / ج1 / كتاب 3 الصلاة / باب 1 ما جاء في النداء للصلاة / حديث 8 / ص 72 ؛ وفي طبعة بيروت ص 58 / ح 151 . ، و ذكر ذلك أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال . أنظر : كنز العمال / المتقي الهندي / ج8 / حديث 23243 و 23242 .

((وأنت تعلم أن لا عين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كيفية الأذان ، فراجع إن شئت كتاب الأذان في الجزء الأول من صحيح البخاري ، وباب صفة الأذان ، وهو في أول كتاب الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول .)) . شرف الدين / الفصول المهمة / ص189 .

وهي تتردد في أذان واحد فقط ، كما قلنا ، ويعلمون على مروياتهم من أنه أي الأذان ما هو إلا رؤيا قد شاهدها أحد الصحابة ، وهوعبدالله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري .

وقد ذكر هذه القضية كل من تعرض لهذا الصحابي من أهل التراجم ، و لذا ربما أطلقوا عليه صاحب الأذان . أنظر كتب الفقه و السير والتراجم : مثلاً مالكاً في موطأه ، والحلبي في سيرته الجزء الثاني ، باب بدء الأذان .

وهو مما يأباه دين الله ، من أن يكون أعظم نداء في الإسلام ، لأعظم فريضة فيه ، قد شُرِّع من رؤيا قد رآها صحابي ، ولكنَّ القوم اعتقدوا بذلك ، وتسالموا عليه ، وربَّ شائع لا أصل له .

المهم إن القوم لم يتنازلوا ، ولن يتنازلوا عن فصل واحد ، باعتقادهم أنه قد أدخل في الأذان من صحابي جزماً ، بعد انتقال الرسول صلى الله عليه و آله وسلم إلى الرفيق الأعلى .

فهو فصل قد أدخل على رؤيا قد رآها صحابي ، فهو "بدعة" قد أدخلت على "رؤيا" ، و يؤتى بها في وقتٍ واحد فقط في اليوم ، و لم ، ولن يتنازلوا عنها ، و أنت تنازلت عن "الشهادة الثالثة" ، في كلِّ أذانك و إقامتك ، لأجل الوحدة على أحسن محمل ... ، يا مولانا " يا أبا موسى الأشعري "!!!!

لا أقصد أحداً بعينه ، بل كل من فعل ذلك ، ويفعل .

مالكم كيف تحكمون ؟

ثم على صحة ذلك ، وهو ليس بصحيح ، فهم يناغمون عوامّ الشيعة ، واما أنتم فحقيقة أمركم أنكم تحاولون مداراة أهل السنة والجماعة ، و مساومتهم على حساب مذهبكم ، فشتان بينهم وبينكم إن كنتم تفقهون .

سابعاً :

سل كل العلماء أنفسهم ـ و إذا كنت منهم فسهلاً ، وسلها ـ ما هي غايتهم ؟

أصحة السند بنفسه الغاية ، أم هو وسيلة لغاية ؟

فإذا كان وسيلة ، فحينئذٍ لو وجدنا وسيلة تُضم لتلك فبها ، ونعمت .

ثامناً :

حتى على ذلك المبنى ، يمكن أن نرضي صاحبه ليقول إنها غير صحيحة السند بنظري وعلى مبناي ، إلا أنها صادرة عنهم عليهم السلام ، وذلك :

لأنّ أساس تلك الدعوى عدم وثاقة مشيخة الصدوق ، أقول :

لو سلّمنا تلك الدعوى ، والتّرضي لم يكن كافياً ، و المشيخة لم تكن نافعة .

لكن لو أن رواية واحدة رواها أكثر من واحدٍ من المشايخ ، لا واحد منهم ، فهل نشكّك في الجميع ؟

مع أن المبنى الذي سلكناه ولم يشفع به لا المشيخة ولا الترحم ، ولا الترضي لأجل أن الشيخ الصدوق قد روى عن الضبي ، فهل ضباب الضبي قد غطّى جميع المشايخ ، و إن اجتمع عدة منهم ، وضباه يطعن في صدور القوم كلهم ، مع هذه القرائن القوية للصدور ؟

أي لو طبقنا نظرية الإحتمالات هنا فسوف يكون احتمال الصدور أقوى ، و أرسخ .

تاسعاً :

لننظر في سندها ، ونحن أحرار من كلمات فلان وفلان ، نستعرضه متوكلين على الله تعالى :

جاء في كتاب عيون أخبار الرضا : ج1 / ص 305 .

((1 . حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه ، ومحمد بن أحمد السناني ، وعلي بن عبد الوراق ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب .

قالوا : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، وأبو الحسين الاسدي .

قالوا : حدثنا محمد بن إسماعيل المكيُّ البرمكي .

قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي .

قال : قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : علّمني يا ابن رسول الله ، قولاً ، أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال : .....الزيارة .

فالراوي هو :

الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن موسى بن بابويه القمّي : وهو غني عن التعريف .

روى في كتابيه المذكورين ، " من لا يحضره الفقيه " / ج2 / ص370 .، وفي كتابه الآخر : " عيون أخبار الرضا (عليه السلام) " / ج1 / ص305 ، كما ذكرنا ذلك قبل قليل . ونحن نسطر ما رواه في كتابه " عيون أخبار الرضا (عليه السلام) " عن الإمام الهادي عليه السلام ، أنه قال :

حدّثنا علي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق (رضي الله عنه) :

و هذا الشيخ من مشايخ الشيخ الصدوق الذين ترضّى لهم ، وترحّم عليهم .

ألا يكون الترحم ، والترضي على شخص ، ــ وليس هذا الشخص عابر سبيل ، بل هو شيخ للرواية ــ ، و لا يصدر هذا الترحم والترضي ، من شخصٍ نكرة ، لا علم له ، ولا دراية ، بل يترحم عليه مثل الشيخ الصدوق ، ألا يكون ترحمه ، وترضيه عليه ، مدحاً له ، وتوثيقاً منه له ؟ و إلا لعدّ ترحمه عليه ، وترضيّه تغريراً لمن يأتي بعده من المؤمنين ، إن كان يعتقد باعتماد الآتين على كلماته .

كما يحصل ذلك إن كنا ندّعي أن لكلماتهم وزناً ، إلا إذا علمنا أنه يترحم على كل ميت ، حتى على مثل الشمر بن ذي الجوشن ، أو يترحم على كل ميت من مشايخه ، حتى لو كان الضبي أو شخصاً مثله ، حينئذٍ لا ينفع الترحم ، ولا الترضي .

لذا قال بعضهم : " كما هو معلوم أن الترحم والترضي يأتيان في مقام المدح ، بل هما عديلا التوثيق . " .

وكما ذكر هو في أوّل كتاب " المقنع ": (إذ كان ما أُبيّنه فيه من الكتب الأُصولية موجوداً مبيّناً عن المشايخ العلماء والفقهاء الثقات (رحمهم الله) .) . المقنع / الصفحة الثانية .

فانظر تر الترحم قد جاء بعد وسمهم بالثقات ، فانتبه .

ونكرر روايته عن الضبي في بعض الموارد لا تمنع كل الذي تقدم .

فضلاً عن أن الراوي لم يكن واحداً مفردا ، بل تعدّد .

إذ كما مر عليك قال الشيخ الصدوق حدثنا ...الدقاق ..

ومحمّد بن أحمد السناني :

من مشايخ الصدوق الذين أكثر الحديث عنهم ، وترحّم عليهم ،

وعلي بن عبدالله الورّاق :

من مشايخ الصدوق ، وممّن روى عنهم مترحّماً عليهم أيضاً ،

والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب :

هو الحسين بن إبراهيم المؤدّب المكتّب .. روى عنه الصدوق مترضّياً عليه كذلك .

فانظر لكل هؤلاء ، فكل واحد قد روى عنه ما حدّثه به الراوي .

وبنظرية الإحتمالات ، تتضاعف نسبة الصدق على عدد الرواة ، وهم أربعة ، فيزداد صحة السند أربع مرات ، عما لو كان الراوي واحداً فقط .

فإلى هنا نقول من أنه على أقل تقدير إلى الآن الرواية عنهم صحيحة ، حتى و إن كانوا قد رووها مجتمعين ، فضلاً إذا كانوا متفرقين ، و قد حدَّثوه بها ، كلٌّ على حده .

حينئذٍ يُستبعد بنظرية الإحتمالات أنهم تواطؤ على الكذب ، واجتمعوا عليه ، في هذه الرواية بالخصوص ، على أقل تقدير .

من هنا قلنا من أنه حتى لو التزمنا بهذا المبنى ، فلربما قلنا بصحتها أيضاً .

قالوا :حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، و أبو الحسين الأسدي

فمن هو المحدث الأول : محمّد بن عبدالله الكوفيّ ؟ :

هو محمّد بن عبدالله بن نجيح الكوفي المعروف بالشيخ ، ذكره العلاّمة في القسم الأوّل من رجاله المعدّ للمعتمدين في الخلاصة . الخلاصة / ص156 / الرقم 108 .

وفي محكي الوجيزة والبلغة أنّه ممدوح ، وفي محكي منتهى المقال أنّه من مصنّفي الإمامية ، و ذكره بهذه الصفة تكفيه حسناً.

والمحدث الثاني : أبو الحسين الأسدي : و هو محمّد بن جعفر الأسدي الكوفي المحقّق وثاقته ، وقد قال فيه النجاشي في رجاله : ص264 . أنّه ثقة صحيح الحديث .

فانظر تجد أن ثقتين قد رويا ذلك ، وهنا نكرر نفس القول كل واحد ممن تقدم قد رواها لا عن واحد بل عن اثنين من الثقات ، **وهذا مما يرفع إذ يضاعف صحة احتمال ما رووه ، فانتبه.**

فيرتفع اللبس .

قالوا :

حدّثنا محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي :

و قد وثّقه النجاشي في رجاله : ص241 . حيث قال : كان ثقة مستقيماً ، له كتب منها كتاب التوحيد.

ووثقه السيد الخوئي لأنه قال في معجم رجاله :

" (10266) - محمد بن إسماعيل البرمكي : الرازي : و هو محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي الآتي .

وقال في (10271) - محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير :

قال النجاشي : " محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي المعروف بصاحب الصومعة ، أبو عبد الله ، سكن قم ، و ليس أصله منها ، ذكر ذلك أبو العباس بن نوح ، و كان ثقة ، مستقيما ، له كتب ، منها كتاب التوحيد . "

وبما إن كتاب الغضائري الوارد فيه قدح فيه ، لم يثبت عند السيد رحمه الله لذا أكمل ، وقال :

" ثم إنك قد عرفت غير مرة أن الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري لم تثبت صحة نسبته ، و عليه فتوثيق النجاشي لمحمد بن إسماعيل هذا ، بلا معارض ." .

قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي :

والظاهر أنّه تصحيف ، **والصحيح هو " موسى بن عبدالله النخعي "** ، بقرينة ذكره هكذا في الفقيه من نفس الصدوق (رحمه الله) ، ونقله عنه في التهذيب : ج6 ص95 . ؛ على أنّ موسى بن عمران النخعي لم يذكر له حديث عن الإمام الهادي (عليه السلام) ، و إن كان هو أيضاً ثقة ، ورد

في اسناد تفسير القمّي ج1 ص388 . ، إلاّ أنّه ليس هو الراوي لهذه الزيارة الشريفة .

وموسى بن عبدالله النخعي ورد أيضاً في اسناد مشايخ علي بن إبراهيم ، في الكافي . ج1 / ص27 / ح31 .

وقد صرح بتوثيقه المحقّق المامقاني في تنقيح المقال حيث قال : المحقّق المامقاني / تنقيح المقال / ج3 / ص257 . وفي روايته الزيارة الجامعة دلالة على كونه إماميّاً ، صحيح الاعتقاد ، بل في تلقين مولانا الإمام الهادي (عليه السلام) هذه الزيارة المتضمّنة لبيان مراتب الأئمّة شهادة على كون الرجل من الحسان ومقبول الرواية ، وعلى الجملة فهو مقبول ، بل هو موثّق بالتوثيق العام من علي بن إبراهيم ، الذي وثّق عموماً سلسلة رواته بقوله في مقدّمة تفسيره : تفسير القمي / ج1 ص4 .

« ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم ، وأوجب ولايتهم .. » .

ولو فرضنا مجهوليته ، فنَقلُ الثقاتِ لهذه الزيارة ــ المليئة بهذه المضامين الملفتة للنظر ــ عنه دليل صارخ على أنه ثقة .

إذ ليس من معنى أن ينقل الثقة المتثبت مثل هذه المضامين عن شخصٍ ليس بثقة ، فحتى لو فرضنا مجهوليته فهو ثقة ، قد وثقه حال الرواية ، فدقق فيه فإنه حري للتدقيق .

و أتصور أن هذا هو مقصود الشيخ العلامة المامقاني في تنقيح مقاله ، حيث قال :

((وفي روايته الزيارة الجامعة دلالة على كونه إماميّاً ، صحيح الاعتقاد ، بل في تلقين مولانا الإمام الهادي (عليه السلام) هذه الزيارة المتضمّنة لبيان مراتب الأئمّة ، شهادة على كون الرجل من الحسان ومقبول الرواية .)) . المحقّق المامقاني / تنقيح المقال / ج3 / ص257 . كما مر عليك الآن .

و انظر مثلاً : " في رحاب الزيارة الجامعة ، البيان الكامل لفضائل اهل البيت عليهم السلام ، ومناقبهم الرآئعة في زيارتهم الجامعة / السيد على الحسيني الصدر / ص 16-18 .

قال : قلت : لعلي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .....

عاشراً :

قال العلامة السيد عبد الله شبر : (((إعلم) أن هذه الزيارة قد رواها جملة من أساطين الدين ، و حملة علوم الائمة الطاهرين ، وقد اشتهرت بين الشيعة الأبرار إشتهار الشمس في رابعة النهار . و جواهر مبانيها ، وأنوار معانيها دلائل حق ، وشواهد صدق على صدورها عن صدور حملة العلوم الربانية ، وأرباب الاسرار الفرقانية ، المخلوقين من الأنوار الإلهية .

فهي كسائر كلامهم ، الذي يغنى فصاحة مضمونه ، وبلاغة مشحونه عن ملاحظة سنده ، كنهج البلاغة ، و الصحيفة السجادية ، وأكثر الدعوات ، والمناجات ...)) . ص31 / الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة / السيد عبد الله شبر / طبع بالأفست : مطبعة أمير / الناشر : مكتبة الرضى – قم المقدسة .

ولذا قال بعضهم : ((والسند تامّ ، بل إنّ هذه الزيارة لا تحتاج إلى ملاحظة السند ، لأنّ فصاحة مشحونها ، وبلاغة مضمونها تغني عن ذلك ، كنهج البلاغة العلوية ، والصحيفة المباركة السجّادية ، كما أفاده السيّد شبّر (قدس سره) .)) . " في رحاب الزيارة الجامعة ، البيان الكامل لفضائل اهل البيت عليهم السلام ، ومناقبهم الرآئعة في زيارتهم الجامعة / السيد على الحسيني الصدر / ص 18 .

و لقد صححها الكثير من علمائنا الأعلام ، كما مر عليك كلام بعضهم الآن .

ومن هنا وصفها العلماء بالقبول ، حيث قالوا " ... الزيارة الجامعة المتلقاة بالقبول لدى عامة الشيعة ، وخاصتهم ، من غير رادٍ لها ، ولا معارضٍ فيها . " الشيخ محمد أمين زين الدين / بين السائل والفقيه / ص87 / تحت عنوان صحة الزيارة الجامعة .

وقد وصفها أحد الكتاب المعاصرين بقوله في كتابه حول " الإمام علي الهادي " :

(هذه الزيارة من المرويّات عن إمامنا عليّ الهادي (عليه السلام) ، وهي من الفصاحة والبلاغة على جانب عظيمٍ ، يكاد لا يبلغ شأوه ، ومن الإحاطة والشمول بمكانٍ قلّ نظيره ، لأنّ فيها من المعاني الكريمة ما يجعل الإنسان يتعجّب من هذا البحر ، وذلك النّحت من الصّخر ، إذ يحار وهو يقرأها من القريحة الفيّاضة التي ابتدعتها ، ومن القلب الكبير الذي احتوى معانيها ، ومن الفكر الحصيف الذي أنشأها لمجرّد اقتراحها عليه !.

بل إنه ليقف دهشاً أمام اللفظ الذي يزري بالجواهر ، والمعاني الأبكار التي يقف الفكر أمامها مبهوراً ، يسبّح الله تعالى ويقدّسه حين يرى ما وهب الله تبارك وتعالى أئمّة أهل هذا البيت صلوات الله عليهم من سنّي العطاء ، وسخيّ الفضل ، وجزيل العلم و المعرفة .

وهي ــ كما وصفها راويها ــ تحتوي (قولاً بليغاً كاملاً) ، يتجلّى فيه التوحيد بأصدق معاني التوحيد ، والشهادة للرسول بأحقّ الشهادة ، وأرسخها إيماناً.)) . كامل سليمان / الإمام علي الهادي / تحت عنوان رئيس " الزيارة الجامعة ".

و جاء في مقدمة تحقيق كتاب " الأنوار اللاّمعة في شرح الزيارة الجامعة " :

((إنّ السِّفْر القيّم الموسوم بـ (الأنوار اللامعة) هو شرح للزيارة العالية المضامين « الجامعة الكبيرة » ذات السند الصحيح ، والمتن الذي يعجز عن إدراكه بتمامه أصحابُ العقول .

ثمّ إنّ هذه الزيارة موسوعةٌ كاملة في عالم معرفة الإمام المعصوم ، تعطي لكلّ مَن تدبّر في فصولها وكلماتها ، معرفةً جديدةً حول الإمام ، فهي بحقّ كنزٌ من كنوز أهل البيت عليهم السلام)) " الأنوار اللاّمعة في شرح الزيارة الجامعة " / السيّد عبدالله شبّر (ت 1242 هـ / تحقيق فاضل الفراتي ، وعلاء الكاظمي / دار الأنصار ـ قمّ المقدّسة / ط2 / 1277 هـ / 2007 م. .

و كتب العلامة السيّد عبدالله شبّر قبل ذلك في مقدّمة كتابه المذكور : ((لا يخفى على أُولي البصائر النقّادة ، وأرباب الأذهان الوقّادة ، وذوي العقول السليمة ، وأصحاب الأفهام المستقيمة ، أنّ الزيارة الجامعة الكبيرة هي أعظم الزيارات شأناً ، وأعلاها مكانةً ومكاناً ، وأنّ فصاحة ألفاظها وفقراتها ، وبلاغة مضامينها وعباراتها ، تُنادي بصدورها من عينٍ صافيةٍ نبعت عن ينابيع الوحي والإلهام ، وتدعو إلى أنّها خرجت من ألسنة نواميس الدين ومعاقل الأنام ، فإنّها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق الملك العلاّم .

وقد اشتملت (هذه الزيارة الشريفة) على الإشارة إلى جملةٍ من الأدلّة والبراهين المتعلّقة بمعارف الدين ، وأسرار الأئمّة الطاهرين ، ومظاهر صفات ربّ العالمين . وقد احتوت على : رياضٍ نَضِرة ، وحدائق خَضِرة ، مُزيَّنةً بأزهار المعارف والحكمة ، محفوفةً بثمار أسرار أهل بيت العصمة .

وقد تضمّنت شطراً وافراً من :

حقوق أُولي الأمر الذين أمَرَ الله تعالى بطاعتهم ،

و حقوق أهل البيت الذين حثّ الله على متابعتهم ،

وذوي القُربى الذين أمر الله بمودّتهم ،

وأهلِ الذِّكر الذين أمر الله بمسألتهم.....)) .

ويؤيد ذلك ، إن لم يدل عليه مواظبة كثير من علمائنا الأعلام عليها في زياراتهم ، بل لعلّ بعضهم جعلها ورداً يومياً لهم .

كالشيخ المجلسي لِما رأى مِن آثارها العظيمة ، كما صرّح هو في بحار أنواره .

وكالشيخ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري ، حيث نقل من أنه كان يزور أمير المؤمنين عليه السلام يومياً بها ، و لا يدخل لحضرته حتى يقرأها واقفاً .

و منهم السيد الخميني ، الذي نُقل عنه أنه كان يزور الإمام علياً عليه السلام ، يقرأ زيارة أمين الله واقفاً ، ثم يجلس و يقرأ هذه الزيارة ، كل ليلة تقريباً ، طوال الأربعة عشر عاماً التي قضاها في النجف الأشرف ، و إن كان أحد الثقات نقل لي من أنه لم يكن يقرأ هذه الزيارة ، بل الزيارة الجامعة الثانية أو الثالثة ، الواردتين في مفاتيح الجنان ، والتردد منه ، فحينئذٍ لا يكون هذا شاهداً.

ونقل العلامة السيد عباس الكاشاني أن إحدى خصوصيات المرحوم المحقق الشيخ محمد حسين الأصفهانى الغروي ، المشهور بالكمباني (1296 - 1361 هـ ق) صاحب كتاب " نهايه الدراية " هو التزامه الدائم بذهابه لحرم أمير المؤمنين عليه السّلام المطهر ، و زيارته له بهذه الزيارة الجامعة عن ظهر قلب ...(نهاية الدراية ، ج 2، صفحه 16/ بتصرف) .

وما ورد فيها من معانٍ جليلة قد توهم للقارئ الساذج ، أو الذي يقرأها أول مرة من دون تدبر أنها ذات معانٍ تدل على الغلو ، والشرك ، فهو مدفوع من عدة جهات :

1 : التكبير الوارد في أولها مائة مرة تدفع ذلك التوهم ، ولعله لذا ورد فيها بهذه الكيفية ، وبهذا العدد .

2 : ذكر الشهادة بالوحدانية والربوبية والألوهية في أولها ، لرفع شبة الشرك والضلال .

فقد جاء بعد السلام عليهم أولاً : ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه ، وشهدت له ملائكته ، و أولو العلم من خلقه ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، و أشهد أن محمداً عبده المنتجب المرتضى ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ...)) .

3 : وكما أنها مشحونة بالضمائر التي تعود إليه سبحانه ، فما يُذكر لهم من مقام إلا وهو يعود لفضل من الله عليهم وعلينا لنكون من الشاكرين ، فلاحظ ، ثم احكم .

ومن جملتها لا على سبيل الإستقصاء : ((.. حتى يحيي الله تعالى دينه بكم ، ويردكم في أيامه ، ويظهركم لعدله ، ويمكنكم في أرضه ...)) .

4 : هذه التعابير ليست ببعيدة حتى في كتاب الله تعالى ، لو استنطقناه و تدبرناه :

كيف ، وقد ورد فيها ما استشهدوا به عليه ، كجملة :

" وإياب الخلق إليكم ، وحسابهم عليكم " ؟

حيث قالوا فيها :

إن الله تعالى يقول : " إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم " سورة الغاشية آية 25 – 26 . بينما الزيارة تفيد أن إياب الخلق يكون إلى محمد و آل محمد صلى الله عليه و آله ، والحساب يكون عليهم كذلك صلى الله عليه و آله و سلم ؟!!

ولعل قولهم مأخوذ من قول بعض علماء العامة : ((..وفي الآية رد على كثير من الشيعة ، حيث زعموا أن حساب الخلائق على الأمير ...)) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / محمود الألوسي أبو الفضل / ج30 / ص 118 / الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

والجواب أبين من الشمس ، و لكن .....

إذ أعجب ممن قرأ كتاب الله ، ويدّعي من أنه أديب ، وقد قرأ دواوين العرب ، وتفحص كلامهم ، وتدبر فيه ، كيف فاتته المعاني عن هذه التراكيب ، و قد ورد مثلها حتى في كتابه الكريم ؟!

و لا حاجة لذكر الأمثلة ، ولكن لبيان جهل المشكل ، وعدم فهمه للكلام العربي ، و لكتابه العظيم ، وكلام آل محمد صلى الله عليه و آله ، المستقى من علم الله ، وتعليمه بالخصوص إما لعناد ، أو مكابرة ، أو لسوء فهم :

فهاهو يقول عزّمن قائل في كتابه العزيز :

" الله يتوفى الأنفس حين موتها .... " الزمر آية 42 .

فالله هو الذي يتوفاها ، وهذا من جملة معتقداتنا ، فهو المحيي المميت ، ولا أحد يميت ويحيي غيره ، سبحانه وتعالى .

فإذا قلتُ مثلاً من أن المَلَك الفلاني يميت ، هل يصح قولي ؟

بل إذا قلت من أن الملائكة الفلانيين هم يميتون الناس ، هل هناك شرك في كلامي ؟

طبعاً هذا العلّامة وغيره ممّن لفّ لفهُ وسلك سبيله سيقول لا ، أو يفصّل ، بنفي القدرة عن الله أو إثباتها له وهؤلاء يفعلون بأوامره ، وسيختار الأول أو الثاني من الثاني ويقول لا ، أو يختار الآخر فيقول نعم .

ولكنه يعلم من أني موحد وعلى طريق الإسلام ، فحسن ظنه بمَن ظاهره الإسلام سيجبره على القول بالأول ، فكيف بكلام المعصوم ، الذي هو إمام الهداية والتوحيد ؟

هذا لو لم يكن شاهد من كتاب الله على ذلك ، فكيف وهو يقول عزّ من قائل :

" إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ..... " النساء 97 .

و يقول تعالى : " ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ..." الأنفال الآية 50 .

و يقول الله سبحانه : " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ....." . النحل الآية 32 .

و أخرى يقول سبحانه و تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون " السجدة الآية 11 .

فالملك مرة ، والملائكة أخرى ، والله يتوفى الأنفس ثالثة ، فكيف ؟

الملائكة ، أو الملك منهم يتوفى الناس بأمر من الله ، وتمكين منه ، فيكون الملك بنفسه مميت بأمر من الله تعالى ، والله المميت .

وهذا يظهر جلياً في قول عيسى بن مريم على نبينا و آله وعليه السلام : " أبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ". (آل عمران 49).

فلا يقول أحد من أن هذا شرك ، لأن الله هو المحيي ، لتصريحه بكونه بإذن الله .

وهكذا هنا إياب الخلق إليهم ، و حسابهم عليهم .

بل لو أتعب نفسه قليلاً ، و راجع ما يقوله العلماء بهذا الصدد لما قال قوله .

قال العلامة السيد عبد الله شبر رحمه الله تعالى في معرض بيانه لهذه الفقرة ، من شرحه لهذه الزيارة الجامعة المباركة :

((و (إياب) بكسر الهمزة ، أي رجوع (الخلق) :

في الدنيا ، لإمور دينهم ودنياهم ، و أحكام شرائعهم ، و إصلاح معادهم ومعاشهم ..

أو في القيامة لأجل الحساب ، والشفاعه ، إليكم .

(وحسابهم عليكم) فقوله تعالى " إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم " سورة الغاشية آية 25 – 26 . أي إلى اوليائهم ، كما يُشعر به صيغة الجمع .)) . ص136 .

وعلى ما يُوجه قول مَن قال : ((و قد قيل إنه يأمر ملائكته بمحاسبة الخلق بأمره ، و قد قيل إنه يتولى حساب المؤمنين بنفسه ، و يأمر الملائكة بمحاسبة الكفار ، و ما دل عليه ظاهر ما ذكرناه من السنة الصحيحة ، و أشرنا إليه ، أصح الأقاويل في ذلك ، و الله أعلم .)) . شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى ، 1410 / تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول / ج1 / ص245 . مع الغض عما ثبت عنده من الظاهر من سنته الصحيحة ، فعلى ما يوجّه به ذاك القول الضعيف عنده من أنه يأمر ملائكته بمحاسبة الخلق ، بأمره ، أو يأمر الملائكة بمحاسبة الكفار ، يوجّه كلامنا .

و لذا قال العلامة شبر ، متماً كلامه ، لأجل مثل هذه الإستبعادات الواهية ، بعد القول بالتوحيد المطلق لله سبحانه : ((فقد وكَّل تعالى بالعذاب والحساب والكتاب جمعاً من الملائكة ، وهم أي محمد و آل محمد . أفضل من الملائكة .

(عن جابر عن) أبي جعفر عليه السلام قال : يا جابر ، إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والاخرين لفصل الخطاب ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعا امير المؤمنين عليه السلام ... إلى ان قال : ثم يُدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن واللهِ نُدخِل أهلَ الجنةِ الجنةَ ، وأهلَ النارِ النارَ ... الحديث .

وعن سماعة قال كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول ، والناس في الطواف ، في جوف الليل فقال : يا سماعه (إلينا) إياب هذا الخلق (وعلينا حسابهم ...الحديث .

وعن (قبيصه) عن أبي عبد الله في قوله تعالى (إن الينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) قال : فينا .

قلت انما اسألك عن التفسير ، قال : نعم ، يا قبيصة ، إذا كان يوم القيامة جعل اللهُ حساب شيعتنا إلينا ....)) . ص136- 137 .

الفصل الرابع : علامات الظهور :

القسم الأول :

نقول بدواً ، والله أعلم متى سيكون الختام :

نحن المسلمين مأمورون بانتظار الفرج منذ اللحظة الأولى للغيبة .

عن علي بن محمد الصيمري ، عن علي بن مهزيار: قال: كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام : أسأله عن الفرج ؟

فكتب: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين ، فتوقعوا الفرج ." . الإمامة والتبصرة من الحيرة / علي بن الحسين بن بابويه القمي ، والد الشيخ الصدوق (ره) المتوفى في سنة تناثر النجوم (329 هج.) / 93 .

وهكذا امتثل المؤمنون ، و إن كانت إخبارات ساداتهم كانت واضحة بطول فترتها ، فلله الأمر من قبلُ ومن بعد .

والآن بعد هذه السنين العجاف ، المميتة ببرودتها حيث غابت عنا شمس الحقيقة ، إذ أنها حُجِبَت بما ووجهت به من أحقاد أموية ، وسيرة دموية ، ونفوسٍ بهيمية ، فهامت البشرية كلها في هذه الظلمات لمدة جاوزت في السنين المئات ، لتطل على الألف عام وتتجاوزه ، مع أن عيون المؤمنين مليئة بالدموع ، وقلوبهم معصورة بالآهات ، وصدورهم مشحونة بالزفرات ، من بعد هذا كله ، بدأ ما ربما يُشعَر بكونه مفتاح فرج ، وإن كان هذا الأمل لم يغادر قلوب المخلصين من اللحظة الأولى لغيابه عليه السلام ، أقول بدأ في ظنون الرجال ، وظن اللبيب إن شاء الله عين اليقين ، أن الأيام والساعات قد اقتربت لموعد ظهوره المبارك .

بل كتب بعضهم كتباً ، و أرخ الظهور بما لا مجال له للمناقشة .

فهل يا ترى نحن على أبواب الظهور ، أم أن بيننا وبينه أمداً بعيداً ؟

وأين يكمن الحق ؟

أولاً وقبل كل شئ نسأل الله تعالى أن يكون هذا الزمن هو زمن الظهور ، و يعجِّل لولينا الفرج بحق محمد و آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد طال الصدى .

و إن كان في كل ما ذُكِر تأمل واضح .

و إن شاء الله تعالى ما ذكره بعضهم هو ليس من التوقيت بشئ ، ولكن علامات ، و إشارات ، ودلالات .

وذلك :

إن أمر الظهور كالساعة قد أخفي وقتها ، كما يُعلم ذلك من روايات عديدة .

فقد ورد عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : « إنّما مثله كمثل الساعة ، ثقلت في السماوات والأرض ، لا تأتيكم إلاّ بغتة . » . كفاية الأثر / 168 و250 ؛ ينابيع المودّة 3 / 310 .

وهذا الأمر لعله كان كذلك لعلل كثيرة .

يمكننا أن ندرك بعضها ، و إن خفي بعضها الآخر علينا .

ولذا لُعِنَ الوقاتون .

والعلماء أدرى بهذا .

ثم إن كثيراً من العلامات قد تهيئت سابقاً ، ولم يظهر .

و ذلك لأن الأيام تتشابه ، والأحداث تتداخل .

بل ربما حتى من أماثل المؤمنين من أمثال الشيخ الطوسي قدس الله نفسه الزكية قد رجا ظهوره في زمنه ، وهاهو ما يزيد على الألف عام ولم يظهر .

ولو تقصينا الحقائق لرأينا أن كل زمن قد توقَّع الناس ـ وحتى بعض العلماء ـ ظهوره فيه ، وما ظهر .

وهنا يكون سؤال آخر مهم :

إن تلك العلامات ذكرها أهل البيت عليهم السلام ، وما ذكروه لابد و أن يتحقق ، فلماذا لم يظهر بعد تحقق تلك العلامات ؟

أقول :

نعم ، ذكروها ، وتحقق ما تحقق منها .

و تأخر ظهوره ، ولا ننس من أن هذا التأخير بنفسه يدل على صدقهم ، لأنهم قد أخبروا بذلك كله .

ولكنهم لحكمة أشاروا لعلامات ، تمتد تلك العلامات على سنين طوال ، تبدأ من أول غيبته إلى ظهوره عجل الله له الفرج .

تقوية للقلوب وتثبيتاً للنفوس ، و توكيداً لوجوده المبارك ، و تصديقاً لهم .

و لو لاحظت كلماتهم ، وما ورد عنهم لرأيت أنهم ذكروا علامات ، و أشاروا إلى أنها تحدث قبل الظهور ، ولكن ما هي المسافة الزمنية بينهما ؟

المسافة الزمنية أمرٌ مسكوت عنه .

ولم يُخبروا أن العلامة الفلانية إذا حدثت فإنه سيظهر ، بل هي من علامات الظهور .

ولكن هذا الظهور متى ؟

الله تعالى أعلم بوقته .

إلا انهم أخبروا بتوقيت بعضها المتاخم لوقت الظهور ، ومنه سننبه إخواننا على أمور ، عسى أن ينبهنا الله تعالى لأقرب من هذا رشدا .

و يُمكن أن يكون لمعرفة العلامات المتاخمة لظهوره بعض الأثر الفعال في معرفة الحجة ، وتشخيصه عند ظهوره عجل الله له الفرج ؛ بل هي أساساً قد جُعلت للمؤمنين :

وهذه أحدى فوائد معرفة العلامات التي ذكرها أهل البيت عليهم السلام لغيبته وانتظاره و ظهوره .

فكانت تلك الإشارات من جملة آيات صدقهم .

والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) النمل / 93 .

فسنعرف تلك الآيات والدلائل ونقول الحمد لله رب العالمين .

فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام أنها للمؤمنين ، فعنه عليه السلام : " إن قدّام المهدي علامات من الله عز وجل للمؤمنين .)) . كمال الدين / ص649 / ح3 .

القسم الثاني :

أبعاد علامات الظهور :

و علامات الظهور ما دام الكلام قد انجر إليها ، لها عدة أبعاد :

1) : نتشرف بذكر كلامهم سلام الله عليهم جميعاً :

عن حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال : " هذه فتن قد أظلت كجباه البقر ، يهلك فيها أكثر الناس ، إلا من كان يعرفها قبل ذلك .)) . كتاب الفتن / لابن حماد / ص14 / طبع دار الفكر ، بيروت ؛ عقد الدرر / طبع القاهرة / ص333 .

وعن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله يقول : « هما صيحتان ، صيحة في أول الليل ، وصيحة في آخر الليلة الثانية . قال : فقلت : كيف ذلك ؟

قال : واحدة من السماء ، وواحدة من إبليس . فقلت: كيف تُعرف هذه من هذه ؟

فقال : يعرفها من كان سمع بها من قبل أن تكون . » . الغيبة للنعماني / ص265 / ح31 .

فمن هذا يتبين أن معرفة العلامات له أثره الفعال في المحافظة على توازن الشخص في زمن الفتن ، فهي أمان من الضلال .

وفي رواية سئل عن الندائين : « فمن يعرف الصادق من الكاذب ؟

فقال : يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون إنه يكون قبل أن يكون ، ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون . » . الغيبة للنعماني / ص264 / ج28 .

وفي رواية قالوا له : ((فما يدرينا أيهما الصادق من الكاذب ؟

فقال : يصدقه عليها من كان يؤمن بها قبل أن ينادي . » ، إن الله عز وجل ، يقول :

{ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } الآية 35 / سورة يونس . .)) . روضة الكافي / ص209 / ح253 .

2) : تدل على صدقهم .

ومن جملة صدقهم التي تأتي مرتبةً قبل العلامات هي علامة بحد ذاتها ، فإنهم أخبروا من أنّ

غيبته ليست بقصيره ، بل تطول وتطول ، وهذا ما عاشه غيرنا ، وعشناه ، والله أعلم إلى متى ستكون ؟

فهذه من أول الأدلة القائمة المتينة ، التي تبين صدقهم .

ويمكن اعتبارها حجة لهم على الناس .

3) : نفس العلامات ، ذِكرُها يفيد وجوده المبارك وطلعته المترقبة ، فإنّ بعضها الحادث ، يدل على بعضها الآخر ، فيكون الإنسان صادقاً بانتظاره ، ومصدقاً على ذلك .

4) : وهذا التوزيع العجيب على مساحة التاريخ الواسعة من أسرارها العجيبة ، إذ تحث الناس على الإنتظار ، فضلاً عن تذكيرهم به دائماً .

5) : فيرتبطون به عند حدوثها أكثر فأكثر ، فيكون هذا مدعاة للخير لهم دائماً ، وجذباً حقيقياً لهم نحو الدين الحنيف .

6) : و مهما قسى الزمان عليهم فلهم الأمل الكبير في تحقق النصر ، فهاهي طلائعه تظهر لهم وتبرق ، بتحقق ما ذكره الأئمة عليهم السلام ، و إن كانت غيبته لا زالت مستمرة .

7) : فمن جهة يزدادون صبراً مع شدة المصائب .

8) : ومن جهة يزدادون يقيناً و إيماناً .

ومضمون رواية الإمام الصادق عليه السلام : " إن قدّام المهدي علامات من الله عز وجل للمؤمنين . " . كمال الدين / ص649 / ح3 . تبين هذا .

9) : و الإنتظار للشئ المهم ، ثم بعد ذلك تلوح طلائعه وتختفي ، ، ستكون المحافظة عليه أتم عندما يأتي ، إذ يشعر الناس ويتلمسون ما اقترفوه بحق هذه الصفوة التي كانت لسعادة البشرية همها ، بعد أن فرّط الناس بأجداده و آبائه عليهم السلام ، فتكون علاقتهم به أقوى ، والمحافظة عليه أتم .

10) : ستكون لتلك العلامات الأثر الفعال في أيام الظهور إذ سيشد بعضهم بعضاً للوصول إلى خدمته والكون بين يديه ، إقتداءاً بالإمام الصادق عليه السلام إذ لعل في بعضها قد ورد انه عليه السلام يتمنى أن يكون معه ليخدمه .

عن الصادق عليه السلام قال : (لو أدركته لخدمته أيام حياتي .) . الغيبة / النعماني / 245 .

وقال سدير الصيرفي : دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب ، وعليه مسح خيبري ، مطوق بلا جيب مقصر الكمين ، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى ، ذات الكبد الحرى ، قد نال الحزن من وجنتيه ، وشاع التغيير في عارضيه ، وأبلى ـ ولعلّهُ وبلَّ ـ الدموع محجريه ، وهو يقول : (سيدي ، غيبتك نفت رقادي ، وضيقت عَليَّ مهادي ، وابتزت مني راحة فؤادي ، سيدي ، غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد ، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد ، فما أحس بدمعة ترقى في عيني ، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا ما لقيني...). كمال الدين / 352 / ح 50 .

11) : ولهذه العلامات الأثر الفعال في بيان كذب كل من يدعي أنه المهدي قبل ذلك ، لأن ظهوره لم يتم بحسب ما جاءت به الروايات عنهم .

فمثلاً لو ادّعى أحدهم أنه الإمام فيكفي في بطلان دعواه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال :

((خروج اليماني والسفياني والخراساني في سنة واحدة ، وفي شهر واحد ، وفي يوم واحد ، ونظام كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضاً .)) . الغيبة للنعماني / ص 253 / ح13.

فكيف سينسق ظهوره مع هؤلاء المذكورين ؟

ولو ادعى أنه اليماني ، فالأيام تثبت كذبه ، لأنه لم يتحقق خروجه مع السفياني والخراساني .

وهكذا .

لذا فإن فتن هؤلاء و أولئك سوف لن تنطلي على من فهم تلك الدلائل ووعاها ، فعرف الحق والتصق به ، فيكون في أمان من هؤلاء الجهال اللعناء .

12) : لبعضها الأثر الفعال في معرفة شخصه إذ تـُعرِّف الناس عليه عند ظهوره عجل الله تعالى له الفرج ، كما بدأنا الحديث بها .

روى ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ قُلْتُ لأبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلام) : مَا عَلامَةُ الإِمَامِ الَّذِي بَعْدَ الإِمَامِ ؟

فَقَالَ : طَهَارَةُ الْوِلادَةِ ، وَ حُسْنُ الْمَنْشَإِ ، وَ لا يَلْهُو وَ لا يَلْعَبُ .)) . الكافي / بابُ الامُورِ الَّتِي تُوجِبُ حُجَّةَ الامَامِ (عَلَيْهِ السَّلام/ ر4 .

وروى ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ : " نَحْنُ وُلاةُ أَمْرِ الله ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ الله ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ الله . " . المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ (عليهم السلم) وُلاةُ أَمْرِ الله وَخَزَنَةُ عِلْمِهِ .

هم ممن علمهم الله تعالى ، فعليه كل من دخل معهداً ، و تتلمذ على يد أحد حتى لو كان ذلك في صغره ، وكل من تعلم من أحد شيئاً لا يمكن أن يكون هو الإمام .

بل دعوانا بناءاً على روايات صادقة من أنه لا أعلم منه موجود .

ولو ثقل ذلك على كثير من الناس ، فلابد من أن يفهموا من أنه لا يحتاج إلى أحد في الترجمة مثلاً أبداً ، فإنه يعرف كل لغات أهل الأرض ، ولو ثقل هذا في أسماع بعض فإنه يعلم حتى لغة الطير .

فإذاً لا يُسأل عن شئ ويقول لا أدري .

وهكذا أراد الله له أن يكون حجة الله على خلقه .

فإذاً من ظهر ، ومن يظهر ممن يدّعي هذه المناصب لا حاجة لمعرفة ما عنده ، فكفى به أنه لا يجيد اللغة العربية ، فإنه يكفي ذلك وحده ليدل على إنه كذّاب وضال مضل ، وكذا لو احتاج إلى ترجمة في تكلمه مع أي أحد .

فضلاً عن معروف النسب ومعلومه .

القسم الثالث :

بقيَّةٌ لابُدَّ منها :

ولكن ما هي العلامات ؟

وكما يعلم المتتبع لرواياتها أن الأمور قد اختلطت في كثير منها وذلك :

لأن علماءنا الأعلام قد ركزوا على الفقه ، دون بقية موارد الروايات ليعرفوا الحلال من الحرام ، لأجل المحافظة على دين الله في الأرض ، وعدم ضياعه ، فكانت مدرستهم الفقهية هي ملجأ الوافدين لمعرفة أحكام الله التي شرعها للناس ، بعد أن فرّط الناس في خلفائهم ، و ألجأوهم للإبتعاد عنهم ، بل للغيبة .

وبطبيعة الحال إشتغالهم بالأهم فالأهم جعلهم يصرفون وقتهم فيه ، ولا يغوصون في أعماق هذه الروايات المتعلقة بالظهور ، فنقل بعضها على ما هو عليه .

وبعضها قد طمر خوفاً من ظلم السلاطين وبطشهم .

أو ضاع في غمرة السنين .

ثم هناك القصّاصون الذين يعيشون عالم الخيال ، قد وضعوا ما وضعوا فيها .

ثم السلاطين و الحكام قد كذبوا على أنفسهم قبل الآخرين عند أمرهم وعاظهم أن يضعوا بعض ذلك فيهم .

ومحبوهم ربما قد شُغِفوا في ذلك .

و تحريف السنين ، من حيث التلف ، والنسيان ، والسهو ، والغلط ، والإشتباه ، فانتبه لهذا .

كل ذلك اشترك في اختلاط الأوراق بعضها ببعض ، من حيث الصدق والكذب ، والزيف والإفتراء ، والواقع والحقيقة ، فضاعت كثير من المعالم ، وتشوهت كثير من الحقائق في هذا الزخم الهائل من الأيام والأشهر والسنين .

وعالمنا عالم الإستكبار فيه قد ضاعت حقوق الضعفاء .

فاختلط الحابل بالنابل ، والغث بالسمين .

لذا جاءت بعض الروايات كالأحجية ، وبعضها قد اختلط بالبعض الآخر ، وبعضها قد اقتطعت أوصاله ، وبعضها يُشعرك بوضعها إسلوبها .

ولكن ما بين هذا الزخم الهائل ظهرت معالم تدلنا على ما يهم من الطريق ، وحاشاهم أن يتركونا نضيع ، وهم سفينة نجاتنا .

لذا أمرنا بالتدقيق في رواياتهم ، والإنتباه لما جاء فيها :

و رواية أبي عبيدة الحذاء ، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام تنبيك عن ذلك : حيث قال له صلوات الله ، وسلامه عليه : « والله ، إن أحب أصحابي إليَّ : أورعهم ، وأفقههم ، وأكتمهم لحديثنا .

وإن أسوأهم عندي حالاً ، وأمقتهم ، لـلـّذي إذا سمع الحديث يُنسب إلينا ، و يروى عنـّا ، فلم يقبله ، اشمأز منه ، وجحده ، وكفَّر من دان به ، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج ، وإلينا أسند ، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا . » الكافي / ج2 / ص223 .

القسم الرابع :

<u>وهاك بعضها ، وما قالوا فيها :</u>

" رجل مِن قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم ، قلوبهم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح و العواصف ، لا يملون من الحرب ، ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين . " . البحار / ج6 / ص296 .

وفي حديث عن الباقر عليه السلام :

" كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق ، فلا يعطونه ، ثم يطلبونه فلا يعطونه ، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوا ، فلا يقبلونه حتى يقوموا... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء... أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر . أي المهدي عج . . " . البحار / ج 52 / ص 243 – 343 .

عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

" يخرج قوم من قبل المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه " .)) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ علي بن أبي بكر الهيثمي / ج 7 / باب ما جاء في المهدي ، وهو آخر ما جاء فيه / الحديث رقم 12414 .

و إن كان قد علق عليه مباشرةً : ((رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عمرو بن جابر ، وهو كذاب .)) . المصدر نفسه .

قالوا أي تبدأ عملية التوطئة للظهور من المشرق ، من قبل بلاد إيران ، و فارس .

وعن الصادق عليه السلام : ((و إن البلايا مرفوعة عن قم و أهلها ، وسيأتي زمان تكون قم و أهلها حجة على الخلائق ، و ذلك زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره .)) . البحار / ج 60 / ص 213 .

و يقول الإمام الصادق عليه السلام : ((ستخلو الكوفة من المؤمنين ، و يأزّرّ عنها العلم ، كما تأزر الحية في جُحرها .)) . سفينة البحار / ص 365 .

((ثم يظهر العلم ببلد يقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين ، حتى المخدّرات ، ويمكن أن يكون ذلك إشارة لِما نشاهده اليوم من انتشار الثقافة الدينية عند

الناس كافة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، لوجود وسائل الإنتشار السريع للمطبوعات والمقروءات و المسموعات ، بواسطة الأنترنيت والفضائيات ووسائل الإعلام الأخر ، فالكل يستطيع أن يصل لأي معلومة مهما دقت ، ولأجل ذلك أصبح المؤمنون أقوياء في دينهم . وذلك عند قرب ظهور قائمنا عجّل الله تعالى فرجه الشريف .)) . المصدر نفسه .

عن أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى علامات الظهور : (بين يدي القائم موت أحمر ، وموت أبيض ، وجراد في حينه ، وجراد في غير حينه ، أحمر كالدم . فأما الموت الأحمر فبالسيف ، وأما الموت الأبيض فالطاعون) . النعماني / 277 ، الإرشاد / 359 ، وغيبة الطوسي / 267 ، وإعلام الورى / 427 ، والبحار / ج52 / ص211 .

و عنه عليه السلام : " قتل فظيع وموت سريع وطاعون شنيع " . الهداية للحصني / ص 31 .

وعن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قدام القائم موتان : موت أحمر ، وموت أبيض ، حتى يذهب من كل سبعة خمسة ، الموت الأحمر السيف ، والموت الأبيض الطاعون .) . كمال الدين : 2 / 655 ، البحار : 52 / 207 .

و عن الإمام الباقر عليه السلام :

" لا يقوم القائم إلا على خوف شديد ، وطاعون قبل ذلك . " .

والظاهر أن المقصود من الطاعون في مثلها الأوبئة .

و عن سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) : - ((... أبشروا بالمهدي فإنه يأتي في آخر الزمان على شدة ، و زلازل ، يسع الله له الأرض عدلاً و قسطاً .)) . دلائل الإمامة / 249 .

وربما ما يحدث هذه الأيام من أحداث أرضية وسماوية ، علامات واضحة ، و إشارات لائحة تنبيك عن قرب الظهور ، ولكن كما قلنا الزمن طويل ، فالقرب قد يكون بسنين معدودة ، أو قد يكون بعد عشرات منها ، أو قد يتجاوزها بمقدار لا يعلمه إلا الله تعالى .

ف " تسونامي " آسيا الذي حدث أواخر سنة 2004م. الذي تسبب بموت أكثر من ربع مليون إنسان تقريباً لا زالت مأساته حاضرةً في الأذهان . وقد حدث من جراء زلزال ضرب المحيط الهادي قرب أندونيسيا فتسبب بقتل (283 ألف نسمة) .

و أعاصير أمريكا لا زال لها وقعها الخاص ، منذ عام 2004 م حيث أصبحت " نيو أورليانز " لا جديد فيها إلا الخرائب .

و لا زالت أعاصير أمريكا يُضرَّب بها المثل .

و زلازل سومطرة المتكررة ، بقوة درجاتها العالية ، و هكذا اليابان ، ذِكرها يزلزل القلوب قبل الأقدام ؛ فكل زلزال قوي يتبعه زلزال آخر أقوى ، وهذا ما لم يُسجَّل في سجل الزلازل منذ أنشأ ، وهو ما صرح به علماء الأرصاد بأنفسهم .

ولو أخذنا فقط الشهرين الأولين لسنة (2010 م.) التي نحن فيها لرأينا أنه قد حدث فيها أكثر من (42) اثنين و أربعين زلزالاً في محيط العالم ، على ما أحصاه علماء الجيولوجيا ، من بينها زلازل مدمرة عدة ، ناهيك عن الكوارث الطبيعية من الفيضانات ، والثلوج العجيبة ، والهزات الأرضية التي تجاوزت الأعداد المعقولة لها ، فضلاً عن الحروب والأمراض ، و الأوبئة ، ولعلها هي البداية فقط ، فأين المعتبر ؟! .

وهاك جدولاً بزلازل عام 2010 م. لشهرين متتاليين فقط ، حسب وكالات الأنباء المتنوعة ، لبيان الحقيقة التي نحن غافلون عنها أصلاً :

يوم 1/ 01 : أفاد مركز المسح الجيولوجي الأمريكي أن زلزالا متوسطا بلغت قوته 9ر5 درجات على مقياس ريختر ضرب اليوم مدينة مكسيكالي المكسيكية.

2 / 01 : ضرب زلزال بقوة 5ر3 درجة على مقياس ريختر اليوم محافظة زنجان غرب العاصمة الايرانية طهران.

3 / 01 : سجل مركز رصد الزلازل الأمريكي اليوم زلزالا بقوة 6,2 د. غرب منطقة غوام الاميركية في المحيط الهادىء .

.. .... زلزال مدمر ضرب المنطقة الجبلية الواقعة جنوب شرقي العاصمة الطاجيكستانية دوشنبه ، و قد بلغت قوته 5.2 د..

ونقلت وكالة أنباء رويترز اليوم عن عظيم شمس الدينوف نائب رئيس منطقة فانجي الواقعة على بعد 390 كيلومترا جنوب شرقي دوشنبه قوله ان " الزلزال دمر 1050 مبنى سكني في منطقتنا . "

4 / 1 : ضرب زلزالان متوسطا القوة مناطق شرق اندونيسيا وغربها اليوم مما أثار الخوف بين سكان المناطق الساحلية .

وقالت هيئة رصد الزلزال والبحوث الجيوفيزيقية الاندونيسية إن الزلزال الأول ضرب جزر مالوكو/بشرق اندونيسيا/ وبلغت

قوته 7ر5 د. ، وكان مركز الزلزال يقع على عمق 33 كم تحت سطح البحر ، ويبعد نحو 77 كم عن أمبون ، بجزر مالوكو .
و أن الزلزال الثاني ضرب السواحل الشمالية من جزيرة سومطرة ، غرب اندونيسيا ، وبلغت قوته 5.5 د. . و كان مركز الزلزال يقع على عمق 14 كيلومترا تحت سطح البحر ، ويبعد نحو 177 كيلومترا عن مدينة تاناهبالا ، بجزيرة سومطرة .

..... : ضرب زلزال متوسط القوة مساء اليوم الشطر الشمالي من إقليم بلوشستان الباكستاني الجنوبي الغربي .

وأوضح مكتب الأرصاد الجوية والمسح الزلزالي في مدينة كويتا عاصمة الإقليم أن الزلزال بلغت قوته 2ر3 درجة على مقياس ريختر ، وكان مركزه بالقرب من مدينة زيارات .

.... ذكرت هيئة المسح الجيولوجي الامريكية اليوم إن زلزالا قوته 6.5 د. وقع قرب جزر سولومون جنوب المحيط الهادي . الساعة 2148 دق. ، وكان مركزه على بعد 88 كم ج ش جيزو ، بجزر سولومون ، على عمق (10) كم .

5 / 01 : يوم الاثنين : أعلن المركز الجيوفيزيائي الأميركي أنه قد وقع زلزال عنيف بلغت قوته 7,2 د. صباح اليوم قبالة سواحل جزر سليمان ، في جنوب غرب المحيط الهادئ ، عند الساعة 09,36 صباحاً في البحر على عمق 30 كم. وعلى مسافة نحو 100 كم. من مدينة جيزو.

..... وسبقت الزلزال قبل ساعة من وقوعه تقريبا هزة أرضية وقعت عند الساعة 08,48 بالتوقيت المحلي على بعد 143 كم. جنوب شرق جيزو ثاني كبرى مدن الأرخبيل .

10 / 01 : غمرت الفيضانات أجزاء من وسط أستراليا مع كونها معروفة بالجفاف ، مما أدى إلى عزل فنادق المنتجعات وغلق الطرق ، وهطلت المزيد من الأمطار على البلدة السياحية الأسبوع الماضي أكثر من العام الماضي كله .

وألغى المئات من السياح الأجانب برنامجهم عقب إلغاء خدمات قطار غان الشهير الفاخر.، و قد توقف القطار بسبب جرف الفيضانات لجزء من قضبان السكة الحديدية ، قرب أليس سبرنجز .

13 / 01 : ضرب زلزال كبير بقوة 7.3 درجات في وقت متأخر من مساء أمس الثلاثاء دولة هاييتي متسببا في دمار كبير .

ونقل عن سفير هاييتي في الولايات المتحدة قوله إن بلاده تعرضت لكارثة كبيرة جراء الزلزال الذي كان مركزه في البر على بعد 16 كلم جنوب العاصمة بورت أوبرانس ، على عمق 10 كلم فحسب.

وقال الصليب الأحمر في هاييتي : إن العدد الإجمالي لقتلى الزلزال الذي وقع يوم الثلاثاء قد يتراوح بين 45 ألفا و50 ألف قتيل بالإضافة إلى ثلاثة ملايين شخص بين مصاب ومشرد .

وقال وزير الداخلية الهاييتي انطوني باين –ايمي: جمعنا بالفعل نحو 50 الف جثة ونتوقع ان يكون هناك في المجمل ما بين 100 الف و200 الف قتيل على الرغم من اننا لن نعرف قط العدد على وجه الدقة .

14 / 01 : غمرت الفيضانات مناطق شاسعة من دول غرب البلقان ، بسبب هطول الأمطار وذوبان الجليد بسرعة غير متوقعة ، لاسيما بعد فيضان عدة أنهار ، وقد حصلت انزلاقات طينية جراء ذلك، و تَمّ إجلاء الآلاف إلى مناطق أكثر أمنًا .

15 / 01 : قالت مصادر في اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العاصمة الكينية نيروبي إن الفيضانات التي ضربت منطقة ماليندي الساحلية خلفت 38 قتيلا وأكثر من 40 ألف مشرد .

وكان منسوب الأمطار منخفضا في أجزاء كثيرة من كينيا لكن الأمطار الغزيرة التي هطلت على المناطق الساحلية منذ الشهر الماضي تسببت في فيضانات مفاجئة وخلقت حالة من الفوضى والذعر في صفوف السكان.

وعزا خبراء الأرصاد الجوية هذه الفيضانات إلى ظاهرة "النينو" الناجمة عن ارتفاع درجة حرارة الجزء الشرقي من المحيط الهادئ بطريقة استثنائية وعلى نحو يؤثر في أحوال المناخ العالمية ويتسبب في هطول الأمطار الغزيرة.

وتجتاح هذه الظاهرة المناخية المناطق الشرقية من القارة الأفريقية، وتركت نتائج كارثية على كينيا التي كانت وحتى فترة قريبة تعاني من ظاهرة الجفاف .

16 / 01 : ضرب زلزال بقوة 5.6 درجات على مقياس ريختر بلدة كاروبانو الفنزويلية الكاريبية الساحلية بعد ثلاثة أيام من الزلزال القوي الذي ضرب هايتي.

وقالت هيئة المسح الجيولوجي الأميركية إن الزالزال وقع على عمق 12 كلم وعلى مسافة 39 كلم جنوب غربي كاروبانو .

19 / 01 : ضرب زلزال بلغت قوته 5ر2 درجة على مقياس ريختر مساء اليوم غرب اليونان .

وقال معهد قياس الزلازل في أثينا إن مركز الزلزال كان على بعد عشرة كيلومترات تحت سطح الأرض وفي منطقة تقع شمال شرق مدينة نافباكتوس بحوالي تسعة عشر كيلومترا.

..... ضرب زلزال قوي الليلة جواتيمالا ومناطق من السلفادور ، و هاتان الدولتان تقعان في أمريكا الوسطى.

وقالت مصلحة الرصد الجيولوجي الأمريكية إن الزلزال بلغت قوته المبدئية 6 درجات على مقياس ريختر وأن مركزه كان على بعد نحو مائة كيلومتر جنوب غرب مدينة جواتيمالا سيتي .

21 / 01 : جدد الذعر في هاييتي أمس بعد أن ضربها زلزال جديد بلغت قوته 6 درجات بعد ثمانية أيام من الزلزال المدمر الذي خلف كارثة إنسانية فيها .

24 / 01 : قال مركز المسح الجيولوجي الأميركي ومقره ولاية فرجينيا إن بوليفيا تعرضت **لزلزالين خلال ساعة واحدة ،** بلغت قوة أحدهما 5ر3 درجة ، والآخر 5ر2 درجة .

كما شهدت المنطقة الحدودية لكوستاريكا وبنما **زلزالين متزامنين مع زلزالي بوليفيا** ، بقوة 5.2 درجة و 4.7 درجة. ولم ترد تقارير بوقوع خسائر أو أضرار .

30 / 01 : جاكرتا فى 29 يناير : قال الناطق باسم هيئة الرصد الزلزالى والبحوث الجيوفيزيقية الاندونيسية أديسون بيرنينج اليوم ان الزلزال الذى استمر لمدة دقيقة كاملة تسبب فى هروب الاف الاشخاص من منازلهم خشية حدوث كارثة موجات المد العاتية ، و أضاف الناطق فى تصريحات صحفية ان مركز الزلزال يقع على عمق 10 كيلومترات تحت سطح البحر ويبعد حوالى 23 كيلومترا عن شمال غرب مدينة تاكينجون / باقليم اتشيه./

30 / 01 : ضرب زلزال بقوة 5ر3 درجة بمقياس ريختر ولاية غليزان الواقعة غرب الجزائر.

وذكر بيان صادر اليوم عن مركز البحث في علم الفلك والفيزياء الفلكية والجيوفيزياء أن الزلزال وقع مساء أمس وقد حدد موقع الهزة على بعد 18 كلم شمال شرق ولاية غليزان.

وكان المركز قد أعلن أن الجزائر سجلت خلال الفترة من 26 أكتوبر الماضي إلى يوم 17 يناير الحالي (11) هزة أرضية شملت العديد من الولايات الداخلية والساحلية قاربت شدتها فى بعض الأحيان خمس درجات من مقياس ريختر .

.... ضربت أمس الجمعة هزة بقوة 6 درجات على مقياس ريختر جزر فانواتو التي تقع جنوب المحيط الهادي . وأفاد مركز الرصد الجيولوجي الأميركي على موقعه على الإنترنت ان الهزة سجلت على عمق 85 كيلومتراً ، وعلى بعد 65 كيلومتراً جنوب شرق بلدة إيسانغيل و195 كيلومتراً جنوب شرق العاصمة بورت فيلا، و1935 كيلومتراً شمال شرق مدينة بريسباين بمقاطعة كوينزلاند الأسترالية.

31 / 01 : أعلن المعهد الاميركي للجيوفيزياء أن زلزالا قوته 5,6 درجات ضرب صباح اليوم شمال تشيلي .

وحدد مركز الزلزال الذ ي وقع عند الساعة (5,50 توقيت جرينتش) في الجبال على بعد حوالى 96 كيلومترا جنوب غرب مدينة كوبيابو

..... ضرب زلزال بقوة 3ر8 درجة على مقياس ريختر فجر اليوم أجزاء من محافظة كرمان جنوب غرب ايران.

وحددت مؤسسة رصد الزلازل الايرانية مركز الزلزال في ضواحي بلدة بلوك جنوب مدينة كرمان مركز المحافظة .

..... أعلن المعهد الأميركي للجيوفيزياء أن هزة أرضية بلغت قوتها 5,2 درجات ضربت إقليم سيشوان الصيني اليوم .

وتم تحديد مركز الهزة على عمق 18 كلم من بعد 36 كلم جنوب شرق مدينة سوينينغ في سيشوان الذي يقع جنوب الصين.

1 / 02 : ضرب زلزال بلغت قوته 3.5 درجات على مقياس ريختر أمس ضواحي مدينة (قم المقدسة) الأيرانية الواقعة على بعد 120 كم. جنوب طهران وذكرت وكالة الأنباء الايرانية ان الزلزال وقع في الساعة الرابعة و 55 دقيقة من فجر أمس .

..... كما ضرب زلزال بقوة 4.2 درجة على مقياس ريختر ضواحي منطقة (وهبنان) الواقعة بين حدود محافظتي كرمان ويزد شرق أيران .

2 / 02 : تعرضت العاصمة الجزائرية فجر اليوم الى زلزال بقوة 3ر3 درجات على مقياس ريختر.

وحددت مصادر الرصد الجزائرية مركز الزلزال على بعد كيلومترين اثنين جنوب شرق منطقة الشرافة التابعة لولاية الجزائر.

..... ضرب زلزال بلغت قوته 4ر8 درجات على مقياس ريختر اليوم مدينة سان دييغو الاميركية /جنوب غرب/ ومدينة تيخوانا على الجهة المقابلة في المكسيك . وحدد المعهد الاميركي للجيوفيزياء مركز الزلزال في شمال غرب ولاية كاليفورنيا السفلى المكسيكية على بعد 31 كلم من تيخوانا وعمق 6ر9 كلم.

13 / 02 : ضرب زلزال متوسط شرق كوبا صباح اليوم . و قالت هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية إن قوة الزلزال بلغت 5ر4 على مقياس ريختر وكان مركزه على بعد 55 كم. ج. ش. (باراكوا) بالقرب من حافة أقصى شرق الجزيرة الكاريبية.

..... ضرب زلزال جزيرة (بالي) باندونيسيا أمس . وذكرت وكالة الأرصاد الاندونيسية أن الزلزال بلغت قوته 6.6 درجات على مقياس ريختر.. وان كان مركز المسح الجيولوجي بالولايات المتحدة قدرها بحوالي 5.7 درجات. وأوضحت الوكالة الاندونيسية أن الزلزال وقع صباح أمس وتمركز على عمق 10كيلومترات تحت قاع البحر وعلى بعد 210 كم جنوب شرق مدينة (نوسادوا) في جزيرة بالي.. وشعرت بالهزة أيضا مدن (دنباسار) و(باندونج) بالجزيرة ومناطق أخرى في شرق جاوة.

..... أعلن المعهد الوطني للجيوفيزياء التابع للمركز الوطني للبحث العلمي والتقني أن زلزالا ضرب إقليم شفشاون في جماعة بريكشة بقوة (3.7) درجات على سلم ريختر المفتوح تم تسجيلها الساعة الخامسة وثلاث دقائق من صباح اليوم السبت .

..... وكان المعهد قد أعلن عن زلزال خفيف بقوة 3ر4 درجات على سلم ريختر المفتوح ، تم تسجيلها في الساعة السابعة و11 دقيقة من مساء يوم أمس بالجماعة ذاتها.

21 / 02 : ضرب زلزال بقوة 4.3 درجات على مقياس ريختر ظهر اليوم مدينة "لنده" الواقعة في محافظة "كهكيلوية وبويرأحمد" بين محافظتي "كهكيلوية وبويرأحمد" و"خوزستان" في جنوب غرب ايران.

وأفادت وكالة الانباء الايرانية الرسمية أن مؤسسة رصد الزلازل الايرانية حددت مركز الزلزال حول مدينة لنده الواقعة على الحدود.

..... وكان زلزال بقوة 3.7 درجات على مقياس ريختر ضرب المنطقة نفسها كذلك قبل ظهر اليوم.

..... **سجلت محطات الرصد الزلزالية (426) هزة أرضية خلال شهر يناير/ كانون الثاني الماضي موزعة على مدينة ذمار وخليج عدن وعدة مناطق متفرقة في اليمن.**

وأفاد نائب رئيس مركز رصد ودراسة الزلازل والبراكين في اليمن صالح المفلحي امس "أن هذه الهزات تفرغت على هيئة حشود ذات مقادير زلزالية ضعيفة."

23 / 02 : اعلنت السلطات في تايوان أن زلزالا بقوة ست درجات على مقياس ريختر هز اليوم شمالي البلاد. وقع عند الساعة 1.21 ظهرا بتوقيت تايوان (05.21 صباحا بتوقيت غرينتش . وذكر المكتب المركزي للطقس أن مركز الزلزال حدد على بعد حوالي 160 كلم شرق سواو على الساحل الشمال الشرقي وعلى عمق 28 كلم.

..... قالت هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية إن زلزالا متوسط القوة بلغت شدته 4.7 درجات هز هايتي امس الإثنين الساعة صباحا (0936 بتوقيت جرينتش) على بعد 35 كيلومترا الى الغرب من بورت او برنس على عمق (10) كم .

27 / 02 : قالت هيئة المساحة الجيولوجية الأميركية إن زلزالا قوته 5.9 درجات وقع قبالة الساحل الغربي لنيكاراغوا مساء الأربعاء ، على الحدود مع كوستاريكا ، وكان مركز الزلزال على بعد ستين كيلومترا إلى الجنوب الغربي من بلدة ريفاس في المحيط ، وعلى عمق 43 كيلومترا.

..... ضرب زلزال عنيف بلغت قوته 6.9 درجات بمقياس ريختر جزيرة أوكنياوا اليابانية .

وذكرت وكالة الأرصاد الجوية اليابانية أن تحذيرا صدر من موجات مد يصل ارتفاعها إلى مترين في بعض المناطق بعد الزلزال الذي وقع قبل فجر اليوم السبت على عمق عشرة كيلومترات وعلى مسافة 81 كيلومترا شرق جزيرة أوكيناوا بسواحل اليابان الجنوبية على المحيط الهادي.

..... وضرب زلزال عنيف بقوة 8.8 درجات على مقياس ريختر فجر اليوم منطقة كونسبسيون (317) كيلومترا جنوب غرب العاصمة التشيلية (سانتياغو) ، ثاني أكبر مدن البلاد ، وقال مركز المسح الزلزالي الأميركي إن مركز الزلزال يقع على بعد تسعين كيلومترا جنوب شرق مدينة كونسبسيون .

وتبعته هزتان ارتداديتان واحدة بقوة 6.9 على بعد 210 كلم غرب مركز الزلزال ، والأخرى بقوة 5.5 قبالة ساحل فاباريسو (84) كيلومترا غرب سانتياغو . وامتدت تأثيرات الزلزال إلى سانتياغو حيث أصيب عدد من المباني التاريخية في وسطها بأضرار بالغة ، وهرع سكانها مذعورين إلى الشوارع . و أعلن مركز رصد التسونامي في المحيط الهادي إن موجات تسونامي يبلغ ارتفاعها 2.34 مترا ، ضربت سواحل 11 مدينة ، وبلدة ساحلية في تشيلي .

28 / 2 : في اليابان ضرب زلزال قوته 6.9 درجات على مقياس ريختر مقاطعة (أوكيناوا) اليابانية والمناطق المجاورة لها . وذكرت وكالة الأرصاد الجوية أن مركز الزلزال الذي وقع في حوالي الخامسة والنصف صباحا كان على عمق (10 كم.) تحت قاع البحر وعلى بعد 50 كيلومترا من مدينة (ناها) عاصمة المقاطعة .

1 / 03 : ضرب زلزال معتدل القوة باكستان وأفغانستان ، و وفق وكالة أسوشيتد برس إن هيئة المسح الجيولوجي الأميركية قالت إن قوة الزلزال بلغت 5.7 درجات وإن مركزه كان جبل هيندوكوش الذي يقع على بعد 110 كلم شمالي كابل. وشعر به سكان شمال غرب باكستان والعاصمة الأفغانية كابل .

فهذه إحصائية شهرين ، و أكثر من أربعين زلزالاً ، قد وقعت في الأرض التي نعيش فيها .

ومرض السارس ، و إفلاونزا الخنازير ، ناهيك عن أمراض العراق السرطانية التي تولدت من هذه الحروب الفتاكة .

ومما جاء في كتب القوم واستشهدوا به :

روى صاحب مجمع الزوائد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق ، وما حوله ، على أبواب بيت المقدس ، وما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين إلى يوم القيامة ".

رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الوليد بن عباد ، وهو مجهول .)) . علي بن أبي بكر الهيثمي / مجمع الزوائد / ج 7 / باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق / الحديث 35221 .

و قد أورد في موضع آخر ذلك بعينه ، عن أبي هريرة كذلك ، ولكنه ذكر بعده : رواه أبو يعلّى ، ورجاله ثقات .)) . المصدر نفسه / ج10 / باب ما جاء في فضل الشام / رقم الحديث 26661 .

لو تأملنا لرأينا أن هناك عدة أسماء ، ركّزتْ عليها الروايات :

الخراساني ، واليماني ، و السفياني .

ومنها شعيب بن صالح ، و الرايات السود .

وما دام الحديث قد وصل إلى هنا ، فلو تأملنا في ما ورد في شخصيات زمن الظهور ، عسى أن نستبين منه شيئاً .

القسم الخامس :

لنتعرف على بعض تلك الشخصيات المتاخمة للظهور :

<u>فمن هو الخراساني :</u>

ورد في الروايات عند الطرفين أن مواصفات الخراساني كالتالي:

1) : سيد هاشمي حسيني.

2) : من خراسان.

3) : صبيح الوجه.

4) : في خده الأيمن خال.

5) : في يده اليمنى خال ، و قالوا لعله تصحيف خلل .

6) : إنه قائد القوم .

<u>شعيب بن صالح :</u>

ومن رواية : محمد بن الحنفية الوارد فيها : " ثم تخرج من خراسان رايات سود ، قلانسهم سود وثيابهم بيض ، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح ، من تميم ، يهزمون أصحاب السفياني ، حتى تنزل ببيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه . " .

استدلوا على أن قيادة جيش الخراساني سيكون بيد المسمى بشعيب بن صالح .

فمن هو شعيب بن صالح يا تُرى ؟

هو نفسه الوارد اسمه في رواية عن عمار بن ياسر جاء فيها :

" المهدي على لوائه شعيب بن صالح " . الشيعة والرجعة / ج1 / ص 211 .

وفي رواية أخرى : إنَّ على مقدمة جيش المهدي رجلاً من تميم ضعيف اللحية ، يقال له شعيب بن

صالح . ابن حماد / ص 86 .

و في مختصر البصائر ص199 . : من جملة خطبة لسيد البلغاء :

((....ولذلك آيات وعلامات أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق ، وتحريق الزوايا في سكك الكوفة ، وتعطيل المساجد أربعين ليلة ،.....)) .

وجاء عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبة يخبرهم بموت خليفة ، يكون عند موته فرج آل محمد صلى الله عليه وآله ، وفرج الناس جميعا ." . غيبة النعماني / 267 .

و ورد في رواية خطبة البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام : " ألا يا ويل بغداد من الري ، من موت و قتل و خوف يشمل أهل العراق ، إذا حلّ بهم السيف فيقتل ما شاء الله... فعند ذلك يخرج العجم على العرب و يملكون البصرة . " . إلزام الناصب / ج 2 / ص 119 .

وما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس و ما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق ، إلى أن تقوم الساعة .) . مجمع الزوائد / ج 10 / ص 60 . ــ و التعبير بالساعة يمكن أن يكون إشارة لساعة الظهور . ــ .

النفس الزكية :

و من العلامات التي أشارت إليها الراويات قتل النفس الزكية ، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض . البحار / ج 52 / ص 290 .

وجاء :

" قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين . " البحار / ج 52 / ص 220 .

وقد قال الامام الصادق عليه السلام : " ليس بين قيام القائم و بين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة ." .

عبد الله ، و موته :

و عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم ، ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ، و لم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ، ويذهب ملك السنين ، ويصير ملك الشهور والأيام ، فقلت : يطول ذلك ؟ قال : كلا .) . غيبة الطوسي / 271 ؛ و البحار : 52 / 210 عن النعماني .

البترية :

عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبي الجارود ، وفيه : (ثم يبايعه من الناس ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، يسير إلى المدينة فيسير الناس حتى يرضى الله عز وجل ، فيقتل ألفاً وخمسمائة قرشياً ليس فيهم إلا فرخ زنية.... و يسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية ، شاكين في السلاح ، قراء القرآن ، فقهاء في الدين ، قد قرحوا جباههم ، وسمَّروا ساماتهم السَّامَةُ [سوم] :- واحدة السّام لضرب من الخيزران جمعها : سامٌ . أنظر كتب اللغة منها لسان العرب مادة سام .

ولعل ذلك كناية عن طول وقوفهم في الصلاة . ، وعمَّهم النفاق ، وكلهم يقولون : يا ابن فاطمة إرجع ، لا حاجة لنا فيك !

فيضع السيف فيهم على ظهر النجف ، عشية الإثنين من العصر إلى العشاء ، فيقتلهم أسرع من جزر جزور ، فلا يفوت منهم رجل ، ولا يُصاب من أصحابه أحد ، دماؤهم قربان إلى الله .) .

الإرشاد / الشيخ المفيد / ج2 / ص384 ؛ دلائل الإمامة /241 .

فمَن هم هؤلاء البترية التي تتحدث الرواية عنهم ، يا تُرى ، والبترية فرقة كانت ثم انقرضت ؟

لو رجعنا لسبب تسميتهم بالبترية ، لانكشف الأمر .

جاء في مرويات البحار البحار:31/37 ، وفي كتاب من لا يحضره الفقيه الفقيه :445/4 عن زيد بن علي عليه الرحمه أنه خاطب قوماً : ((قال لهم : أتتبرؤون من فاطمة عليها السلام ، بترتم أمرنا ، بتركم الله .)) .

وقد أورد ذلك الكشي في رجاله ، عن سدير الصيرفي حينما قالوا : لأبي جعفر [نحن] نتولى علياً ، وحسناً وحسيناً ، ونتبرأ من أعدائهم ؟

قال الإمام : نعم .

ثم قالوا : نتولى أبا بكر وعمر ، ونتبرأ من أعدائهم ؟

قال : فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم : أتتبرؤن من فاطمة ؟! بترتم أمرنا ، بتركم الله .

فيومئذ سموا بـ " البترية " .

فمن هذا يظهر أن البترية هم الذين يتبنون الولاية لأهل البيت عليهم السلام من دون البراءة من أعدائهم .

ويحتمل أنهم إنما سموا بالبترية : لأنهم يؤمنون بالسيف دون غيره ، فحالهم حال البترية المذكورين ، و الذين هم أساساً من فرق الزيدية ، الذين يؤمنون بالسيف دون التقية ، في زمن الغيبة محمد الحسن بن موسى النوبختي من أعلام ق3 الهجري / فرق الشيعة / ص20 . ، فسمي بهذه اللفظة هؤلاء لأن مردهم واحد .

وهذا يأتي من عدم الوعي العقيدي .

و أساس فكرة التقية والإنتظار لعله جاء من الامور التي حدثت في الفترة التي تلت انتقال الرسول صلى الله عليه و آله ، وكأن أيام الإسلام انقلبت ، وانكفأت ، و خاصة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ، فرجع المؤمنون إلى ما قبل سنيّ هجرة الرسول صلى الله عليه و آله ، حيث يقول ، وهو الصادق المصدق : (ما أوذي نبي مثلما أوذيت .) . بحار الأنوار / 39 / 56 . ، وهو صابر محتسب ، لم يؤمر بحرب ليحارب ، مع ما يرى من تعذيب المشركين للمؤمنين بشتى الأساليب ، سامعاً أناتهم ، وهم تحت وطأة التعذيب ، فلا يأمرهم بقتال ، بل يوشحهم بقوله صلى الله عليه و آله وسلم : " صبراً يا آل ياسر ، إن موعدكم الجنة " . وقد رواه ابن شهاب عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ، قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار ، وهم يؤذون في الله ، فقال لهم : " صبراً يا آل ياسر إن موعدكم الجنة ". الاستيعاب في تمييز الأصحاب/ ج2 / حرف الياء / باب الأفراد في حرف الياء .

وقد وردت هذه الجملة في كتب القوم بصيغ مختلفة ذكر صاحب كنز العمال أربعة منها ، وهي : " اصبروا يا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة " وهي الحديث المرقم ب -33568 ، و -33565 " أبشروا يا آل عمار ! فإن موعدكم الجنة . " ، و الثالثة 33566 " صبرا يا أبا ياسر ، وآل ياسر ! فإن موعدكم الجنة ." ، والرابعة -33567 صبراً يا آل ياسر ! فإن مصيركم إلى الجنة . " . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / حرف الفاء .

و إنها لترسم لنا أروع لوحة للمواجهة الحقة عرفها الإنسان .

وبهذا نفهم ما جاء عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا دخل سلمان (رضي الله عنه) الكوفة ، ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها ، حتى ذكر مُلك بني أمية ، والذين مِن بعدهم . ثم قال : فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم ، حتى يظهر الطاهرُ ابن الطاهر المطهر ، ذو الغيبة الشريد ، الطريد .)) . غيبة الطوسي / ح124 /ص163 .

ولعله لهذا قال الصادق عليه السلام كما نقل الكشي في رجاله ، إذ قال : عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال :

" لو أن البترية صف واحد ما بين المشرق إلى المغرب ، ما أعزَّ الله بهم ديناً . "

لأنهم قد قالوا :

كما جاء في العوالم: عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: والله لا يخرج واحد منا قبل خروج القائم (عج) إلا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به .

غيبة النعماني: 199 ح 14.

و مما جاء في إسناد الصحيفة السجادية ، عن أبي المفضل ، بسنده عن متوكل بن هارون حيث قال : ((فلما قتل يحيى بن زيد صرت الى المدينة ، فلقيت أبا عبدالله (عليه السلام) فحدثته الحديث عن يحيى ، فبكى ، و اشتد وجده به ، وقال : رحم الله إبن عمي ، و ألحقه بآبائه و أجداده ، و الله يا متوكل.. ما منعني من دفع الدعاء إليه إلا الذي خافه على صحيفة أبيه ، و أين الصحيفة ؟

فقلت : هاهي .

ففتحها... و قال : هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين (عليهما السلام) .)) .

ثم قال : ((قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) : يا متوكل.. كيف قال لك يحيى.. إنَّ عمي محمد بن علي وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة ، ودعوناهم الى الموت ؟

قلت : نعم أصلحك الله ، قد قال لي إبن عمك يحيى : ذلك .

فقال : يرحم الله يحيى ، إنَّ أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) : إن رسول الله

(صلى اللّه عليه وآله وسلم) أخذته نعسة و هو على منبره ، فرأى في منامه رجالاً ، ينزون على منبره نزو القردة ، يردون الناس على أعقابهم القهقري ، فاستوى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) جالساً ، والحزن يعرف في وجهه ، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) بهذه الاية :

" وما جعلنا الرؤيا التي اءريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآنو نخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً ".. يعني بني امية .

إلى أن قال عليه السلام : ((... و أنزل اللّه تعالى فيهم : " ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمت اللّه كفراً و أحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار "

و نعمة اللّه محمد و أهل بيته ، حبهم إيمان يدخل الجنة ، و بغضهم كفر ، و نفاق يدخل النار .

فأسرَّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ذلك إلى علي ، و أهل بيته .

قال : ثم قال أبو عبداللّه (عليه السلام) : ما خرج ، ولا يخرج منا أهلَ البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً ، أو ينعش حقاً إلا اصطلمته البلية ، و كان قيامه زيادة في مكروهنا و شيعتنا .)) .

ولم يحدث أن سيطر البتريون على النجف الأشرف ، وإن كانت بوادره قد ظهرت في الأفق ، والله الساتر .

فأول الخوارج على الإمام عليه السلام في العراق هم هؤلاء البترية .

و هؤلاء هم الذين يخرجون إلى الإمام عليه السلام ، ويقاتلونه .

فانتبهوا يا أخوان الصفا .

هؤلاء هم الذين سيخرجون للإمام ، ويقاتلونه ، لا هؤلاء العلماء الأعلام ، والمراجع العظام الموجودون حالياً في العراق الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله تعالى ، لبيان أحكام دينه لأيتام آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، كما يحاول بعض المجرمين أن يطلي الشبهة على بعض السذج من الناس ، ممّن يأخذ بقولهم ، فيجعلهم يظنون من أن هؤلاء العلماء هم أول من يخرج على الإمام المعصوم عليه السلام ، عند ظهوره .

فانتبه ، لتنجو من الهلكة ، ومن نار جهنم ، وبئس المصير .

وهذه أحدى فوائد الإطلاع على روايات أهل البيت عليهم السلام ، وفهمها بصورة دقيقة .

وَ من هو اليماني يا ترى ؟...

قالوا : من أن اليماني حسب الروايات سيد ، واسمه حسن ، و هو صاحب راية .

عن الصادق عليه السلام : " و ليس في الراويات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية حق ، لأنه يدعو إلى صاحبكم ، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس .

وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق ، وإلى صراط مستقيم . " . بشارة الإسلام / ص 43 ، عن غيبة النعماني .

و لكن هذه الرواية في غيبة النعماني جاءت هكذا :

عن الإمام الباقر (ع) (... وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى ، لأنه يدعو إلى صاحبكم ، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس ، وكل مسلم .

وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم .) . الغيبة / محمد بن ابراهيم النعماني / ص 264 .

فلذا قالوا هو :

سيد هاشمي ، من نسل الإمام الحسين (أي حسيني) .

اسمه حسن .

وجعلوا له اسماً ثانياً ، اشتقوه مما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " صاحب الأعماق الذي يهزم الله العدو على يديه ، اسمه (نصر) ، ثم قال : " إنما سمي نصر لنصر الله إيّاه ." .

وبحثت عن هذه الرواية الأخيرة ، فوجدت رواية شبيهة لها أخيراً ، في كتاب " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال " ولعلها هي ، بتعديلات أدخلت عليها لتكون مناسبة للتوجيهات التي ستوجه بها .

و الكتاب كما هو واضح ، من كتب العامة ، كما أن الراوي للمقطع المتعلق بالاسم هو " أبو هريرة " ، وهو مَن هو ، هذا أولاً .

ثم ثانياً الرواية تقول :

" عن أبي غسان المديني ، قال : قدمنا الشام مع داود بن فراهج ، ومعنا رجل من بني وعلة السبائي ، كان صاحب علم ، و حكم .
فقال داود : أنت رجل شريف ؛ إلقَ هذا الرجل أي الرجل الذي هو من بني وعلة السبائي . و تعرّض له - يعني الوليد بن يزيد الذي كان حاكماً وقتها . - ، فبالحري أن تردّ علينا خيراً .
فقال : إنه مقتول لتمام أربعين ليلة من هذا اليوم ، وهو انقضاء خلافة العرب ، إلى قيام صاحب الوادي من آل أبي سفيان ، ثم يعود إلى الشام سنتهم ، حتى يكونوا أصحاب الأعماق .
فقال داود بن فراهج : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صاحب الأعماق الذي يهزم الله العدو على يديه نصر ، فقال : إنما سمي نصراً لنصر الله إياه ، فأما اسمه فسعيد ". كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / ج11 / حرف الفاء/ تتمة فصل في متفرقات الفتن/ص258 .

فمن أين فهمنا أنها تنطبق على زماننا ؟

بالإضافة إلى أنه إذا دققنا النظر في المقطع الذي يقول : " وهو انقضاء خلافة العرب إلى قيام صاحب الوادي من آل أبي سفيان ، ثم يعود إلى الشام سنتهم ، حتى يكونوا أصحاب الأعماق ."

لرأينا أن أهل الشام هم أصحاب الأعماق ، وبذكر " آل أبي سفيان" لعل الأقرب أن يكون صاحب الأعماق منهم ، وخاصة أن الشام هي دولتهم ، فقوله : " ثم يعود إلى الشام سنتهم " ، يُشْعِر بذلك .

وهذا الشخص الذي ترجّح أن يكون من آل أبي سفيان سيكون على يديه نصر .

و أهل الشام أبعد ما يكونون عن أهل البيت عليهم السلام ، ثم ألا تلاحظ الرواية إن اسمه سعيد فيها ، واليماني اسمه حسن أو حسين .

و الإمام يقول عليه السلام : " فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس ، وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق ، وإلى صراط مستقيم ." .

وما أبعد كل هذا عن ذاك ، فانتبه .

و جملة : ((فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس)) :

إما بتشديد الراء " حرّم " أو بدونه ؛ فالأول إذا كان فعلاً ماضياً " حَرَّمَ " أي اليماني يُحرّم ؛ وأما إذا كان مبنياً للمجهول " حُرِّم " فهو إخبار منه عليه السلام من أن هذا سيحدث .

وبدون التشديد " حَرُمَ " فهو حكم شرعي من الإمام المعصوم عليه السلام ، يبين فيه حرمة بيع السلاح ، و لعله لوجوب الإحتفاظ بالسلاح ، للحاجة إليه وقت الظهور مثلاً ، فوقت الظهور على الأبواب .

فهل هو كذلك اليوم ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

وقد جاء :

((ثم يخرج ملك من صنعاء اسمه حسين أو حسن ، فيذهب بخروجه غمر الفتن ، يظهر مباركاً زاكياً ، فيكشف بنوره الظلماء ، ويظهر به الحق بعد الخفاء .)) . بشارة الإسلام ص187 .

وقد جاء ((عن هشام بن الحكم أنه لما خرج طالب الحق ، قيل لأبي عبد الله عليه السلام : أترجو أن يكون هذا اليماني ؟

فقال : لا ؛ اليماني يتوالى علياً ، وهذا يبرأ منه .)) . البحار / 52 / 75 .

فالله ، الله بأيتام آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم يا أصحاب القلم .

بل أين نضع هذه الرواية ، ومثيلاتها :

قال الإمام الصادق عليه السلام : " خروج الثلاثة : الخراساني و السفياني و اليماني في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد .

وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني ، تهدي الى الحق . " .

فإذا كان من ذكروا هم اليماني و الخراساني واقعاً ، فأين هو السفياني ؟

إذ أن خروجهم في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد .

((وتدل روايات مصادرنا الصحيحة على أن حركة الخراساني وشعيب اللذين يسلمان الراية للإمام عليه السلام تكون مقارنة لظهور اليماني والسفياني ، كرواية النعماني غيبة النعماني / 253 عن

أبي بصير ، عن أبي جعفرعليهما السلام ، من حديث طويل ، ذكر فيه عدداً من الأحداث ، و العلامات ، جاء فيه :(خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد ، نظام كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضاً ، فيكون البأس من كل وجه ؛ ويل لمن ناواهم ، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى ، لأنه يدعو إلى صاحبكم .)) .

ومثله الإرشاد/360 ، ونحوه إثبات الرجعة/17، ومثله إعلام الورى/429 ، وغيبة الطوسي/271، وعنه الخرائج:1163/3 ، وإثبات الهداة:728/3 ، والبحار:210/52.

دراسة في علامات الظهور / الفصل الثالث والعشرون/ الإيرانيون في عصر الظهور / حديث أصحاب الرايات السود ، وأهل المشرق / الشيخ علي الكوراني .

وهكذا يمكن الخدشة بكل من ادعى أنه أحد الثلاثة ، لعدم تلازم ظهوره وظهور الآخرين ، فانتبه ، فإنه من أحسن وأدق الموازين لمعرفة التأويلات الباطلة .

فمثلاً : يمكن إسقاط دعوة بعضهم من أنه اليماني هذه الأيام بقولنا لمن اعتقدها : إن الروايات تنص على إنه يخرج في وقت خروج الخراساني والسفياني ، فإذا كان هذا اليماني فأين الخراساني والسفياني يا هذا ؟

لأنه يجب أن يخرجوا في وقت واحد ، ولم يخرج الآخران لحد الآن مع إن هذا المدّعي له أكثر من عام قد ظهر أمره ورفع رايته .

و أما السفياني :

عن السجاد عليه السلام : إن القائم حتم من الله ، وأمر السفياني حتم من الله ، ولا يكون قائم إلا بسفياني . البحار / ج 53 / ص 182.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يخرج ابن آكلة الأكباد (إشارة إلى أنه من نسل هند ، أم معاوية ، إلا أن رواية أخرى عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين تصرح من أنه من ولد عتبة بن أبي سفيان) من الوادي اليابس (ويقصد بها سوريا .) ، وهو رجل ربعة (أي مربوع) ، وحشي الوجه ، ضخم الهامة ، بوجهه أثر جدري ، إذا رأيته حسبته أعور ، إسمه عثمان ، ...

وهو من ولد أبي سفيان ، حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها . البحار / ج 52 / ص 205 .

ومن العلامات الصيحة :

وعن محمد بن مسلم : ينادي مناد من السماء باسم القائم ، فيسمع ما بين المشرق والمغرب ، فلا يبقى راقد إلا قام ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرائيل ، الروح الأمين . البحار / ج 52 / ص 290 .

عن شرحبيل قال : قال أبو جعفر ، وقد سألته عن القائم عليه السلام : إنه لا يكون حتى ينادي مناد من السماء ، يسمعه أهل المشرق والمغرب ، حتى تسمعه الفتاة في خدرها .) . غيبة النعماني / 257 .

وفي رواية يصيح أن الحق مع آل محمد عليهم السلام .

وتكون هذه الصيحة في النصف من شهر رمضان المبارك .

و في رواية أخرى إن إبليس بعدها ينادي في الأرض بنداء مضادٍ لهذا النداء ، لكي يربك الناس ، مؤداه أن الحق مع بني أمية .

و عن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : النداء حق ؟

قال : إي والله ، حتى يسمعه كل قوم بلسانهم .) . البحار : 52 / 244 .

يمكن أن يكون الأمر خارج الموازين الطبيعية المتعارفة ، ويمكن أن يتم الأمر بالترجمة بواسطة الفضائيات وغيرها .

والزوراء لها حديثها الخاص :

عن المفضل بن عمر والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ، قال المفضل يا سيدي فالزوراء التي تكون في بغداد ما يكون حالها في ذلك الزمان ؟

فقال : (تكون محل عذاب الله وغضبه ، والويل لها من الرايات الصفر ، ومن الرايات التي تسير إليها في قريب وبعيد ، والله لينزلن من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم ..... فالويل لمن اتخذ بها مسكناً .) . بشارة الإسلام / ص 143.

ويمكن أن يكون ذلك إشارة لقوات التحالف التي احتلت العراق في هذه السنين ، وما مر من ويلات عليه بعد ذلك و قبلها.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :

(... ويعود دار الملك إلى الزوراء ، وتصير الأمور شورى من غلب على شيء فعله .

ـــ ولعله إشارة إلى ما يسمى اليوم بالديمقراطية ، ومسألة الإنتخابات في العراق ـــ

فعند ذلك خروج السفياني فيركب في الأرض تسعة أشهر يسومهم سوء العذاب ، فويل لمصر وويل للزوراء ، وويل للكوفة ، والويل لواسط ، كأني انظر إلى واسط وما فيها مخبر بخبر ، وعند ذلك خروج السفياني ، ويقل الطعام ، ويقحط الناس ، ويقل المطر فلا أرض تنبت ولا سماء تنزل ، ثم يخرج المهدي الهادي المهتدي الذي يأخذ الراية من يد عيسى بن مريم ...) . الملاحم والفتن / السيد بن طاووس الحسني / ص 134 .

و عن أبي عبد الله (ع) (... إذا هدم حائط مسجد الكوفة مؤخره ، مما يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك بني فلان ، أما إن هادمه لا يبنيه .) . البحار / ج52 / ص210 .

وقد لاحظت أن بني فلان يمكن أن يكون المراد منهم " آل سعود " ، إذا كان زمننا زمن الظهور .

.....

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ، و فيه : (ولذلك آيات وعلامات : أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق ، وتخريق الروايا في سكك الكوفة ، وتعطيل المساجد أربعين ليلة ، وكشف الهيكل ، وخفق الرايات حول المسجد الأكبر ، تهتز ، القاتل والمقتول في النار ، وقتل سريع ، وموت ذريع ، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين – الخبر) . نفس الرحمن في فضائل سلمان / ميرزا حسين النوري الطبرسي / ص 304 .

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (ع) (... فقال لي يا أبا عبد الله إياكم و التنويه ، و الله ليغيبن سبتا من الدهر ... لترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي قال المفضل

فبكيت ، فقال لي ما يبكيك ؟ قلت جعلت فداك كيف لا أبكي و أنت تقول ترفع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي .

قال فنظر إلى كوة في البيت التي تطلع فيها الشمس في مجلسه فقال : أهذه الشمس مضيئة ؟

قلت نعم ، فقال : " و الله لأمرنا أضوأ منه " . الغيبة للنعماني / ص 152 .

.....

ولدينا رواية ترتب خروجهم و بعضَ العلامات :

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ، متى خروج القائم عليه السلام ؟

فقال : يا أبا محمد إنا أهل بيت لا نوقت ، وقد قال محمد صلى الله عليه وآله كذب الوقاتون . يا أبا محمد إن قدّام هذا الأمر خمس علامات :

أولاهن النداء في شهر رمضان ، وخروج السفياني ، وخروج الخراساني ، وقتل النفس الزكية ، وخسف بالبيداء .

ثم قال : يا أبا محمد : إنه لابد أن يكون قدام ذلك الطاعونان : الطاعون الأبيض ، والطاعون الأحمر .

قلت : جعلت فداك وأي شئ هما ؟

فقال : أما الطاعون الأبيض فالموت الجارف ، وأما الطاعون الأحمر فالسيف ،

ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين ، (في شهر رمضان) ليلة جمعة .

قلت : بم ينادى ؟

قال : باسمه واسم أبيه : ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه ، فلا يبقى شئ خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة ، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره ، وتخرج العذراء من

خدرها ، ويخرج القائم مما يسمع ، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام .) . غيبة النعماني / 289 ، وعنه البحار / 52 / 119 ؛ وبشارة الإسلام / 150 .

فنلاحظ أن الموت الشامل يكون قبل خروج هؤلاء .

نار المشرق :

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال :

" إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي العظيم ." . الهردي : الثوب المصبوغ بالأخضر والأحمر. والهرد : صبغ الكركم الأصفر ، ويضعون معه طيناً أحمر ، وعروق شجر . تطلع ثلاثة أيام أو سبعة ، فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله عز وجل إن الله عزيز حكيم . النعماني / 262 .

و عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

" إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي ، فعندها فرج الناس ، وهي قدام القائم عليه السلام بقليل ." . غيبة النعماني / 267 ؛ البحار / ج52 / ص240 .

ويمكن أن تكون هناك إشارات خفية للتقدم التكنولوجي الهائل ، قبل الظهور وبعده ، في روايات عدة :

عن الإمام الباقر عليه السلام قال : " منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة ، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً ، يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه ــ فيمكن أن تكون هذه إشارة لوسائل النقل الجوية ، ولجواز السفر المذكورة فيه المعلومات المذكورة ــ قلت : جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً ؟ قال : الذي يسير في السحاب نهاراً ـــ يمكن أن يكون كذلك لأنه يأتي أمام أعين الظالمين . ـــ . " . البحار / ج52 / ص368 .

ويمكن أن يكون عن طريق الإعجاز .

و عن أبي الربيع الشامي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

" إن قائمنا إذا قام مدَّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم ، حتى لا يكون بينهم وبين القائم (ع) بريد ـ أي رسول ـ يكلمهم فيسمعون ، وينظرون إليه وهو في مكانه . " . بحار الأنوار / ج 47 / ص 124 / ح 176 .

وعن ابن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول :

(إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق .) . الكافي ج 7 ص 414 ح 1 ، معاني الأخبار ص 279 ، وسائل الشيعة ج 18 ص 169 .

فيمكن أن يكون ذلك بالوسائل المتاحة هذه الأيام ، و ما أدرانا ما أخفى لنا الغد من عجائب اختراعات أخر ، ويمكن أن يكون عن طريق الإعجاز .

و إن كنا نرجح في أغلبها إن لم يكن جميعها التقدم العلمي الهائل ، الذي سيصل إليه الإنسان خاصة لوجود روايات مثل :

ما ورد عن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله (ع) :

(كأني أنظر إلى القائم (ع) على ظهر النجف ، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق ، بين عينيه شمراخ ، ثم ينتفض به فرسه فلا يبقى أهل بلد إلا و هم يرون أنه معهم في بلادهم .) . الكافي / ج 1 / ص 398 / ح 2 ؛ وسائل الشيعة / ج 27 / ص 231 / ح 5 .

وعنه (ع) أيضاً بشأن خروج الإمام المهدي (ع) قال :

(لا تراه عين في وقت ظهوره إلا رأته كل عين ، فمن قال لكم غير هذا فكذبوه .) . الإرشاد / ج 2 / ص 386 ؛ إعلام الورى بأعلام الهدى / ج 2 / ص 293 ؛ كشف الغمة / ج 3 / ص 266 .

وعن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه (ع) قال :

(إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً ، يقول : عهدك في كفك فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ، ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك ، واعمل بما فيها .) . بحار الأنوار / ج 52 / ص 375 ح 174 ؛ مستدرك سفينة البحار / ج 3 / ص 278 .

وهذا ما يحدث فعلاً في الزمان الحاضر بالوسائل الحديثة والمتطورة عبر شاشات التلفزيون

وكاميرات الاتصالات و شاشات الرادار ، و الأقمار الصناعية ، والإنترنيت وغيرها .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال :

" إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك و تعالى له كل منخفض من الأرض ، و خفض له كل مرتفع منها ، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته ، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟! . " . غيبة النعماني / ص 239 / ح 32 .

وهذا ربما يظهر من هذه الرواية ومثيلاتها :

عن الصادق (ع) ، قال : (إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنورها ، و استغنى العباد عن ضوء الشمس ، وصار الليل والنهار واحداً ، وذهبت الظلمة .) . بحار الأنوار / ج 52 / ص 308 ح 82 ؛ مستدرك سفينة البحار / ج 6 / ص 190 .

وها هي بوادره ، فهذه الطاقة الكهربائية قد جعلت الليل البهيم نهاراً مبصراً.

تأمل :

وجعلوا هذه المسميات تنطبيق على بعض الشخصيات ، و الحركات التي يعرفها الناس ، ولكن في كل ما ذكروه تأملات واضحة ، يلتفت إليها اللبيب .

وعلى فرض أننا سمعنا قولهم فسنجد بعض الصعوبات في فهم ما يقولون ، فضلاً من أن بعضها لا يمكن المساعدة عليه إلا باللوي والطي ، ومخالفة القواعد العربية ، و معاني الكلام .

و حتى لو انطبقت على بعضهم تلك المواصفات فللنتبه إلى أن التاريخ ملئ بالمتشابهات ، أي بمعنى آخر أنه ليس كل من تنطبق عليه بعض المواصفات يكون هو المعنيّ .

لأن هذا يحصل كثيراً ، خاصة مع تقادم السنين ، و مجيئ ملايين الناس .

فكيف إذا كان بعضها بالطي واللي ؟

و لو وجد الكاتب أي رواية فيها أي إشارة ، أو إثارة فيحسبها تلميحاً أو تصريحاً على شئ يعرفه ، لا لشئ إلا لتطابق الأسماء ، أو باللوي ، والطي سيجعلها تتشابه ، لأنه يكره تلك الشخصية أو يحبها ، فيزمّر و يطبّل من أن هذا ذاك ، فهذا تغرير بالناس و كفر بالنعمة .

و حينئذٍ أحسب أن هذه تصلح فاتحة لفتح البيت الأبيض الأمريكي ، حيث جاء في صحيح مسلم :

((عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلاَمِي نَافِعٍ ، أَنْ أَخْبِرْنِي بِشَىْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ فَكَتَبَ إِلَىَّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رُجِمَ الأَسْلَمِيُّ يقول : .....

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ " عُصَيْبَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ **الْبَيْتَ الأَبْيَضَ** ، بَيْتَ كِسْرَى ، أَوْ آلِ كِسْرَى " .)).

صحيح مسلم / كتاب 43 / كتاب الإمارة / باب الناس تبع لقريش ، و الخلافة في قريش / رقم الحديث (4815) .

!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

خاتمة الفصل :

إرشاد الشيخ المفيد و علاماته :

ونحن نذكر العلامات التي وردت في إرشاد الشيخ المفيد ، مكتفين به ، إذ الحديث المتشعب بها يحتاج لوقت أطول ، و ليس فيها ما يُعادل بقية الأمور :

قال الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد : ((قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام ، وحوادث تكون أمام قيامه ، و آيات و دلالات .

فمنها : (

خروج السفياني

و قتل الحسني ،

و اختلاف بني العباس في الملك الدنياوي ،

و كسوف الشمس في النصف من رمضان

و خسوف القمر في آخره على خلاف العادات ،

و خسف بالبيداء ،

و خسف بالمغرب ،

و خسف بالمشرق ،

و ركود الشمس من عند الزوال إلى أوسط أوقات العصر ، و طلوعها من المغرب ،

و قتل نفس زكية بظهر الكوفة ، في سبعين من الصالحين ،

و ذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام ،

و هدم حائط مسجد الكوفة ،

و إقبال رايات سود من قبل خراسان ،

و خروج اليماني ،

و ظهور المغربي بمصر ، و تملكه الشامات ،

و نزول الترك الجزيرة ،

و نزول الروم الرملة ،

و طلوع نجم بالمشرق ، يضئ كما يضئ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه ،

و حمرة تظهر في السماء ، و تنتشر في آفاقها ،

و نار تظهر بالمشرق طويلاً ، و تبقى في الجو ثلاثة أيام ، أو سبعة أيام ،

و خلع العرب أعنتها ، و تملكها البلاد ، وخروجها عن سلطان العجم ،

و قتل أهل مصر أميرهم ،

و خراب الشام ، و اختلاف ثلاث رايات فيه ،

و دخول رايات قيس والعرب إلى مصر،

و رايات كندة إلى خراسان ،

و ورود خيل من قبل الغرب ، حتى تربط بفناء الحيرة ،

و إقبال رايات سود من المشرق نحوها ،

و بثق في الفرات ، حتى يدخل الماء أزقة الكوفة ،

و خروج ستين كذاباً ، كلهم يدعي النبوة ،

و خروج اثني عشر من آل أبي طالب ، كلهم يدّعي الإمامة لنفسه ،

و إحراق رجل عظيم القدر من بني العباس ، بين جلولاء و خانقين ،

و عقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام ،

و ارتفاع ريح سوداء بها ، في أول النهار ،

و زلزلة حتى ينخسف كثير منها ،

و خوف يشمل أهل العراق ، و بغداد ،

و موت ذريع فيه ، و نقص من الأموال ، و الأنفس و الثمرات ،

و جراد يظهر في أوانه ، و في غير أوانه ، حتى يأتي على الزرع والغلات ،

و قلة ريع لما يزرعه الناس ،

و اختلاف صنفين من العجم ، و سفك دماء كثيرة فيما بينهم ،

و خروج العبيد عن طاعات ساداتهم ، و قتلهم مواليهم ،

و مسخ لقوم من أهل البدع ، حتى يصيروا قردة و خنازير ،

و غلبة العبيد على بلاد السادات ،

و نداء من السماء ، حتى يسمعه أهل الأرض ، كل أهل لغة بلغتهم ،

و وجه وصدر يظهران للناس ، في عين الشمس ،

و أموات ينشرون من القبور ، حتى يرجعوا إلى الدنيا ، فيتعارفون و يتزاورون .

ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل ، فتحيا بها الأرض بعد موتها ، وتعرف بركاتها ، ويزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام ، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ، فيتوجهون نحوه ، لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار .

وجملة من هذه الأحداث محتومة ومنها مشروطة ، والله أعلم بما يكون ، وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول ، وتضمنها الأثر المنقول .) . إنتهى . الإرشاد / الشيخ المفيد / 2 / 368 .

و نختم هذا الفصل بما تختم به هذه العلامات ، فقد جاء في كمال الدين 2 / 377 . : عن عبد العظيم الحسني ، عن الإمام الجواد عليه السلام قال :

(و يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر : ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض ، و ذلك قول الله عز وجل : " أين مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جميعاً إنَّ اللهَ على كلِّ شئ قدير " . سورة البقرة / 148 .

فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره .

فإذا كمل له العقد ، وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل ، فلا يزال يقتل أعداء الله ، حتى يرضى الله عز وجل .

قال عبد العظيم : فقلت له : يا سيدي وكيف يعلم أن الله عز وجل قد رضي ؟

قال يلقي في قلبه الرحمة ، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما .) . كفاية الأثر / 277 ، إعلام الورى / 409 ، و الإحتجاج / 2 / 449 .

و اللات والعزى هما صنما قريش ، اللذان ما أنزل الله بهما من سلطان ، فيقطع دابر القوم الذين كفروا ، و قيل الحمد لله رب العالمين .

فتنتهي هذه الفتنة الكبرى ، بعد أن امتدت طويلا ، وأخذت من العالمين ما أخذت .

الفصل الخامس :

القسم الأول :

علـَّة الغيبة و أسبابها :

يتسائل كثيرون لم غاب الإمام المفترض الطاعة ؟

والعجيب أنه يصدر ممن يدعي العلم قبل غيره ، والأمر واضح وضوح الشمس .

الله سبحانه اختبر عباده بأوليائه .

إلى أن وصل الأمر لأشرفهم محمد بن عبد الله فعانى ما عانى ، إلى أن منّ الله على الأمة جمعاء بالنصر المؤزر .

وقد أوصى بأهل بيته ، وأوجب مودتهم وطاعتهم ، فلم يُقدَّم لهم إلا السيف والسم .

و نسوا أو تناسوا أن المرء يُكرَم في ولده .

بل الأمر كان أخطر من ذلك ، إذ جهر قوم بمخالفتهم له ، وهو بعدُ في الدنيا ، في حال مرضه صلى الله عليه و آله وسلم ، إلى أن لعن المتخلفين عن جيش أسامة .

وتجرأ آخرون فرموه بالهجر ، وسببوا نزاعاً عنده .

والأعجب أن هذه الأمور تُنقل ولا أحد يُعلـّق .

وانتقل إلى الرفيق الأعلى والله أعلم بمقدار حزنه على هذه الأمة المسكينة ، وكيف ستتقاذفها الأهواء ، وترمي بها الشهوات إلى بحار من ظلمات ، بعد أن أخرجهم من الظلمات إلى النور .

فكمدت الزهراء ، وذبلت ، بلتيا ولتي ، إلى أن فارقت الدنيا بعد أبيها بعدة أشهر ، واجدة على القوم .

وإظهاراً لهذا الوجد أمرت ألا يحضر أحد من المسلمين جنازتها ، و ألا يحضر دفنها إلا ثلة قليلة ممن ثبت ، وتفهّم معنى الولاية ، وبيعة علي في يوم الغدير .

فضاع قبرها بين القبور ، مع شدة ضيائها .

إلى أن جلس الإمام علي عليه السلام ، وهو ابن الإسلام البار ، في بيته ، ردحاً من الزمن .

وتنقل الأمر بين العرب دون العجم ، وبين قريش العدو الأول للإسلام والمسلمين دون أهل البيت عليهم السلام .

و من عجائب الأمور وغرائبها - وما أكثرها للمتتبع في تاريخ المسلمين والسيرة - أن الكل يشهد بأن رسول الله قد قال " الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا " وإذا بالناس تحارب الحسن مع معاوية ، فكيف يكون إماماً ويكون معاوية على حق ؟

ثم يُحارب الإمام الحسين لأجل يزيد ، ويُقتل بأشنع قتلة ويمثل بجثته تمثيلاً ، وهو إمام المسلمين وسيد شباب أهل الجنة .

ويسبي المسلمون أهل بيت نبيهم من بلد إلى بلد ، إلى عاصمة الأمويين ، إلى أمير المسلمين وقائدهم ، حيث كان يقبع يومها في دمشق .

وهكذا دواليك ، الإثنا عشر إماماً الذين أشار إليهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله ، مع حيرة أرباب التاريخ بهم ، وهم مَن هم في زمانهم ، يُقتلون الواحد بعد الآخر من دون رادع ، ويبقى أخيرهم ولو وصلت أيديهم إليه لقتلوه .

وبهذا تبلغ حصيلة ما قتل المسلمون وأمراؤهم من أهل البيت المنصوص عليهم أحد عشر إماماً مفترض الطاعة ، مع مصيبة سيدة نساء العالمين ، وما جوبه به حبيب الله ورسوله صلى الله عليه و آله بفترة قياسية لا تتجاوز المئتي عام .

فعلام السؤال لِمَ غاب ؟

أيريدون أن يقتلوه كما قتلوا آبائه من قبل ، ما لهم كيف يحكمون ؟

المهم :

أن الإمام المنتظر غاب ، في منتصف القرن الثالث الهجري ، الغيبة الصغرى ، ثم بعدها بسبعين سنة صارت الغيبة الكبرى .

وقد عرفنا إجمالاً لماذا صارت .

و لكن لِمَ ما زالت ، و لقد ماتت دول ، و تبدّلت أخر ؟

فمتى سيكون الفرج ؟

نقل الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق :

((ثم روى بسنده عن الامام الصادق (ع) قال لعبد الحميد ابن أبى الديلم : يا عبدالحميد ، اِنّ لله رسلاً مستعلنين ، و رسلاً مستخفين ، فاذا سألته بحق المستعلنين فسله بحق المستخفين .

ثم قال الصدوق : فكانت حجج الله تعالى كذلك من وقت وفاة آدم (ع) إلى وقت ظهور ابراهيم (ع) ، أوصياء مستعلنين و مستخفين .

فلما كان وقت تكوين ابراهيم (ع) ، فإمكان ظهور الحجة كان متعذراً في زمانه (و ذلك أن) نمرود كان يقتل أولاد رعيّته ، و أهل مملكته في طلبه .

و لذلك ستر الله وجوده ، و أخفى ولادته .

و بعد أن بلغت الغيبة أمدها ، دلّهم ابراهيم على نفسه ، و أظهر لهم أمره الذى أراده الله من إثبات حجته ، و إكمال دينه .

فلما كان وقت وفاة ابراهيم (ع) كان له أوصياء حججاً لله عزّوجل في أرضه ، يتوارثون الوصيّة كذلك ، مستعلنين و مستخفين ، إلى وقت موسى (ع) .

و في وقت موسى (ع) كان فرعون يقتل أولاد بنى إسرائيل ، في طلب موسى (ع) ، الذى كان قد شاع ذكره ، و خبر وجوده .

فستر الله ولادته ، حتى قذفت به أُمه في اليم ، كما أخبر الله عزوجل في كتابه ، ثم كان من أمره بعد أن أظهر دعوته ، و دلّهم على نفسه ، ما قصّه الله في كتابه كذلك .

و لما كان وقت وفاة موسى (ع) كان له أوصياء حُججاً لله كذلك ، مستعلنين و مستخفين ، إلى وقت ظهور عيسى (ع).

و عيسى (ع) ظهر منذ ولادته مُعلناً لدلائله ، مُظهراً لشخصه ، شاهراً لبراهينه ، غير مُخف لنفسه ، لأن زمانه كان زمان إمكان ظهور الحجة كذلك .

ثم كان له من بعده أوصياء ، حججاً لله عزوجل كذلك ، مستعلنين و مستخفين ، إلى وقت ظهور نبيّنا (ص).

و بعد ظهور نبينا (ص) كان مما قيل له - على سنن من تقدمه من الرسل - أن يقيم لنفسه أوصياء كإِقامة من تقدمه لأوصيائهم .

فأقام رسول الله أوصياء كذلك.

و من المعروف المتسالم عليه بين الخاص و العام من أهل هذه الملة : أن الإمام الحسن بن على العسكرى والد إمام زماننا (ع) كان قد وكّل به طاغية زمانه حتى وفاته ، فلما توفى وكّل بحاشيته و أهله ، و حُبست جواريه ، و طُلب مولوده هذا ، أشدّ الطلب .

فجرت السنة في غيبته بماجرى من سنن غيبة مَن ذكرنا من الحجج المتقدمين ، و ثبت من الحكمة فى غيبته ما ثبت من الحكمة في غيبتهم .)) .

وكان قد قال قبلها :

((قال الصدوق أقول : إنه قد ثبت ان ظهور حُجج الله تعالى في مقاماتهم في دول الباطل ، على سبيل التدبير و الإمكان لأهل ذلك الزمان ; فإن كانت الحال ممكنة لوجود الحجة بين الخاص و العام ، كان ظهور الحُجّة كذلك.

و إِن كانت الحال غير ممكنة لوجود الحجة بين الخاص و العام ، و كان مما توجب الحكمة و يقتضيه التدبير استتاره ، ستره الله و حجبه إلى وقت بلوغ الكتاب اجله . كما قد وجدنا ذلك في حجج الله المتقدّمين من عصر آدم (ع) إلى حين زماننا هذا.

فمنهم المستعلنون ، و منهم المستخفون ، و بذلك نطق الكتاب العزيز ، و ذلك قوله تعالى: " و رُسلاً قد قصصناهم عليك و رُسلاً لم نقصصهم عليك " .)) . رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد ج 4 / ص 1/ الرسالة الرابعة في الغيبة / تأليف الامام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم ابي عبد الله ، العكبري ، البغدادي .

و بناءاً على كل ما ذكر نقول :

إننا نعلم علم اليقين من أن ذلك صلاح للمؤمنين في الجملة :

يقول ـ عجل الله فرجه ـ في رسالته الأولى للشيخ المفيد :

(نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، مادامت دولة الدنيا للفاسقين .) . معادن الحكمة : 2 / 303 ، بحار الانوار : 53 / 174 .

ومن وراء ذلك حكمة عظيمة .

وهذا هو الشيخ الكُليني قدس سره قد أورد في أصول الكافي ما يقرب من الستين رواية حول الإمام المهدي عليه السلام ، يُمكن أن يُقتنص منها أسباب الغيبة ظاهراً .

ويمكن إجمالها بما يلي :

1 ـ المحنة و التمحيص .

2 ـ الخوف على النفس .

3 ـ و أن لا تكون عليه بيعة .

أنظر : أصول الكافي / الصفحات : 336 ، 337 ، 342 ، 370 .ففيها الأحاديث المتفرقة حول هذه النقاط .

وقد جاء من بعده الشيخ النعماني فكتب أول كتاب مستقل في الغيبة .

وقد كتب ((غيبة الإمام في هذا الزمان الذى نحن فيه لتمحيص مَنْ يُمَحَّص ، وهلكة مَنْ يهلك ، ونجاة مَنْ ينجو بالثبات على الحق ، ونفيّ الريب و الشك ، والإيقان بما ورد من الأئمة (ع) من أنه : لابدّ من كون هذه الغمّة ثم انكشافها عند مشيئة الله ، لا مشيئة خلقه و اقتراحهم .

جعلنا الله من المؤمنين ، المتمسّكين بحبله ، وممن ينجو من فتنة الغيبة ، التي يهلك فيها مَنْ اختار لنفسه ، ولم يرض باختيار ربّه ، واستعجل تدبير الله ، ولم يصبر كما أمر .)) . غيبة النعماني / ختام الباب السابع .

وليس من الضرورة معرفة أسباب الغيبة على وجه التحديد و التعيين ، ولا حتى على الإجمال .

بل يكفي الإيمان بالغيبة نفسها ، و الله أعلم بحقيقة الحكمة التي من ورائها ، فهي أشبه بالآيات المتشابهات في القرآن الكريم ، كما شبهها السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس الله نفسه الطيبة .

و لكن هذه الحكمة يمكن إدراك بعضها ، ولا يمكن الوصول لبعضها إلا بإرشاد ، أو دلالة المعصوم عليها :

وهذه أيضاً على قسمين :

قسم منها أخفي أمره علينا :

لحكمة قد خفيت علينا كما يظهر ذلك من الروايات التالية :

روى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول : ((إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها ، يرتاب فيها كل مبطل ، فقلت له : ولم جُعلت فداك ؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم .

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال : وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره .

إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السلام) إلاّ بعد افتراقهما .

يا بن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا ان الله عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة ، وان كان وجهها غير منكشف .)) . كمال الدين / 481 ، علل الشرائع / 1 / 245 .

وقد أشار إليها الشيخ الصدوق في : (إكمال الدين) وقال : إن إيماننا بعصمة الإمام المهدي يقتضي منا التسليم بوجود حكمة وراء غيبته ، انطلاقا من آثار حكمة الله في حججه المتقدمين)) .

و لذا قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : إن السؤال عن الحكمة ساقط ، إذا قامت البراهين على وجوب وجود الإمام في كل عصر ، وان الأرض لا تخلو من حجة ، وان وجوده لطف ، وتصرفه لطف آخر .)) . الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء / (أصل الشيعة وأصولها) .

وقسم من الإسباب والعلل أخبرنا بها المعصوم :

و لولا إخباره لما كنا ندركها :

وهذه على قسمين مجملة :

روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : (ان للقائم منّا غيبة يطول أمدها فقلت له : يابن رسول الله ولم ذاك ؟

قال: لأن الله عز وجل أبى إلاّ أن يجعل فيه سنن الأنبياء(عليهم السلام) في غيبا تهم ، وإنه لابدّ له يا سدير من استيفاء مدة غيباتهم ، قال الله تعالى : (لتركبنّ طبقاً عن طبق) ، أي سنن مَن كان قبلكم .) . إثبات الهداة / 3 / 486 - 487.

وقسم آخر بينت فيه بعض العلل :

1) : منها علل خفية ، مثالها : إخراج الودائع :

فقد روي عن الحسن بن محبوب بن ابراهيم الكرخي قال :

(قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أو قال له رجل : أصلحك الله ألم يكن علي قوياً في دين الله ؟

قال: بلى قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم ومامنعه من ذلك؟

قال: آية في كتاب الله عز وجل منعته ، قال: قلت : وأيّ آية هي ؟

قال: قول الله عز وجل: (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً)

إنه كان لله عز وجل ودائع مؤمنون ، في أصلاب قوم كافرين ، ومنافقين ، فلم يكن عليّ ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع ، فلمّا خرجت الودائع ظهر على مَن ظهر فقاتله ، وكذلك قائمنا ، أهل البيت ، لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عز وجل ، فاذا ظهرت ظهر على مَن ظهر فقاتله .).

علل الشرائع : 147 ؛ كمال الدين : 641 .

: (2

وعلل أخر كان يمكن الوصول إليها ، و أن ندركها بعقولنا ، ومع هذا أخبرنا المعصوم عليه السلام بها ، منها :

: (أ

للحفاظ عليه ، بعد أن فرط القوم بالمعصومين عليهم السلام قبله :

منها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : (إن للقائم غيبة قبل ظهوره ، قلت : ولِمَ ؟ قال : يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ، قال زرارة يعني : القتل .) . علل الشرائع: 1 / 246 ؛ غيبة النعماني / 176 ؛ غيبة الطوسي / 201 .

ومنها ما روي عن عبد الله بن عطا ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : (قلت له إن شيعتك بالعراق كثيرة ، والله ما في أهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج ؟

قال : فقال : يا عبد الله بن عطاء ! قد اخذت تفرش اذنيك للنوكى ، إي والله ما أنا بصاحبكم .

قال : قلت له : فمن صاحبنا ؟

قال : انظروا من عمى على الناس ولادته ، فذاك صاحبكم ، إنّه ليس منا أحد يشار إليه بالاصبع ويمضغ بالألسن إلاّ مات غيظاً ، أو رغم أنفه .) . الكافي / 1 / 342 ، غيبة النعماني / 167 - 168.

فسبب غيبته عليه السلام هو الخوف على الحياة والتقية ، وكل علمائنا متفقون على ذلك .

فقد روى كل من الشيخ الكليني والشيخ الصدوق رحمهما الله تعالى ، هذا في الكافي ، وهذا في إكمال الدين عدة روايات في ذلك ، عن الإمام الصادق عليه السلام .

كما ذكر بعدهما ذلك الشيخ المفيد في (الإرشاد) ، وفي رسالة " الفصول العشرة فى الغيبة " الفصل الرابع منها : ما الداعى إلى ستر ولادته ، و السبب فى إخفاء أمره ، و غيبته ؟

ركّز فيها البحث فى حكمة الخوف على النفس .

و السيد المرتضى كاستاذه المفيد في (الشافي) ذكر بعدهم ذلك أيضاً ، و ركّز في ذخيرته البحث فى حكمة الخوف على النفس ..

ثم جاء الشيخ الطوسي ليركز على هذا السبب بالخصوص ، ويحصر الأمر فيه .

وقال بصريح العبارة : " لا علة تمنع من ظهوره (ع) إلا خوفه على نفسه من القتل ، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار ، وكان يتحمل المشاق والأذى ، فان منازل الأئمة وكذلك الأنبياء (ع) إنما تعظم منزلتهم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله ." . كتاب الغيبة / تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي 385 460 - هـ / تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني ، و الشيخ علي احمد ناصح / مؤسسة المعارف الاسلامية / ص329 .

ودَفَعَ بقية الأسباب بشكل واضح بقوله قدس الله نفسه : ((وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة ، وصعوبة الامر عليهم ، واختبارهم للصبر عليه ، فالوجه فيها :

الإخبار عمّا يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق ، لا أن الله تعالى غيّب الامام ليكون ذلك .

وكيف يريد الله ذلك ، وما ينال المؤمنين مِن جهة الظالمين ظلمٌ منهمْ لهم ، ومعصية ، والله تعالى لا يريد ذلك ؟!

بل سببُ الغيبة هو الخوف ، على ما قلناه ، وأخبروا بما يتفق في هذه الحال ، وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك ، والتمسك بدينه إلى أن يفرّج الله تعالى عنهم .)) . غيبة الطوسي / ص335 .

ولكن لماذا يخاف الإمام (محمد بن الحسن) على نفسه من القتل ، وقد خرج الإمام الحسين وضحى بنفسه في كر بلاء ؟

والفرق واضح ، فذاك عليه السلام علم من أن الأمر لو وقع فهناك من يبقى حجة على خلق الله ، كما أنّ له مَن يطالب بثأره ، مع في قيامه من إنقاذٍ لدين الله ، بينما في قتل هذا ذهابٌ وطمس لدين الله ، لأنه لو قتل لم يسد أحد مسده ، ولا يحل محله ، و معها لا يبقى حجة لله ، فتسوخ الأرض بأهلها ، فانتبه لذلك .

و للحديث طرف آخر أجاب عنه الشيخ المفيد رحمه الله تعالى بما هو مفيد عندما أجاب عن سؤال المعاند حيث قال : ((لِمَ لمْ يظهر الامام عليه السلام و إن كان ظهوره يؤدي إلى قتله ، فيكون البرهان له ، والحجة في إمامته أوضح ، ويزول الشك في وجوده والارتياب ؟!)) .

أجاب الشيخ :

((لم يجب ذلك على الامام عليه السلام بعد أن كان الناس هم سبب الغيبة ، والمسؤولين عن عواقبها ، كما أن الله تعالى لا يجب عليه تعجيل النقمة على العصاة والمفسدين ، مع أن في ذلك توضيحاً لقدرته ، وتاكيداً في حجته ، وزجراً للناس عن معاصيه .

مع أن العلم بترتب الفساد على ظهوره يمنع من ايجاب ذلك عليه ، وهو الدليل على كون اقتراحه عليه خطأ ، وإنما يكون صوابا إذا ترتب عليه الصلاح والإصلاح .

والإمام عليه السلام لو علم في ظهوره مصلحة لما بقي في الغيبة طرفة عين ، ولا فتر عن المسارعة إلى الظهور .

والدليل على عصمته ، مع عدم ظهوره ، هو الدليل على معرفته لعدم المصلحة في الظهور في هذا الزمان .

والحاصل ان الالتزام بمسلمات الامامة وأصولها الثابتة ، يؤدي إلى الالتزام بالواقع حقاً لا ريب فيه .

ولا بدّ أن يُجعل هذا أساساً لما يدور مِن بحوثٍ حول الغيبة ، وإلا فالبحث عن الغيبة بدون ذلك لغوٌ غير منتج .)) . رسائل في الغيبة / المفيد / ج 4 / ص 6 .

ونحن نسلم بهذا ، ونؤكده ، لكننا لأجل إتمام الفائدة نذكر بقية الأسباب ، و إن كان هي أشبه بالمعوقات ، و الموانع لظهوره ، لو أخذنا بها على ما هي عليه ، و بعضها أشبه بالألطاف الخفية للمؤمنين ، لأجل تكاملهم ما دامت الغيبة حاصلة بفعل الظالمين .

ب) :

التمييز والتمحيص :

إذ هناك تمحيص وغربلة للشيعة أنفسهم فلاحظ قول الإمام الصادق(عليه السلام) :

(والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميّزوا ، وتمحّصوا، ثم يذهب من كل عشرة شيء ، ولا يبقى منكم إلاّ الأندر ، ثم تلا هذه الآية : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ") . قرب الأسناد للحميري / 162 ، وعنه في بحار الانوار / 52/ 113.

وقد روى كل من الشيخ الصدوق و الشيخ الطوسي رحمهما الله تعالى روايات عديدة في هذا المضمون عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام .

وفي بعضها كما يغربل الزوان من القمح .

فهي غربلة حقيقية للناس جميعاً ، و اختبار إلهي للعموم ، كما هي كذلك للشيعة بالخصوص .

فقد ((روى سعد بن عبد الله ، عن أبي محمد الحسن بن عيسى العلوي قال : حدثني أبي عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن جعفر ، عن أبيه علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قال لي : يا بني إذا فُقِدَ الخامسُ من ولد السابع من الائمة فالله الله في أديانكم ، **فإنه لابدّ لِصاحب هذا الأمر من غيبةٍ يغيبها ، حتى يرجع عن هذا الأمر مَن كان يقول به .**

يا بُنيَّ إنما هي محنة من الله إمتحن بها خلقه ، لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصحَّ من هذا الدين لاتبعوه .

قال أبو الحسن : فقلت له : يا سيدي مَن الخامس مِن ولد السابع ؟

قال : يا بُنيَّ عقولكم تصغر عن هذا ، وأحلامكم تضيق عن حمله ، ولكن إن تعيشوا تدركوه .)) .

غيبة الطوسي / ح128 / ص166-167 .

و في الرواية الطويلة المروية عن سدير الصيرفي التي أوردنا طرفاً منها فيما سبق ، يظهر ذلك أيضاً بكل وضوح :

فقد ورد فيها بعد أن بين الإمام عليه السلام ما مر على قوم نوح من اختبار طويل ارتد فيه كثير ممن كان مؤمناً بحسب الظاهر :

((إلى أن عادوا إلى نيف وسبعين رجلا، فأوحى الله عزوجل عند ذلك إليه وقال: الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك ، حين صرح الحق عن محضه ، وصفا الأمر للإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة .

فلو أني أهلكت الكفار وأبقيت من ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا لي التوحيد من قومك ، واعتصموا بحبل نبوتك ، بأن أستخلفهم في الأرض ، وأمكن لهم دينهم ، وأبدل خوفهم بالأمن ، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك من قلوبهم .

وكيف يكون الإستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالامن مني لهم ، مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينتهم ، وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوخ الضلالة ؟!)) . ص171 .

((قال الصادق عليه السلام : وكذلك القائم عليه السلام فإنه تمتد غيبته ليصرح الحق عن محضه ، ويصفو الإيمان من الكدر ، بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين ، والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام .)) . ص172 .

ولو قال أحدهم من أن هذه ((هذه كلها أخبار آحاد لا يعول على مثلها في هذه المسألة لأنها مسألة علمية .)) .

كما أورد الشيخ هذا الإشكال منهم ، فإجابتنا قريبة من إجابته إذ نقول :

أولاً: ((موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشئ قبل كونه فكان كما تضمنه .)) . ص173 .

فحتى لو كانت الرواية ضعيفة ، فهي صادقة بما وقع من الإخبار فيها بطول الغيبة ، فهي من أمور الغيب التي تدل على صدق من قالها ، و أنها لابد أن تكون صادرة منهم ، وكما أخبر الشيخ وبين .

ثانياً : إخبار الشيخ بتواترها عندنا إذ قال ((على أن هذه الأخبار متواتر بها لفظاً ومعنى .)) . ص 173 – 174 .

ثم فصل ذلك بقوله : ((فأما اللفظ فإن الشيعة تواترت بكل خبر منه ، و أما المعنى فإن كثرة الأخبار ، واختلاف جهاتها وتباين طرقها ، وتباعد رواتها ، يدل على صحتها ، لانه لا يجوز أن يكون كلها باطلة .)) . المصدر السابق / ص174 .

بالإضافة إلى ذلك يفسرها قوله تعالى : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) {التوبة:16.}

والوليجة : كما هو بين عند مراجعة كتب اللغة والتفسير آتية من ولج يلج بمعنى دخل يدخل ، فالولوج الدخول ، وقال أبو عبيدة : كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة .انتهى.

فالوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم ، والبطانة مثله .

و وليجة الرجل من يختصُّ بدخلة أمره دون الناس .

و الواحد والجمع فيه سواء .

قال طرفة بن العبد :

فَإنَّ القَوافي يَتَّلِجْنَ مَوالِجاً تَشايَقُ عَنْهُ أنْ تَوَلَّجَهُ الإبَرُ

راجع كتب اللغة والتفاسير .

فمن هنا يتبين لنا معنى الوليجة واضحاً ، فاتخاذ أي جهة غيرهم معناه الإنحراف عنهم ، ومعناه الخروج عن الصراط المستقيم .

قال ابو جعفر عليه السلام في صحيحة أبي الصباح الكناني " إياكم والولائج ، فإنّ كلَّ وليجةٍ دوننا فهي طاغوت ، أو قال : ند . "))

وعن أبي عبد الله عليه السلام كذلك قال : ((إن أول ما يسأل العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضات ، وعن الزكاة المفروضة ، وعن الصيام المفروض ، وعن الحج المفروض ، وعن ولايتنا أهل البيت ، فان أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه ، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل منه شيئاً من اعماله .)) . البحار 27 : 167 .

فهناك الإختبار الإلهي ، وهنا أحد مصاديقه المهمة .

ج) :

لتتحد القلوب على الوفاء :

ويقول(عليه السلام) في رسالته الثانية للشيخ المفيد : (ولو أن أشياعنا ـ وفقهم الله لطاعته ـ على اجتماع من القلوب في الوفاء بالحمد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم...))) . . الاحتجاج / 2 / 325 ، وعنه في معادن الحكمة / 2 / 306 ، وبحار الأنوار / 35 / 176.

د) :

اكتمال عدد الناصرين :

و هذا مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام روي انه عليه السلام لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية قال ـ بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه واله : " إتقوا الله عباد الله ، و تحاثوا على الجهاد مع إمامكم ، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر ، إذا أمرتهم أطاعوني ، وإذا استنهضتهم نهضوا معي ، لاستغنيت بهم عن كثير منكم ، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية و أصحابه ، فإنه الجهاد المفروض " .

الإفصاح / الشيخ المفيد / ص263 .

/ الاحتجاج / الشيخ الطبرسي / ج1 / ص 172. ونقله العلامة المجلسي / البحار / ج 8 / 697 ، 472 .

فالعدد مهم .

و عن أبي خالد الكابلي قال : قال لي علي بن الحسين عليهما السلام : يا أبا خالد لتأتين فتن كقطع الليل المظلم ، لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه ، أولئك مصابيح الهدى ، و ينابيع العلم ، ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة ، كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم ، بظهر كوفان ، في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً ، جبرئيل عن يمينه ، و ميكائيل عن شماله ، و إسرافيل أمامه ، معه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد نشرها ، لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم الله عزوجل .)) . الأمالي / الشيخ المفيد / المجلس السادس / ح5 / ص45 .

ولكن العدد ليس كل شئ ، كما لو تمعنا في الرواية الأولى ، إذ العدد بالكيفية المطلوبة ـ إذا أمرتهم أطاعوني ، وإذا استنهضتهم نهضوا معي ـ مطلوب ، لا أي عدد ممن يدّعي أنه من شيعته .

ولذا جاء (د) .

د) :

لإكمال العدد المطلوب من الناصرين والمؤيدين من جهة الكيفية :

وهذا يظهر من روايات كثيرة منها :

حدّث إبراهيم عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال : كنت عند سيدي الصادق (ع) إذ دخل سهل بن حسن الخراساني فسلّم عليه ، ثم جلس ، فقال له : يا ابن رسول الله ، لكم الرأفة والرحمة ،

وأنتم أهل بيت الإمامة ، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه ، وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف ؟!

فقال له (ع) : « اجلس يا خراساني ، رعى الله حقك » .

ثم قال : « يا حنفية ، أسجري التنور » ،

فسجرته حتى صار كالجمرة ، وابيضّ علوّه .

ثم قال (ع) : « يا خراساني ، قم فاجلس في التنور » .

فقال الخراساني : يا سيدي يا ابن رسول الله ، لا تعذبني بالنار ، أقلني أقالك الله .

قال : « قد أقلتك » .

فبينما نحن كذلك ، إذ أقبل هارون المكي ، و نعله في سبابته ، فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله .

فقال له الصادق (ع) : « ألق النعل من يدك ، واجلس في التنور » .

قال : فألقى النعل من سبابته ، ثم جلس في التنور .

وأقبل الإمام (ع) يحدث الخراساني حديث خراسان ، حتى كأنه شاهد لها ، ثم قال : « قم يا خراساني ، وانظر ما في التنور . » .

قال : فقمت إليه فرأيته متربعاً ، فخرج إلينا ، وسلَّم علينا.

فقال له الإمام (ع) : « كم تجد بخراسان مثل هذا ؟ » .

فقلت : والله ، ولا واحداً.

فقال (ع) : « لا والله ولا واحداً ، أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت . » . مناقب آل أبي طالب / تأليف للإمام الحافظ إبن شهراشوب شير الدين أبي عبد الله محمد بن على بن شهر اشوب ابن أبي نصر بن أبي يش السروى المازندراني المتوفى سنة 588 هـ . / ج3 / ص362-363 / فصل في خرق العادات له (ع) / المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف / 1956م .

ولذا قال الشيخ المفيد رضي الله عنه حضرت مجلس رئيس من الرؤساء ، فجرى كلام في الإمامة ، فانتهى إلى القول في الغيبة ، فقال صاحب المجلس : أليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد عليه السلام : أنه لو اجتمع للامام عدة اهل بدر ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً لوجب عليه الخروج بالسيف ؟

فقلت : قد روي هذا الحديث .

قال : أوَ لسنا نعلم يقيناً أن الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدة اهل بدر ؟

فكيف يجوز للامام الغيبة مع الرواية التى ذكرناها ؟

فقلت له : إن الشيعة و إن كانت في وقتنا كثيراً عددها ، حتى تزيد على عدة أهل بدر أضعافاً مضاعفة ، فإن الجماعة التي عدتهم عدة أصحاب بدر إذا اجتمعت فلم يسع الإمام التقية ، و وجب عليه الظهور ، لم تجتمع في هذا الوقت ، و لا حصلت في هذا الزمان ، بصفتها ، و شروطها . وذلك إنه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم الشجاعة ،والصبر على اللقاء، والإخلاص في الجهاد ، و إيثار الاخرة على الدنيا ، و نقاء السرائر من العيوب ، و صحة العقول ، و أنهم لا يهنون ، و لا ينتظرون عند اللقاءة .

و يكون العلم من الله تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف .

وليس كل الشيعة بهذه الصفة ، ولو علم الله تعالى أن في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه لظهر الامام عليه السلام لا محاله ، و لم يغب بعد اجتماعهم طرفة عين ، لكن المعلوم خلاف ما وصفناه ، فلذلك ساغ للإمام الغيبة ، على ما ذكرناه .)) . ص12 / الإفصاح في امامة أمير المؤمنين عليه

السلام ، ويليه إيمان أبى طالب / تأليف الفقيه المتكلم أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد / قسم الدراسات الاسلامية ، مؤسسة البعثة / قم المقدسة .

هـ) :

لبيان فشل حكم الاخرين سواء أكان حكمهم مستنبطاً من الرسالات السماوية ، أو مأخوذاً من الأرضية ، كحكم الشورى وغيرها ، أو الحكم الديمقراطي ، أو الإقطاعي ، والرأسمالي أو الشيوعي و الشعبي ، وبعنوان دولة أو مملكة أو جمهورية ، أو أي اسم آخر كان أو يكون ، ووضوح ذلك للناس :

فقد روي عن الإمام الباقر(علي السلام) أنّه قال :

((دولتنا آخر الدول .

ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا ، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عز وجل : " والعاقبة للمتقين ". سورة الاعراف / الآية 128 .)) . غيبة الطوسي / 472-473 .

و) :

لئلا يكون في عنقه بيعة لأي أحد اذا قام بالسيف :

روى النعماني في الخبر السابع و الأربعين من باب : ما روي في غيبة الإمام المنتظر (عج) روى بسنده عن الكُناسي عن الإمام الباقر (ع) قال : « إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين ، (و) لا يقوم القائم ولأحد في عُنقه بيعة » .

ثم روى ما رواه الكليني عن هُشام بن سالم ، عن الصادق قال : « يقوم القائم وليس لأحد في عُنقه عقدٌ ، ولاعهدٌ ولا بيعة » .

و روي عن الإمام الرضا(عليه السلام) أنّه قال ـ في جواب من سأله عن علة الغيبة ـ : (لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف .) . علل الشرائع : 1 / 245 ، عيون الأخبار الرضا / 1 / 273.

و قد روي عن الإمام المهدي(عليه السلام) أنه قال في توقيعه الى إسحق بن يعقوب ، في جواب أسئلته :

(... وأما علة ما وقع من الغيبة ، فإن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم) المائدة / 101 . . إنه لم يكن أحد من آبائي (عليهم السلام) إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي) .

كمال الدين / 485 ؛ غيبة الطوسي / 292 .

وهذا المعنى قد روي كثيراً عن الصادقين عليهم السلام ، في مناسبات مختلفة ، وبألفاظ مقاربة .

القسم الثاني :

أُطروحة :

تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيئاً ليوم الظهور

لقد فرق الشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر في " تاريخ الغيبة الكبرى بين قسمين سمى الأول منهما " شروط الظهور " ، والثاني " علامات الظهور " . أنظر" تاريخ الغيبة الكبرى " / الشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر / القسم الثالث / في شرائط الظهور وعلاماته / ص393 .

وفرق بينهما بما هو ظاهر من معنى الشرط أي لابد من وقوعه وتحققه لأن المشروط عدم بانعدام شرطه حتى يتحقق الظهور ، ومن علامات وهي عبارة عن دلالة وهداية على الوقوع ، وهذا هو زبدة الفرق .

وقد جعل الفروق سبعة كلها يدور حول الذي ذكرنا ؛ وقد ذكر في الفرق الخامس بينهما :

(فان العلامات بصفتها دلالات وكواشف عن الظهور ، فان وظيفتها سوف تنتهي عند حدوثه ، ولا يبقى لها أي معنى بعده . وأما الشرائط فحيث أنها دخيلة في التسبب إلى وجود يوم الظهور ، وإلى تحقق النصر فيه ... فلا بد أن تجتمع في نفس ذلك العهد ، حتى تكوّن بمجموعها الشرط الكامل للنجاح . إذ مع تخلف بعضها تتخلف النتائج المطلوبة ، لا محالة .) . أنظر المصدر السابق / ص397 .

قال بعدها : (ونحن إذ نتكلم عن شرائط الظهور ، إنما نريد بها الشرائط التي يتوقف عليها تنفيذ اليوم الموعود ، ونشر العدل الكامل في العالم كله فيه ...) . المصدر نفسه / ص398 .

وجعلها شروطاً ثلاثة :

(الشرط الأول : وجود الأطروحة العادلة الكاملة) ، **وهو متحقق .**

الشرط الثاني سنأتي لذكره بعد ذكر بقية شروطه .

(الشرط الثالث :

وجود الناصرين المؤازرين المنفذين بين يدي ذلك القائد الواحد .) .

ثم أضاف شرطاً رابعاً :

(أنه قد يقال بلزوم شرط رابع لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة في اليوم الموعود ، وهو وجود قواعد شعبية كافية ، ذات مستوى في الوعي والتضحية كاف ، من أجل هذا التطبيق ، لتكون هي رائده الأول ، في اليوم الموعود .) . راجع في ذلك كله الكتاب المذكور ، وما حول الصفحة (409) .

وهذه كلها ما عدا الذي لم نذكره مقتنصة من الروايات التي بين أيدينا ، ومستفادة من أصل التشريع الإلهي ، ونجاح الحركات الإنقلابية في المجتمعات البشرية .

و أما الشرط الثاني فيقول فيه :

(الشرط الثاني :

وجود القائد المحنك الكبير الذي له القابلية الكاملة لقيادة العالم كله) .

(وَ يَتم الكلامُ حول هذا الشرط ضمن نقطتين :

النقطة الأولى :

يرجع هذا الشرط بالتحليل إلى شرطين :

أحدهما : اشتراط وجود القائد للثورة العالمية . حيث لا يمكن تحققها من دون قائد .

ثانيهما : أن يكون لهذا القائد قابلية القيادة العالمية .) .

وتكلم في الجهة الثانية حول : (ارتباط شرائط الظهور بالتخطيط الالهي . والتخطيط الإلهي يقوم بتربية البشرية بإسلوب معين ، لأجل إيجاد هذه الشرائط تدريجاً ، خلال عمر البشرية الطويل .) . المصدر نفسه / ص409 .

و في هذا الحديث المقتنص لا إشكال ، لكن لو نزلنا إلى التفصيل الذي ذكره حول هذه النقطة بالذات لرأينا أن ما فيها قابل للمناقشة .

وسنأتي للحديث عنها بنوع من التركيز ، بعد أن نقدم ما ربما كان منطلقاً لهذه النظرية .

قال أستاذنا الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله تعالى) :

((إن عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها ، مشحوناً بالشعور بالتفوق ، والإحساس بضآلة الكيانات الشامخة التي أُعد للقضاء عليها ، ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد ،..... ولما كانت رسالة اليوم الموعود تُغير عالم مليء بالظلم وبالجور تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية ، وكياناته المتنوعة ، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله ، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشئوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها ، واستبدالها بحضارة العدل والحق ، .....)) .

و لا إشكال فيما تقدم من كلامه (قدِّس سرُّه) ، ولكن لنا وقفات مع كلامه اللاحق حيث يقول :

((أضف إلى ذلك أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود ، لأنها تضع الشخص المدخر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكل ما فيها من نقاط الضعف والقوة ، ومن ألوان الخطأ والصواب ، وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها وكل ملابساتها التاريخية .)) . بحث حول المهدي / الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر / ص 42 – 47 .

من كلامه هذا يظهر لنا :

إنَّ إعداد الفكر للإمام المعصوم في هذا التغيير الكبير يحتاج إلى تجربة كبيرة .

وهو كلام مقبول على الموازين الطبيعية لفرد طبيعي .

ولو قلنا بذلك بالنسبة إلى المعصوم لوقعنا بمطب كبير لم يُلتفَت إليه ، وهو أن التجربة تزيد بخبرة المعصوم .

وهذا فيه :

1) : قلنا من أن هذا طبيعي لفرد طبيعي ، ولكن الأمر ليس طبيعياً على كل حال ، فهو خارج عن حدود الطبيعة المعروفة .

إذ هذه الحالة هي حالة خاصة .

إذاً له طبيعته الخاصة به ، ولا يُمكن قياسها بالحالات الطبيعية المعروفة والمدروسة والواقعة تحت التجربة .

فلا يمكن معرفتها بما لدينا من مسلمات طبيعية .

2) : لو تم هذا هنا لتم في غيره ولا فرق ، فحينئذٍ يقع الإرتباك لأن هناك مجالاً واسعاً حينئذٍ لمن يأتي في أي وقت ليقول أنا ليّ خبرة أكثر من المعصوم نفسه ، فيقع ما يقع من الفساد .

3) : الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود .

الإعداد الفكري للموعود يفتقر إلى تجربة (مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها) إذ لها " أثر كبير " في ذلك .

ولو صح هنا لصح في غيره أيضاً ، وهو كما ترى .

إذ لو كان كذلك لاحتاج بعض المرسلين الشباب لتجربة - حتى لو كانت تلك التجربة أقل من هذه التجربة - ، تؤهلهم لكي يتصدوا للأمر الذي كُلِّفوا به ، ولكن نرى من أنه لم تكن ثمة تجربة لهم بل إن بعضهم قد حُمِّل ما حمل وهو ما زال طفلاً رضيعاً.

وإن ننس فلا ننس من أنه نفسه الحجة بن الحسن روحي فداه عليه السلام قد تكفَّل بأعباء الإمامة وعمره الشريف لم يتجاوز الخامسة ، فأين تجربته في القيادة حينها ؟

وخاصة وهو يقوم بالقيادة في ظروف خاصة لم يسبق أن مر بها أحد من أجداده البررة عليهم السلام ، ونقصد بها ظروف الغيبة الصغرى ؟

فكيف كان أهلاً لتحمل أعباء الإمامة وبظروف عجيبة وعصيبة ، وهو لا يملك تجربة ، ولم يمر بمراحل استيعاب هذه المرحلة ؟

وقد امتدت كما يعلم الجميع لحوالي سبعين عاماً .

ومن قبله الإمام الجواد عليه السلام .

فأين تجربته ؟

وهكذا نوسع الإشكال ليشمل حتى نبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه السلام ، كيف تحمل أعباء النبوة والكتاب والحكمة وهو بعد رضيع ، مع حيلة وشيطنة اليهود وشدة مكرهم ، وهو لا يملك أي تجربة ، وأي معرفة عن المجتمع ؟

وهكذا بالنسبة ليحيى النبي ، وهكذا يتسع الفتق على الراتق .

وما أجبت به هناك ستجاب هنا ، ولا فرق .

من هذا يتبين أنَّ هؤلاء لهم كمالاتهم الخاصة ، و أمورهم الغيبية المرتبطة بالله سبحانه ، ربما لا تستطيع أفهامنا أعني أفهام البشرية جمعاء من الإحاطة بها إلا بالتسليم المطلق المؤيد من قبل الله تعالى .

وهؤلاء لهم إمكاناتهم الخاصة التي ليست مرتبطة لا بتجربة ولا بطريقة تعليم كلاسيكية ، سوى الطريق الغيبي الإلهي .

ثم و إن كان المطلب سيبدو غريباً نوعاً ما إلا أنه لابد من طرحه حتى تكتمل الصورة ، وهم المربوطون بالله تعالى ، غير المحتاجين لا إلى تجربة ولا إلى تعليم أحد إلا الله ، أو أن الله يعلمهم بكيفيات خاصة لا نحيط بها ، ولو كان ما يصلح كمثال ضد هذا فهو مردود ، بأدنى تأمل ، مما ربما سيأتي الحديث حوله في هذا الكتاب .

أقول : هل الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى تعليم ، أو إلى تجربة ؟

هؤلاء المربوطون به أيضاً لا يحتاجون إلى تعليم سوى منه ، لأنهم يمثلونه في الأرض ، إذ هم خلفاؤه الحقيقيون ، البالغون أعلى درجات الإخلاص له ، ومن ذلك استخلصهم لنفسه .

إذاً ما يأتي في تصورنا غير هذا فلا حقيقة له .

ولكن ما يربك الصورة أن لدينا آيات تفيد الزيادة وتفيد الإطمئنان وتفيد التعلم ، وهناك روايات تفيد الزيادة الفعلية ، بل صريحها ذلك ، ومن هنا أُخذ القوم .

فوقع مَن وقع ، حتى أن فطاحل القوم لم ينجوا منها .

ولو تعرضنا لما ذكره الشهيد السعيد السيد الصدر الثاني في كتابه تاريخ الغيبة الكبرى لرأينا الحديث فيه شجون أيضاً ، إذ بعد أن فرّق بين ما سمّاه شرائط الظهور وبين علاماته ، كما قدمنا ، قال عند تعرضه لبيان جهات شرائط الظهور : وقد ركزنا الحديث حول هذه الجهة لأنها مرتبطة بموضوعنا الذي نتحدث عنه .

في الجهة الرابعة : (التخطيط الإلهي الخاص بإيجاد القائد) . تاريخ الغيبة الكبرى / ص415 .

(ويكون ذلك على مستويين : الأول : بلحاظ إيجاد قابلية هذه القيادة في شخص القائد .

والثاني : باعتبار تكامل هذه القابلية لديه .) . المصدر نفسه .

ثم بعد أن تكلم في المستويات الثلاثة لتعليم القائد ص416 – 417 . قال : (وأما القيادة القائمة على الأساس الالهي ، فهي تنطلق من عدة زوايا ، كل واحدة منها تحتاج إلى تعليم أولاً ، وإلى مران وتمحيص ثانياً ، وإلى تكامل وتعميق ثالثاً .) . المصدر نفسه / ص417 .

ومن ذلك يقتنص عدة نتائج مهمة : وفي النتيجة الأولى يقول :

(يكون من المستحيل عادة وجود قائد عالمي يقوم في قيادته على أساس مادي . وهو – أيضاً – مما لم يحدث في أي فترة من التاريخ . فان القيادة العالمية لا تكون إلا من التعليم الالهي ، ذلك التعليم المنافي للأساس المادي . وكل القواد الدنيويين أو الماديين ليسوا عالميين على أي حال ، وإن قادوا دولاً كبيرة .) . المصدر نفسه / ص418 .

وهو رأي سديد .

وفي الثالثة يقول : (النتيجة الثالثة :

أننا نقول نفس الشيء بالنسبة إلى المهدي الذي يولد في آخر الزمان ، طبقاً للفهم غير الامامي . فانه بعد وضوح انتفاء الوحي بالنسبة إليه ، لا يكون قابلاً للقيادة العالمية التي يجب أن يتكفلها بعد انفصاله عن التربية الالهية المباشرة وبالواسطة أيضاً . فإنه لا يوجد في عصره قائد عالمي سابق عليه ليباشر تعليمه وتكميله .

فإن قال قائل : إن التمحيص الساري المفعول خلال عصر الغيبة الكبرى ، كفيل بإيجاد مثل هذا الشخص .

قلنا له : كلا ، فان غاية ما للتمحيص من مقدرة هو إيجاد الأفراد المخلصين إلى درجة عالية ، بحيث يستطيعون المشاركة في قيادة العالم ، تحت إشراف القائد الأكبر . وأما أن يخلق التمحيص شخصاً له قابلية قيادة العالم ، من خلال عدد محدود من السنوات ...فلا .) . المصدر / ص(419) .

(فإن قال قائل : فان التمحيص يمكن أن يفرض مضاعفة بالنسبة وإليه وتشديده عليه ، ليصنع منه قائداً عالمياً .

قلنا في جوابه إن التمحيص قاصر أساساً على إيجاد القائد العالمي . فإن التمحيص شيء والقيادة شيء آخر . ولولا التعليمات الموسعة التي يتلقاها الممحصون من قبل المهدي (ع) لقيادة العالم بعد ظهوره ... لما أمكنهم ممارسة القيادة لمجرد كونهم ممحصين . فان ما يفعله التمحيص هو تقوية الايمان والاخلاص وقوة الارادة ، وهذا مما لا يكفي وحده لقيادة أياً كانت ، فضلاً عن قيادة العالم .) .

ثم يقول : (فإن الأسلوب الوحيد الذي يمكن به ربط الإمام المهدي (ع) في تربيته القيادية بالوحي ، ولو بالواسطة ، هو أنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، ليكون قد تلقى الحقائق الكبرى عن طريق آبائه عن النبي (ص) عن الوحي الالهي .

فإذا تم ذلك ، تعين كونه مولوداً في زمان أبيه وباقياً إلى الآن ، محفوظاً بعناية الله تعالى ، من أجل أن يقوم بالقيادة الكبرى في اليوم الموعود . إذن أصبحت الغيبة الكبرى من الأسباب الضرورية لنجاح الدعوة الالهية في ذلك اليوم .) . المصدر السابق / ص 420 .

وهو كلام يتقبله المتقبل له .

ثم بعدها تكلم عن المستوى الثاني ، فقال :

(في تكامل قابلية القيادة العالمية من الكامل إلى الأكمل ، بلحاظ أطروحة نطرحها ، ونحاول البرهنة عليها . ويقع الكلام في ذلك في جوانب ثلاثة ...) ، ويطرحها .

ولا كلام لنا في الجانبين الأولين ولكن في الجانب الثالث لنا حديث واسع ، حيث يقول :

(هو انه عليه السلام يتكامل – بعد العصمة – خلال غيبته ، بعدة اسباب :

السبب الأول :

الإلهام بالمعنى الذي قلنا بصحته ، ودلت الاخبار على وجوده .) .

وهو مما لا كلام لنا فيه في الجملة ، ولكن هذا لا شأن له في الغيبة أصلاً ، فضلاً عن طولها ، كما تلاحظ ، وسيأتي زيادة بيان .

ثم يقول : (السبب الثاني :

لتكامل الامام المهدي (ع) ما يحدث في عصر الغيبة من الإنحراف والفتن .

فانه موجب لتكامله من جهتين :

الجهة الأولى :

ما يواجهه عليه السلام شخصيا من الظلم والانحراف .....) . المصدر السابق / ص421 .

وهو أول الحديث لأننا لم نطلع على كيفية حياته ، وارتباطه بالأحداث ، فلعلّ هناك جهات إرتباط قاصرة أذهاننا عن نيلها .

والكلام كأنه منصب على أن معيشته مثل أجداده وآبائه عليهم السلام في المجتمع ، وهو مما لم يقم عليه دليل .

ويمكن أن ترد هذه الجهة بصورة خاصة وغيرها بالعموم بما ورد عنه عليه السلام في رسالته الأولى ، والتي ذكرناها سابقاً للشيخ المفيد رحمه الله إذ يقول فيها :

(نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، مادامت دولة الدنيا للفاسقين .) . معادن الحكمة : 2 / 303 ، بحار الانوار : 53 / 174.

فلاحظ قوله عليه السلام " نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين " ، فكيف يصح أن نقول بعدها " ما يواجهه عليه السلام شخصياً من الظلم والانحراف " ، وهو بعيد عن مساكن الظالمين ؟!

ويتم الشهيد الصدر الثاني رحمه الله كلامه : (الجهة الثانية :

أنه يمكن أن يقال على شكل الأطروحة المحتملة : إن معاصرة المهدي (ع) التاريخية الطويلة ، للأجيال ، توجب له الإطلاع المباشر على قوانين تطور التاريخ ، وتسلسل حوادثه ، وما يؤثر في المجتمعات البشرية ونفوس الأفراد من مؤثرات سلبية وإيجابية ، مما لا يمكن التوصيل إليه عن طريق آخر أصلاً ، كمراجعة التواريخ المسجلة ، أو معاصرة الحقبة الزمانية خلال حياة قصيرة .....) . المصدر نفسه / 430 .

وهذه إذا يُلاحظ المتلقي لهذه النظرية مبنية على (الأطروحة المحتملة) ، ونحن نتحدث عن إمام معصوم موجود ، وعلة تأخره ، لا عن احتمالات وظنون ، وللكلام بقية .

كما أنه هو نفسه يرد على هذه الجهة بقوله قبل صفحات من كتابه : (فان القيادة العالمية لا تكون إلا من التعليم الإلهي ، ذلك التعليم المنافي للأساس المادي . وكل القواد الدنيويين أو الماديين ليسوا عالميين على أي حال ، وإن قادوا دولاً كبيرة .) . المصدر نفسه / ص418 .

فكيف ربطتها الآن - يا سيدنا رحمك الله - بالأساس المادي ؟!

(السبب الثالث :

من أسباب تكامل الإمام المهدي (ع) ، في تكامل ما بعد العصمة ... خلال غيبته : ما يقوم به عليه السلام من أعمال وتضحيات اختيارية في سبيل الإسلام والمسلمين .). المصدر نفسه / صفحة (433) .

كيف ؟ وأنى ؟ ومتى ؟

هذا مما لا تحيط به عقولنا ، فكيف ندرك ذلك ، حتى نجعله من أسباب تكامل الإمام المهدي عليه السلام ؟!

(فهذه هي الأسباب الثلاثة التي تسبب تصاعد المهدي (ع) في درجات الكمال خلال غيبته الكبرى ، بحسب معرفتنا لا بنحو الحصر الكامل .) . المصدر نفسه / 434 .

ولكن مع الأسف و إن كانت كثير من المقدمات صحيحة إلا أن بعضها ظنية احتمالية ، والنتيجة تتبع أخس المقدمات ، فلا يمكن لنا أن نثبت ذلك بدليل ، فالأطروحة مع الأسف ليست بتامة .

و قد أتعب نفسه بذكر آيات ليستفيد منها ذلك ، ولكن هذا لم يفد دعواه شيئاً ، فإننا لا ننكر الزيادة بصريح الروايات .

ولو سلمنا بصحة كل ما ذكر من شرح للآيات بما بيّن و أنه كان لتكامل المعصوم ، إذ للنقاش في بعضها على ما ذكر مجال واسع . فهذا ما حصل لنا إلا ببركة الطريق الذي أخبر به الله نبيه وفصَّله في كتابه .

فحينئذٍ لنا أن نقول : لو ثبت ذلك كله على ما وجَّه ، فأنـَّى لنا أن نثبت من أن هذا يجري للإمام المعصوم عليه السلام في الغيبة الكبرى و طولها ؟

أي أنـَّى لنا أن نثبت من أن السبب في تأخر الغيبة ، ووجود الإمام عليه السلام ، هو لأجل نضوجه ، حتى وإن كان هذا النضوج نضوج تكامل له ما بعد العصمة ، و لأجل إتمام قابلياته ؟!

أنى لنا إثبات ذلك ؟

وما هو إلا رجم بالغيب ، ومن أعجب العجب أن يصدر هذا من مثله ، لأن هذا مرتبط بعالم الغيب أولاً و آخراً .

ثم إن هذا إخبار عن قابليات الإمام سلام الله عليه وحدودها ، وكيفية اتساعها ، وهو مما لم ، ولا ، ولن يطلع عليه أحد غير رب العزّة جلَّ شأنه .

و إذا أراد الله بيانه ، فالمعصوم من يُخبر به ؛ و لم يخبر عنه المعصوم أبداً ، لأنه لم ترد ولا رواية ضعيفة فيما أفاد ، **وهو إن سبب طول الغيبة لتكامل الإمام عليه السلام ونضوجه .**

بل هو ما أوصله إليه ظنه ، فأصلّه ، وقد أطال فيما فصّل .

و (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) يونس / آية 36 .

ثم هو بنفسه ذكر في أول الكتاب قال : (وملخص المنهج الذي سنسير عليه ، هو : إن السؤال المُثار تاريخياً ، له صورتان ، إحداهما : أن يوجد في الأخبار ما يصلح أن يكون جواباً عنه .

وثانيتهما : أن لا يوجد في الأخبار شيء من ذلك .

ويقع الحديث عن كلٍّ من الصورتين مستقلاً .) . تاريخ الغيبة الكبرى / السيد محمد محمد صادق الصدر / ص24 .

ثم قال :

((الصورة الثانية :

ما إذا كان المورد خالياً عن الجواب ، في الأخبار بالمرة ، أو كان الخبر الدال على وجوبه ساقطاً ، عاجزاً عن الإثبات ، لفساده بحسب القواعد العامة ، أو نتيجة للتعارض ، بالنحو الذي أوضحناه في الصورة الأولى .

وفي مثل ذلك يبقى المورد خالياً عن الجواب ، ويمكن اعتباره فجوة تاريخية مؤسفة بالنسبة إلى الأخبار . وينحصر تحصيل الجواب عليه من القواعد العامة والقرائن المربوطة بالمورد .

ثم نصوغ للجواب (أطروحة) معينة ، محتملة الصدق ، ونقيم من هذه القواعد والقرائن مؤيدات لها . فيتعين الأخذ بهذه الأطروحة ، بصفتها الحل الوحيد للمشكلة .)) . المصدر السابق / ص26 .

ونشاهد ما فيه علامة إستفهام في كلامه من أول الأمر ، إذ هو يقول : " ثم نصوغ للجواب (أطروحة) معينة محتملة الصدق " ، فإذاً هي محتملة الصدق ، أي يمكن أن تكون كاذبة ، ثم يضيف : (ونقيم من هذه القواعد والقرائن مؤيدات لها .) ، وهو كلام جيد ، و إذا به مباشرة يقول :

(فيتعين الأخذ بهذه الأطروحة بصفتها الحل الوحيد للمشكلة) .

ومن هنا يأتي التأمل .

فلماذا تكون هي الحل الوحيد ؟

ولماذا هذا التعيين ؟

فليس من عيب ولا حرج على الإنسان أن يقول لا أدري ، أو أن يـُرجِع أمرها إليهم ، كما ورد في الروايات ذلك ، حين تعيينا المسالك ، هذا لو وجدت الروايات ، أما لو فقدت فاعتقد من أن الأمر أوضح من البيان .

ومن المحتمل أن هذا الذي أفاده هو الذي جعله يثبت هذا الأمر ، ويصر عليه ، لأنه لم يجد مخرجاً إلاه ، فانتبه .

ولكن هناك مخارج كثيرة ، وهي ما ذكره هو في هذا الكتاب من أسباب الغيبة إلا هذا السبب ، أو ذكرَهُ غيرُهُ في غيرهِ ، بل ما ذكرته الروايات الكثيرة ، التي لو أخذناها واحدة واحدة لما وجدنا لهذا السبب فيها من عين و لا أثر ، مع ذكر الأسباب الأخر ، تفصيلاً أو إشارةً .

وهي من القرائن الواضحة على بطلان هذه الأطروحة ، و فسادها .

فضلاً من أننا غير مكلفين بالبحث في هذه الموارد التي لا تستطيع إدراكاتنا الإحاطة بها .

عن عبد الواحد بن محمد الميدايني عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد (ع) يقول :

إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها ، يرتاب فيها كل مُبطل .

فقلت : و لم جعلت فداك ؟

قال : لأمرٍ لم يؤذن لنا في كشفه .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال : وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره .

إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره ، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر- من خرق السفينة ، و قتل الغلام ، و إقامة الجدار – لموسى (ع) إلا وقت إفتراقهما . **يا بن الفضل إنّ هذا الامر أمرٌ من أمر الله تعالى ، و سرٌ من أسراره ، و غيبٌ من غيب الله ،** و متى علمنا أنه عز و جل حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله و أقواله كلها حكمة ، و إن كان وجهه غير منكشف لنا .) . منتخب الأثر / باب 28 / ص 271 / عن كمال الدين .

و في آخر التوقيع الوارد إلى إسحاق بن يعقوب جواباً عن كتاب كتبه إليه بواسطة محمد بن عثمان العمري ، يسأله عن بعض المسائل :

((.... " إن الله عز و جل يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤءكم " . (سورة المائدة / آية 101) . فأغلقوا باب السؤال عما لا يعنيكم ، و لا تكلّفوا علم ما قد كُفيتُم ، و أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فإن ذلك فرجكم ، و السلام عليك ، يا إسحاق بن يعقوب الكليني ، و على من اتبع الهدى . ")) .

ولأجل هذا وغيره قال الشريف المرتضى رحمه الله : ((علة الغيبة : هذا مما لا نحيط به .)).

راجع : المقنع في الغيبة والزيادة المكملة له / للسيد الشريف المرتضى ابي القاسم علي بن الحسين الموسوي 355 - 436هـ / ص41 / تحقيق السيد محمد علي الحكيم / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .

وهو مما كان ملتفتاً إليه الشهيد الصدر الثاني رحمه الله تعالى ، حتى عندما طرح هذه الأطروحة ، ولكن وجود روايات ، و آيات معينة دعته للأخذ بهذه الأطروحة ، حيث قال :

((ولعل البعض يعترض بالقول إن الإمام المهدي عليه السلام هو إنسان معصوم ، ولديه المدد من قبل الله ، ولا يحتاج إلى تجارب ، لحصوله على التكامل ، أو للزيادة في العلم والاطلاع ، غير أن هناك العديد من الآيات والأحاديث التي تدل على أن أفضل الخلق ، وهو النبي محمد قابل للزيادة في تحصيل العلم ، وكذلك باقي الأنبياء ، والمعصومين ، حيث يقول سبحانه وتعالى لنبيه :

(وقل ربي زدني علما) . سورة طه (114) .

وكذلك ما كان من شأن النبي موسى عليه السلام والخضر ، حيث كان الخضر معلماً لموسى عليهما السلام ، كما قصَّ علينا الله سبحانه وتعالى في قوله : (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلمت رشدا) . سورة الكهف (66) .

وعن سليمان الديلمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : (سمعتك وأنت تقول غير مره لولا أنا نزداد لأنفدنا ، فقال : أما الحلال والحرام فقد أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بكماله ، وما يزداد الإمام في حلال ولا حرام ، قلت له : فما هذه الزيادة ؟ فقال : في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام .) الإختصاص / ص 313 ؛ ينابيع المعاجز / ص 162 ؛ بصائر الدرجات / ص 413 . .)) . الشهيد الصدر الثاني .

فبنى إطروحته على هذا الأساس .

هذا بيان لتلك الأطروحة ، وما يخدش بها ، وأما نقدها ففيه تفصيل .

نقد أطروحة تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيئاً ليوم الظهور :

نقول :

أولاً :

و قبل كل شئ نحن نسلّم من أن المعصوم ليس علمه ذاتياً ، و نسلم من أنه يُعطى العلم ؛ إلا أنه يتلقاه من لدن حكيم عليم ، ولو تعلّم فإنه يتعلمه من معصوم مثله .

وبهذا هو نفسه أعني الشهيد الصدر الثاني رحمه الله قد أشكل على مَن أشكل عليه من أنه لابد من أن يكون إبناً للحسن العسكري عليه السلام ، ولا يمكن أن يولد بعد ذلك ، لعدم القدرة والطاقة حينئذٍ ، كما استعرضناه قبل قليل .

ثانياً :

نسلّم من أن المعصوم يزداد علماً يوماً بعد يوم .

ولكن ماذا يتعلم ؟

ولنتأمل فيما قال ، إذ الأمر الأول الذي ذكره واضح الرد :

قال تعالى : "ربي زدني علما" ، فإن النبي صلى الله عليه و آله وسلم لم يطلب الزيادة من أحد ، بل طلبها من ربه ، ولم يطلبها من غيره ، وهذا هو فرق المعصوم عن غيره ، كما قدمنا هذا في الأمر الأول .

و أما تعليم الخضر لموسى فكان بأمر إلهي ، كما أنه تعليم معصوم من معصوم ، وهذا لا ضير فيه ، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : (سلوني قبل ان تفقدوني.. هذا ما زقّني رسولُ الله زقاً زقاً .)) . الأمالي / للشيخ الصدوق / ص341 / المجلس55 .

وفي رواية كشف اليقين : ((قال سلوني من قبل أن تفقدوني ، فإنما بين الجوانح مني علمٌ جمٌ ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله (ص) ، هذا ما زقني رسول الله (ص) زقاً .)) . كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام / تأليف العلامة الحلي / تحقيق حسين الدرگاهي / ص : 56 .

و حتى الفخر الرازي قد روى أيضاً في تفسيره قوله عليه السلام : " لقد علمني رسول الله ألف باب ، كل باب يفتح ألف باب " . التفسير الكبير / الفخر الرازي / رواه في تفسير قوله تعالى : ((ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض...)) (آل عمران:33،34).

ثالثاً :

و أما الرواية عن سليمان فهي كما قال عليه السلام (لولا أنا نزداد لأنفدنا) .

ولكن ماذا يُزادون ؟

لا نعلم ذلك إلا عن طريقهم أنفسهم .

فهنا شيئان :

الأول : أنهم يزادون .

الثاني : ماذا يزادون ؟!

الأول : وقد تقدم فيه ما يكفي ، وهو مسلم من قبل الجميع .

وقد أفرد الشيخ الكليني له عنواناً خاصاً به : (بَابٌ فِي أَنَّ الاَئِمَّةَ (عليهم السلم) يَزْدَادُونَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ / كتاب الحجة .) .

ثم ألحقه بعنوان ثانٍ : (بَابُ : لَوْلا أَنَّ الاَئِمَّةَ (عليهم السلم) يَزْدَادُونَ لَنَفِدَ مَا عِنْدَهُمْ .) .

وذكر تحت ذلك عدة روايات ، ننقل رواية واحدة منها :

روى (عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ كَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهما السَّلام) يَقُولُ لَوْلا أَنَّا نَزْدَادُ لانْفَدْنَا.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ صَفْوَانَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مِثْلَهُ .) .

الثاني : ماذا يزادون ؟

ليس لنا أن نتصور هذه الزيادة بهذه الكيفية التي تصورها شخصياً ، فهو أمر مربوط بالغيب ، فإذا أردنا الإطلاع عليه فعلينا معرفته بما جاء عنهم عليهم السلام .

وقد أفرد الشيخ الكليني لذلك عنواناً آخر : (بَابُ أَنَّ الائِمَّةَ (عليهم السلم) يَعْلَمُونَ جَمِيعَ الْعُلُومِ الَّتِي خَرَجَتْ إِلَى الْمَلائِكَةِ وَالانْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ) عَلَيْهم السَّلام .

ثم أورد عدة روايات نحن نكتفي بواحدة :

روى (عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَمُّونٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) قَالَ : إِنَّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِلْمَيْنِ عِلْماً أَظْهَرَ عَلَيْهِ مَلائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ ، فَمَا أَظْهَرَ عَلَيْهِ مَلائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ فَقَدْ عَلِمْنَاهُ ، وَعِلْماً اسْتَأْثَرَ بِهِ ، فَإِذَا بَدَا لله فِي شَيْءٍ مِنْهُ أَعْلَمَنَا ذَلِكَ ، وَعَرَضَ عَلَى الائِمَّةِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِنَا .) .

فهنا العلم علمان :

1 :) : ما علّمه الله تعالى ملائكته و رسله و أنبيائه ، وقد علموه .

2) : وعِلْمٌ اسْتَأْثَرَ بِهِ تعالى ، فمن هذا العلم إذا بَدَا لله فِي شَيْءٍ مِنْهُ أَعْلَمَهم ذَلِكَ ، وَعَرَضَ عَلَى الائِمَّةِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهم .

فمن هذا العلم بصريح العبارة يُفاض عليهم ، لا من تجارب المجربين ، ولا من استقراء المستقرئين ، ولا استنباط المستنبطين .

كما أن نفس الشهيد الصدر الثاني رحمه الله قد أورد :

(وعن أبي بصير أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال ضمن حديث طويل : (إن عندنا علم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، قال : قلت : جعلت فداك ، هذا والله العلم .

قال : إنه لعلم ، وليس بذلك ، قال : قلت : جعلت فداك ، فأي شيء العلم ؟

قال : " ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء ، إلى يوم القيامة . ") .

الكافي / ج 1 / ص 240 ؛ ينابيع المعاجز / السيد هاشم البحراني / ص 130 .

وهي الرواية الثالثة التي ذكرها .

فانظر لتر العجب في علمهم ، ومِن علمهم ، فليس يعلمون علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، بل يعلمون ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة .

أي لحظة بلحظة ، وطرفة عين أوأقل أو أكبر بمقدارها .....

فهل يحتاج من هذه خصوصياته لما ذُكر بعد اطلاعه المباشر على كل هذا ؟!

فالذي نريد أن نقوله ، والذي ظهر لنا من كل ما تقدم ومن غيره ، فعلمنا به علم اليقين :

مِن أن الإمام عليه السلام هو الذي يقوّم الناس ، لا أن الناس يقومونه .

ومن أنه هو الذي يقوّم التجارب ، لا أن التجربة تقومه ، فتفكر في هذا جيداً .

<u>رابعاً :</u>

لو سلمنا بما قال في أطروحته لوقعنا في مشكلة عويصة لا مخرج منها أبداً ، ورجع عدم سعادة الناس إليه روحي فداه ، أو إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وهو مما يأباه العقل والنقل .

كيف ؟

وذلك لأن هذه الأطروحة كما قدمنا وكما هو معروف جعلت التكامل للمعصوم جعلته شرطاً من الشروط الأربعة للظهور ، ولو تم ذاك فهذا يستدعي فساداً عظيماً ، لو التفت إليه الشهيد السعيد رحمه الله لما تبنّى هذه الأطروحة أبدا .

بيانه :

المشروط عدمٌ عند عدم شرطه ، كما قد صرّح هو بذلك .

فحينئذٍ لو تمَّ العدد من الممحصين ، والشروط الباقية كذلك ، ما عدا هذا الشرط فلا يمكن للمعصوم أن يظهر ، فترتب على ذلك فساد الناس على طول الخط في هذه الفترة ، إلى أن يكتمل معصومُهم .

وهذا كما ترى .

ولا يمكن الخلاص من هذا الإشكال بالقول من أن الله قد رتّب الأمور بحيث أن الإمام يكتمل باكتمال تلك الشروط الباقية .

لأننا ننقاش النظرية من الجهة العلمية والحقيقية ، لا الجهة الخارجية فانتبه .

أي في عالم الإمكان يجب أن تكون تامة لتقع ، لا إن عالم الوقوع يخالف ولو في الجملة عالم الإمكان .

فإذا فسدت هذه الجهة فسدت الأطروحة جزماً .

وهذا مدار ما سيأتي في (سادساً ، و سابعاً) ، فانتبه لهما جيداً ، لأن الفكرة فيهما عميقة نوعاً ما .

خامساً :

هذا الذي ذكر خلاف ما جاءت به الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ، وخلاف ما عليه علماؤنا :

فإنه قال :

((في الجهة الرابعة : (التخطيط الالهي الخاص بإيجاد القائد) . تاريخ الغيبة الكبرى / ص415 .

(ويكون ذلك على مستويين ، الأول : بلحاظ إيجاد قابلية هذه القيادة في شخص القائد . والثاني : باعتبار تكامل هذه القابلية لديه .) . المصدر نفسه .

إذ ورد في الروايات :

((ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا ، على حق المعرفة وصدقها منهم بنا ، **فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم** ، والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلواته على سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم .)) . الإحتجاج / تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / ج 2 / ص 324 .

فركّز على قول المعصوم لتجد صدق ما نقول .

فالإمام مهيأ في كل وقت للظهور ، والمانع غيره .

وهذا الذي قدمناه لا يبعد عن كلام الشيخ الطوسي (قدس سره) مثلاً حيث يقول :

((فإن قيل : لِمَ زعمتم أنه يجب إيجاده في حال الغيبة ، وهلا جاز أن يكون معدوما ؟

قلنا : إنما أوجبنا [ذلك] من حيث إن تصرفه الذي هو لطفنا إذا لم يتم إلا بعد وجوده وإيجاده لم يكن في مقدورنا ، قلنا عند ذلك : أنه يجب على الله ذلك ، وإلا أدى إلى أن لا نكون مزاحي العلة بفعل اللطف فنكون أتينا مِن قِبَلِهِ تعالى ، لا من قبلنا .

وإذا أوجده ، ولم نمكنه من انبساط يده أُتينا من قِبَل نفوسنا ، فحسن التكليف ، وفي الأول لم يحسن .)) . كتاب الغيبة / تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (385 460 – هـ) / ص12 - 13 / تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني الشيخ علي احمد ناصح / مؤسسة المعارف الاسلامية .

وهذا نفسه نجريه هنا ، لأنه أحد أوجهه إن لم يكن نفسه ، حيث تقول الأطروحة :

إن طاقته وكماله لقيادة العالم لم تتم بعد ، وإن كان معصوماً ، وهي تتم بالتدريج ، أي بالتكامل إلى وقت الظهور ، أي التكامل المطلوب غير موجود فعلاً .

قلنا : إنما أوجبنا [أن يكون مهيئاً دائماً للظهور ومتكاملاً له] من حيث إن تصرفه الذي هو لطفنا إذا لم يتم إلا بعد وجوده وإيجاده لم يكن في مقدورنا ، قلنا عند ذلك : أنه يجب على الله ذلك أي إيجاده .

إذ أن هذا الأمر ليس بمقدورنا ، بل بمقدور الله تعالى وهو لم يوجده على الفرض فنكون قد أُخذنا من قبل الباري سبحانه وتعالى ، وهو كما ترى .

وقد قال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (قدس) بهذا الخصوص كذلك :

(الذي نقوله في هذا الباب ما ذكره المرتضى رحمه الله في الذخيرة ، وذكرناه في تلخيص الشافي : تلخيص الشافي / ج 1 / ص 79 – 80 .

أن الذي هو لطفنا من تصرف الإمام ، وانبساط يده لا يتم إلا بأمور ثلاثة :

أحدها يتعلق بالله وهو إيجاده (ع) .

والثاني يتعلق به من تحمل أعباء الإمامة والقيام بها .

والثالث يتعلق بنا من العزم على نصرته ، ومعاضدته والانقياد له) . كتاب الغيبة – الشيخ الطوسي ص 12 .

فدقّق في هذه الأمور لأنها مفتاح الحل .

ونتمم المطلب للذي لم يستوعب الأمر لحد هذه الكلمة بالمثال الذي جاء به المخالف وذكره الشيخ الطوسي وردَّه :

((والمثال الذي ذكره – أي المنكر لوجود الإمام عليه السلام - من أنه لو أوجب الله علينا أن نتوضأ من ماء بئر معينة لم يكن لها حبل نستقي به ، وقال لنا : إن دنوتم من البئر خلقت لكم حبلا تستقون به الماء ، فإنه يكون مزيحا لعلتنا . ومتى لم ندن من البئر كنا قد أتينا من قبل نفوسنا لا من قبله تعالى .

وكذلك لو قال السيد لعبده وهو بعيد منه : اشتر لي لحما من السوق ، فقال : لا أتمكن من ذلك ، لأنه ليس معي ثمنه ، فقال : إن دنوت أعطيتك ثمنه ، فإنه يكون مزيحاً لعلته ؛ ومتى لم يدن لاخذ الثمن يكون قد أتي من قبل نفسه لا من قبل سيده .

وهذه حال ظهور الامام مع تمكيننا فيجب أن يكون عدم تمكيننا هو السبب في أن لم يظهر في هذه الاحوال لا عدمه ، إذ كنا لو مكناه عليه السلام لوجد وظهر .

قلنا – والقول للشيخ الطوسي - : هذا كلام من يظن أنه يجب علينا تمكينه إذا ظهر ، ولا يجب علينا ذلك في كل حال .

ورضينا بالمثال الذي ذكره ، وهذا رد على المثال الأول . لأنه تعالى لو أوجب علينا الاستقاء في الحال لوجب أن يكون الحبل حاصلاً في الحال ، لإنه به تزاح العلة .

لكن إذا قال : متى دنوتم من البئر خلقت لكم الحبل ، إنما هو مكلف للدنو لا للاستقاء ، فيكفي القدرة على الدنو في هذه الحال ، لأنه ليس بمكلف للإستقاء منها . فإذا دنا من البئر صار حينئذ مكلفاً للإستقاء ، فيجب عند ذلك أن يخلق له الحبل .

فنظير ذلك أن لا يجب علينا في كل حال طاعة الامام ،وتمكينه ، فلا يجب عند ذلك وجوده. فلما كانت طاعته واجبة في الحال ولم نقف على شرطه ، ولا وقت منتظر ، وجب أن يكون موجوداً ، لتزاح العلة في التكليف ، ويحسن .

والجواب : عن مثال السيد مع غلامه مثل ذلك : لأنه إنما كلفه الدنو منه لا الشراء ، فإذا دنا منه وكلفه الشراء وجب عليه إعطاء الثمن .

ولهذا قلنا : إن الله تعالى كلف من يأتي إلى يوم القيامة ، ولا يجب أن يكونوا موجودين مزاحي العلة لأنه لم يكلفهم الآن ، فإذا أوجدهم وأزاح علتهم في التكليف بالقدرة والآلة ونصب الأدلة حينئذ تناولهم التكليف .

فسقطت بذلك هذه المغالطة .

على أن الامام إذا كان مكلفا للقيام بالأمر وتحمل أعباء الإمامة ، كيف يجوز أن يكون معدوماً ؟

وهذا نفسه نقوله في حال كونه ليس بمتكاملٍ للظهور .

فنقول : على أن الامام إذا كان مكلفا للقيام بالأمر وتحمل أعباء الإمامة ، كيف يجوز أن يكون معدوماً قابليته ؟ - .

وهل يصح تكليف المعدوم عند عاقل ؟

- وفيما نحن فيه نقول هل يصح تكليف الذي لا يستطيع أن يركض الركض ؟ -

وليس لتكليفه ذلك تعلق بتمكيننا أصلاً ، بل وجوب التمكين علينا فرع على تحمله على ما مضى القول فيه ، وهذا واضح .)) . كتاب الغيبة تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي 385 460 - ه تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني الشيخ على احمد ناصح / ص(14 - 15) / مؤسسة المعارف الاسلامية / بتصرف قد أُشير إليه .

ثمَّ لاحظ ما قاله الشيخ المفيد قدس الله نفسه الزكية قبل ذلك ، عندما أشكل عليه مَن أشكل بأنه ما الفرق بين أن يكون موجوداً أو معدوماً :

((قال له : إن الله سبحانه إذا نصب دليلاً وحجة على سائر خلقه فأخافه الظالمون كانت الحجة على من أخافه ، لا على الله سبحانه ، ولو أعدمه الله كانت الحجة على الله ، لا على الظالمين ، وهذا الفرق بين وجوده و عدمه .)) . الرسالة الثانية في الغيبة / تأليف الامام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المنعم ابي عبد الله، العكبري، البغدادي (336 - 413 هـ) / تحقيق علاء الدين جعفر . / ص15 .

ونفس الجواب نسوقه هنا :

إن الله سبحانه إذا نصب دليلاً وحجة على سائر خلقه ، فكان اختفاؤه لتكامله ، كانت الحجة على الله سبحانه لا على الظالمين .

و بلفظ آخر نقول ما قاله أيضاً بعد أن أورد عليه لماذا الغيبة ، مع أن أحداً من آبائه ما غاب ؟ :

((ولما ثبتت عصمته بأدلتها وجب استتاره من أعدائه حتى يعلم - يقيناً لا شك فيه - حضور الاعوان ، و اجتماع الأنصار ، و تكون المصلحة العامة في ظهوره بالسيف .)) . ص 5 / الرسالة الثالثة في الغيبة / نفس المصدر .

و قد قال العلامة الحلي "قدس الله نفسه" : ((و أما سبب خفائه عليه السلام إما لمصلحة إستأثره بعلمها ، أو لكثرة العدو وقلة الناصر ، لأن حكمته تعالى ، وعصمته لا يجوز معهما منع اللطف ، فيكون من غير العادة ، وذلك هو المطلوب)) . الباب الحادي عشر / ص 46 / أواخر الفصل السادس / في الإمامة / العلامة الحلي / بشرح الشيخ المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين ابن محمد السيوري الحلي الأسدي .

فإذاً ما يتعلق بالله من أمر قد سوّاه .

وما يتعلق بالمعصوم قد أنجز .

و يبقى ما لا يتعلق الأمر لا بالله ولا بوليه ، بل بغيرهما .

و هذا عائد إما : لشئ نجهله ، وعندما نقول نجهله نعني بذلك من أنـّا و إن كنـّا نعلم من أن هناك حكمة إلهية ورائه إلا إننا لا نحيط بها ، ولا يمكن أن تدركها عقولنا الآن .

أو لكثرة العدو وقوته .

أو لقلة الناصر وضعفه .

أو هذه ال(أو) تكون واواً عاطفة .

سادساً :ثمَّ لا ننس من أن هناك قاعدة قد أسسها الإمام الصادق عليه السلام ، وذكرها الشيخ الصدوق قدس الله نفسه الطاهره في بداية كتابه القويم (إكمال الدين) ،ونحن نبينها حيث يقول عزَّ من قائل : ((وإذ قال ربك للملئكة إني جاعل في الارض خليفة))

فقبل أن يخلق الخليقة خلق الخليفة ، ومن هنا نعلم من أن أمر الخليفة أهم من أمر الخليقة ، ولعله لأنه قوامها .

وذلك مثلما أخبر الإمام الصادق عليه السلام حيث قال : " الحجة قبل الخلق ، ومع الخلق ، وبعد الخلق " .

وعقب الشيخ على ذلك فقال : ((ولو خلق الله عزوجل الخليقة خلواً من الخليفة لكان قد عرضهم للتلف .

ولم يردع السفيه عن سفهه بالنوع الذي توجب حكمته من إقامة الحدود ، وتقويم المفسد .

واللحظة الواحدة لا تسوغ الحكمة ضرب صفح عنها ، إن الحكمة تعم كما أن الطاعة تعم.)) .

ثم أتم كلامه : ((ولولا أن القرآن نزل بأن محمداً صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء لوجب كون رسول في كل وقت .

فلما صح ذلك إرتفع معنى كون الرسول بعده ، وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل.

وذلك أن الله تقدس ذكره لا يدعو إلى سبب إلا بعد أن يصور في العقول حقائقه .

وإذا لم يصور ذلك لم تتسق الدعوة ، ولم تثبت الحجة .

وذلك أن الاشياء تألف أشكالها ، وتنبو عن أضدادها . فلو كان في العقل إنكار الرسل لما بعث الله عزوجل نبياً قط .)) . إكمال الدين / الشيخ الصدوق / ص 5 .

والخلافة غير النبوة ، كما ظهر وصرح بذلك فيما مر ، بعد أن بينه بقوله قبل قليل : ((وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل .)) .

ثم ألا تلاحظ قوله تعالى : ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)) النور / 55 .

والله يقول ((وخاتم النبيين)) . الأحزاب / 40 .

لذا قالوا : ((إن الخلافة تخالف النبوة بوجه ، وقد يكون الخليفة غير نبي ، ولا يكون النبي إلا خليفة .)) . إكمال الدين / الصدوق / ص7 .

سابعاً :

((وفي قول الله عزوجل : " وإذ قال ربك للملئكة إني جاعل في الارض خليفة " حجة قوية في غيبة الامام عليه السلام ، وذلك أنه عزوجل لما قال : " إني جاعل في الارض خليفة " أوجب بهذا اللفظ معنى ، وهو أن يعتقدوا طاعته ، فاعتقد عدو الله إبليس بهذه الكلمة نفاقاً ، وأضمره حتى صار به منافقاً ، وذلك أنه أضمر أنه يخالفه متى استعبد بالطاعة له ، فكان نفاقه أنكر النفاق لأنه نفاق بظهر الغيب ، ولهذا من الشأن صار أخزى المنافقين كلهم ، ولما عرف الله عزوجل ملائكته ذلك أضمروا الطاعة له ، واشتاقوا إليه ، فأضمروا نقيض ما أضمره الشيطان فصار لهم من الرتبة عشرة أضعاف ما استحق عدو الله من الخزي والخسار ، فالطاعة والموالات بظهر الغيب أبلغ في الثواب والمدح لانه أبعد من الشبهة والمغالطة ، ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من دعا لاخيه بظهر الغيب ناداه ملك من السماء ولك مثلاه » . وإن الله تبارك وتعالى أكد دينه بالايمان بالغيب فقال : " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ـ الاية " البقرة / آية2 . فالإيمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه ، لأنه خلو من كل عيب وريب ، لأن بيعة الخليفة وقت المشاهدة قد

يتوهم على المبايع أنه إنما يطيع رغبة في خير أو مال ، أو رهبة من قتل أو غير ذلك مما هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم ، وإيمان الغيب مأمون من ذلك كله ، ومحروس من معايبه بأصله ، يدل على ذلك قول الله عزوجل : " فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا " المؤمن : 84 .

ولما حصل للمتعبد ما حصل من الإيمان بالغيب لم يحرم الله عزوجل ذلك ملائكته ، فقد جاء في الخبر : إن الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام .

وكان يحصل في هذه المدة الطاعة لملائكة الله على قدرها . ولو أنكر منكر هذا الخبر والوقت والاعوام لم يجد بداً من القول بالغيبة ولو ساعة واحدة ، والساعة الواحدة لاتتعرى من حكمة ما ، وما حصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان وفي الساعات حكم ، وما زاد في الوقت إلا زاد في الحكمة .)) . إكمال الدين / ص11 .

من كل ما تقدم نقول :

إذن يجب أن يكون الخليفة لله موجوداً ، هذا أولاً .

ويجب أن يكون كاملاً ، و هذا ثانياً .

ويجب أن يكون مهيئاً تهيئة تامة كذلك ، ثالثاً .

ونحن على بيعته ثابتون ، معتقدون من أنه أهل للإمامة ، فهو الحجة التامة أولاً ، و أخيراً .

((ولا يخلو من أن تكون حياته ، وبقاؤه ، هذه المدة الطويلة ، معجزة ، جعلها الله تعالى له ، وليست هي بأعظم من معجزة أن يكون إماماً للخلق وهو ابن خمس سنين ، يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى ، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى ، إذ كلّم الناس في المهد صبياً ، وبُعث في الناس نبياً .)) . المظفر / العقائد / 79 .

و به نتم المقال .

و الحمد لله رب العالمين .

الخاتمة :

التوصيات :

أولاً : الثبات على الموالاة في زمن الغيبة :

عن علي بن الحسين زين العابدين: " مَن ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر ، و أحد . " . كشف الغمة / ج2 / ص522 .

ثانياً : عدم استعجال الظهور .

لأن مظنة استعجال الظهور الوقوع في الفتن .

ثالثاً : لا تنسَ من أنّ المهم إنك تعرف إمامك .

و قد ذكر صاحب الكافي في باب مستقل سبع روايات اخترنا منها ثلاث :

بَابُ أَنَّهُ مَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ لَمْ يَضُرَّهُ تَقَدَّمَ هَذَا الامْرُ أَوْ تَأَخَّر :

2ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) عَنْ قَوْلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ " ، فَقَالَ يَا فُضَيْلُ اعْرِفْ إِمَامَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الامْرُ أَوْ تَأَخَّرَ .

وَمَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الامْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِداً فِي عَسْكَرِهِ ، لا بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَعَدَ تَحْتَ لِوَائِهِ .

قَالَ وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) .

5- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٍ ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لإِمَامِهِ لَمْ يَضُرَّهُ تَقَدَّمَ هَذَا الامْرُ أَوْ تَأَخَّرَ ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لإِمَامِهِ كَانَ كَمَنْ هُوَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ .

7- عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عَلَيْهِ السَّلام) يَقُولُ : اعْرِفِ الْعَلامَةَ ، فَإِذَا عَرَفْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الامْرُ أَوْ تَأَخَّرَ .

إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ " يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ " ، فَمَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ كَانَ كَمَنْ كَانَ فِي فُسْطَاطِ الْمُنْتَظَرِ (عَلَيْهِ السَّلام) .

رابعاً : انتظار الفرج بالدعاء:

ففي التوقيع الشريف عن صاحب الأمر الذي خرج على يد محمد بن عثمان قوله : (وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فان ذلك فرجكم .) . كمال الدين / ص485 ؛ كشف الغمة / ج2 / الفصل الثالث / ص531 ؛ أعلام الورى / 452.

خامساً : عدم تصديق كل من يدعي الإرتباط به ، قبل الصيحة .

فقد ورد في التوقيع الأخير الصادر عن صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ، الذي خرج على يد النائب علي بن محمد السمري رحمه الله الذي له شهرة عظيمة :

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، يا علي بن محمد السمري : أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك و بين ستة أيام ، فأجمع أمرك ، و لا توص إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، و ذلك بعد طول الأمد ، و قسوة القلوب ، و امتلاء الأرض جوراً .

و سيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ، **ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني ، و الصيحة فهو كذاب مفتر** ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم . " . غيبة الشيخ الطوسي / ص395 ؛ عنه بحار الانوار / ج51 / ص361 .

وقد ورد في كتاب كمال الدين : (... فهو كاذب مفتر ...) . كمال الدين / 516 / ح 44 .

وهذا الأمر متسالم عليه عند أرباب الفن .

وقد أورده الشيخ الطبرسي في كتابه الإحتجاج . الإحتجاج / أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان / ج2 / مطبعة النعمان ، النجف الأشرف / 1386هـ - 1966 م . / ص297 .

وقد قال رحمه الله في أول كتابه هذا : ((و لا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الاجماع عليه ، أو موافقته لما دلت العقول إليه ، أو لاشتهاره في السير ، و الكتب بين المخالف و المؤالف ..)) .

أما سند الشيخ الطوسي رحمه الله فقد قال : ((و أخبرنا جماعة (و هم مشايخه) عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الصدوق) قال : حدثني أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب (الذي ترحّم عليه الصدوق في إكمال الدين) ، و ذكر التوقيع الشريف .)) .

فهنا إخباران :

الأول : أنه سيأتي مَن يدعي المشاهدة ، وقد حصل .

الثاني : أن المشاهدة لا يمكن أن تقع إلا بعد خروج السفياني ، و الصيحة .

فبناءاً على هذين الإخبارين الصادقين يجب علينا أن نكذب كلَّ مَن ادّعى المشاهدة قبل السفياني والصيحة .

ورب إشكال مشهور يرد هنا مؤداه : كيف يُنقل أن بعض العلماء ، بل بعض الأشخاص العاديين قد شاهدوه ، وتحدثوا معه سلام الله عليه ؟!

و قد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أوجهٍ منها :

قال الشيخ المجلسي قدس سره في بحاره بعد ذكر التوقيع الشريف : ((لعلَّه محمول على مَن يدّعي المشاهدة مع النيابة ، وإيصال الاخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة ، على مثال

السفراء ، لئلا ينافي الأخبار التي مضت ، وستأتي فيمن رآه عليه السلام ، والله يعلم .)) . بحار الأنوار / المجلسي / ج 52 / ص 151 .

و يقول السيد جعفر مرتضى العاملي في مختصر مفيد :

((يمكن أن يكون المراد بقوله : مَن ادَّعى الرؤية فكذِّبوه . ذلك الذي يدَّعي الرؤية ويدَّعي المعرفة حين المشاهدة ، فمن ادَّعى ذلك فلا بدَّ مِن تكذيبه ، وردِّ قوله عليه .

وأما دعوى بعض أولياء الله في زمن الغيبة أنهم رأوه (عليه السلام) ، فليس فيها أنهم عرفوه حين المشاهدة ، وإنما هم قد عرفوه بعدها ، حين التفتوا إلى أمور ، وشواهد ، دلتهم عليه ، وأشارت إليه .)) . ج 11 / ص 88-89 .

ثم كأنه أجاب عن سؤال مقدر مؤداه فلمَ يظهر بهذا الشكل ؟!

إذ قال : (ولعلّ لظهوره لبعض الأولياء منهم في أوقات متباعدة شأناً في الربط على قلوب المؤمنين ، وحفظ يقينهم ، وتثبيتهم في مواقع الاهتزاز ، و شعورهم بالأمن ، و السلام ، و السلامة .) . نفس المصدر .

فمن هذا وغيره علينا أن نكذِّب كلَّ هؤلاء الأدعياء الذين يدّعون أنهم سفراء للإمام ، وبطريق أولى علينا أن نكذب أيضاً كل مَن يدَّعي أنه إبن الإمام ، أو إنه قد تزوج أخته ، أو إن الإمام يرافقه ... إلى آخر هذه الخزعبلات التي ما أنزل الله بها مِن سلطان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

سادساً :

ملاحظة العلامات بصورة دقيقة :

وفي رواية عن الباقر عليه السلام قال : " خروج اليماني والسفياني والخرساني في سنة واحدة ، وفي شهر واحد ، وفي يوم واحد ، ونظام كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضاً . " . الغيبة للنعماني / ص 253 / ح13.

فلا نؤمن بكل من يدعي أنه اليماني ، لأنه و السفياني و الخراساني يخرجون في سنة واحدة ، فلا يمكن أن يكون هو اليماني و لم يخرج في سنة خروجه كل من الخراساني و اليماني ، فانتبه لئلا تضيع .

وانتبه لترتيب بعض الأحداث : فقتل النفس الزكية في سبعين من الصالحين ، لتكون بعدها بثلاثة أسابيع الطلعة البهية .

و الصيحة تحدث بعد الكسوف ـ هذا الذي سنشير إليه في الفقرة التالية ـ ، إذ هو الذي يدل عليها ، لنتهيأ لها .

سابعاً :

إنتظار الكسوف في وسط الشهر والخسوف في آخره ، فإنه من أهم العلامات على ظهوره المبارك في تلك السنة .

عن بدر بن الخليل الأزدي قال : كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال : آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام ، لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض ، تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره .

فقال رجل : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر ، والقمر في النصف !

فقال أبو جعفر عليه السلام :

(إني أعلم ما تقول ، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام .) . الكافي / 8 / 212 ؛ النعماني / 271 ؛ الإرشاد / 359 ؛ غيبة الطوسي / 270 ؛ إعلام الورى / 429 .

وقد ورد عن ورد أخي الكميت ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال :

(إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمس تبقى ، والشمس لخمس عشرة ، وذلك في شهر رمضان . وعنده يسقط حساب المنجمين .) . النعماني / 271 ؛ كمال الدين / 2 / 655 ؛ والعدد القوية / 66 ، وعنهما البحار / 52 / 207 .

والعجيب أن هذا الأمر قد جاء حتى في روايات الفريق الآخر ، فقد ورد في سنن البيهقي عن جابر ، عن محمد بن علي : إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض ، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان ، وتنكسف الشمس في النصف منه ، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض) . سنن الدارقطني : 2 / 65 . وعنه تذكرة القرطبي : 2 / 703 ، و الحاوي : 2 / 66 ، و مرقاة المفاتيح : 5 / 186 .

ثامناً : نحتاج إلى مقدمة لطيفة :

في البوسنة عندما يصفون فلاناً بالإيمان لا يصفونه بذلك لصلاته ، ولا لعباداته ، بل لمقدار عدائه لأمريكا ، فكلما اشتد عداؤه لأمريكا يُعلم عندهم من أنه شديد الإيمان .

وهذه ليست لطيفة ، بل هي حقيقة ، يعرفها كل من اختلط بأهل البوسنة .

لا نريد أن نتعرض لعداوة أمريكا للمسلمين في هذا الكتاب فإن ذلك ليس من شؤونه ، ولكن نريد أن ننبه على شئ نخاف أن يقع المؤمنون فيه ، وخاصة إذا كانت أيامنا أيام الظهور .

الميزان الحقيقي للإيمان والكفر هو علي بن أبي طالب عليه السلام .

فقد عقد النسائي باباً خاصاً أسماه (باب علامة المنافق) ، ذكر فيه ما ورد في كتب الفريقين عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق . " . سنن النسائي ج8 / باب علامة المنافق .

وقد أورده ابن ماجه في سننه سنن ابن ماجه / ج المقدمة / باب 11 / حديث 114 . ، و مسلم في صحيحه ، في باب الدليل على أن حبَّ الأنصار وعليّ من الايمان صحيح مسلم / ج1 / باب الدليل على ان حب الانصار وعلي من الايمان / حديث رقم78 .

و لذا جاء عن الصحابي الجليل (أبي ذر الغفاري) رضي الله عنه : (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله ، والتخلف عن الصلاة ، والبغض لعلي بن ابي طالب) .

مستدرك الصحيحين / ج3 / ص 129.

و قال أبو سعيد الخدري : (إنا كنا لنعرف المنافقين ـ نحن معاشر الانصار ـ ببغضهم علي بن ابي طالب .) . سنن الترمذي / ج 5 / كتاب المناقب / 83 / حديث 300 .

فهذا هو ميزان الإيمان وغيره ، لا حبّ أمريكا ، وبغض أمريكا .

لأن الذي تقدم ربما سيوقع البعض في متاهات يخرج بها عن الجادة الحقة .

وذلك لأنه إذا صارت أمريكا هي الميزان فحينئذٍ ستكون النتيجة أن كل مَن يحاربها سيكون على الحق .

وهذا ما وقع فيه بعض الشباب المؤمن عندما أعلن " إبن لادن " عداوته لأمريكا ، بعد أن كان هو بنفسه ومرتزقته من صنائعها ، باعتراف قادة أمريكا نفسها .

أقول بعد أن أعلن عداوته أصبح بعض المؤمنين مع الأسف يثمنون جهوده ، بل تجرأ بعضهم بأن قال من أن هذا الخبيث يساوي مائة عمامة من العمائم ، ولا أريد أن أعلق على هذا ، و لكن أقول لو أصبح هذا هو الميزان فحينئذٍ لو فرضنا أن السفياني قد خرج وظاهره عداوة أمريكا ، كما ظاهر هذا اللعين ، وخاصة لأن خطه هو بنفسه خطه ، فكم من أمثال مَن ذكرنا سيكون في صفّ السفياني ، ومع جنوده ، لا لشئ إلا لعداوته لأمريكا ؟!

فيجب الإنتباه لهذا المزلق الخطر .

ولتقريب الفكرة نضرب مثالاً من تاريخنا :

معاوية كان عدواً لعلي عليه السلام ، فليس معناه أن عدو معاوية يصبح على الحق ، لأنه ربما يكون عدواً لمعاوية ومع ذلك هو عدو للحق ، كما كان الخوارج أعداءاً لمعاوية ، وهم في نفس الوقت كانوا أعداءاً للحق المتمثل بعلي بن أبي طالب عليه السلام .

فانتبه يا أخي المسلم لئلا تقع في مثل هذه المطبّات الحديثة .

تاسعاً :

قال الإمام الحجة عليه السلام : (فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ، ويتجنب ما يُدنيه من كراهيتنا وسخطنا .) . الإحتجاج للطبرسي / ج2 / ص323 .

عاشراً :

وفيه البشارة العظيمة لكل مؤمن في زمن الغيبة .

فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي قال الفضل بن شاذان ولم يكن في زمن على بن الحسين (ع) في أول أمره إلا خمسة أنفس : سعيد بن جبير ، سعيد بن المسيب ، محمد بن جبير بن مطعم ، يحى بن ام الطويل ، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه (كنكر) ، ثم قال : وفي خبر الحواريين إنه من حواري على بن الحسين عليه السلام ، وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمة عليهم السلام . أنظر الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج 1 ص 60 . عن الإمام علي بن الحسين ، زين العابدين عليه السلام أنه قال : ((... تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده .

يا أبا خالد !

إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته ، والمنتظرين لظهوره أفضلُ أهل كلِّ زمان ، لأنَّ الله تعالى ذِكرُهُ أعطاهم مِن العقول والأفهام والمعرفةِ ما صارت به الغَيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجَعَلَهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدَي رسول الله بالسيف ، أولئك المخلصون حقاً ، وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً .)) . الإحتجاج / الطبرسي / ج2 / ص50 .

فهنيئاً لكم .

فالذي يريد أن يكون منتظراً لإمامه فعليه أن يكون مخلصاً حقيقياً ، لتظهر عليه صفات الشيعة المخلصين ، بأن يكون من الدعاة إلى دين الله سراً وجهراً ، بالقول والعمل ، كما وصفه إمامه زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام .

وقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام في وصف المؤمنين الثابتين في عصر الغيبة :

« أُولئك منّا ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمة ، ورضينا بهم شيعة ، فطوبي لهم ، ثم طوبي لهم ، وهم واللّه معنا في درجتنا يوم القيامة . » . كمال الدين / 361 ؛ كفاية الأثر / 270 .

" اللهمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ،

اللهمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ،

اللهمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي ."

وبهذا نختم حديثنا ، قائلين ((الحمد لله رب العالمين)) ، ونحن نصلي على خير خلق الله " محمد بن عبد الله و آله الطيبين الطاهرين " ، صلى الله عليهم أجمعين ، وجعلنا الله تعالى و إيّاكُم من المنتظرين الصادقين ، وعجَّلَ اللهُ لِمَن ننتظِرُ الفَرَج ، وسهَّل له المخرج ، آمين رَبَّ العالمين .

محمد حسين الأنصاري

/ ليلة الجمعة / 22 / ر2 / 1431 هـ .

/ يوم 1 / 4 / 2010 م. / سدني / أستراليا .

المصادر والمراجع :

القران الكريم

1 : إثبات الهداة / الحر العاملي .

2 : الإحتجاج / أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي .

3 : الإختصاص / الشيخ المفيد

4 : الإرشاد / الشيخ المفيد .

5 : إرشاد القلوب / الديلمي .

6 : إرشاد الفحول / الشوكاني .

7 : أصل الشيعة وأصولها / الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

8 : أصول الكافي / الشيخ أَبِو جَعْفَرٍ مُحَمَّد بْن يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ .

9 : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / البيهقي

10 : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام .

11 : إعلام الورى بأعلام الهدى / الطبرسي .

12 : إكمال الدين / الشيخ الصدوق .

13 : إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب / الشيخ علي اليزدي الحائري .

14 : الأمالي / الشيخ الصدوق .

15 : الإمامة والسياسة / ابن قتيبة الدينوري .

16 : الإنصاف في مسائل الخلاف / الشيخ حسين معتوق .

17 : الأنوار اللاّمعة في شرح الزيارة الجامعة / العلامة السيّد عبدالله شبّر

18 : الباب الحادي عشر / العلامة الحلي / بشرح الشيخ المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين ابن محمد السيوري الحلي الأسدي .
19 : بحار الأنوار / العلامة المجلسي .
20 : بشارة الإسلام في علامات المهدي عليه السلام / مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي .
21 : بحث حول المهدي / الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر .
22 : البلد الأمين / الشيخ الكفعمي .
23 : بين السائل والفقيه / الشيخ محمد أمين زين الدين .

24 : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة / السيد شرف الدين علي الحسيني الإسترابادي (ت : 940 هـ) .
25 : تاريخ الأمم والملوك / لابن جرير الطبري .
26 : تاريخ الغيبة الكبرى / الشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر
27 : تذكرة الخواص / لسبط أبي الفرج ابن الجوزي .

التفاسير :

28 : تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي أبو السعود
29 : تفسير ابن كثير / اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
30 : تفسير البحر المديد / ابن عجيبة .
31 : تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن 14 هـ) .
32 : تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن / الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) .
33 : تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور (ت 1393 هـ) .
34 : تفسير تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ) .
35 : تفسير الجامع لأحكام القران / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ) .

36 : تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي
37 : تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري (ت 310 هـ) .
38 : تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) .
39 : تفسير روح المعاني/ الالوسي (ت 1270 هـ)
40 : تفسير زاد المسير في علم التفسير / ابن الجوزي (ت 597 هـ) .
41 : تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي / الفيض الكاشاني (ت 1090 هـ) .
42 : تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن / البقلي (ت 404 هـ) .
43 : تفسير فرات الكوفي .
44 : تفسير في ظلال القران / سيد قطب .
45 : التفسير الكبير / للإمام الطبراني (ت 360 هـ) .
46 : تفسير الكشاف / الزمخشري (ت 538 هـ) .
47 : تفسير معالم التنزيل / البغوي
48 : تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت 606 هـ)
49 : تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت 548 هـ) .
50 : تفسير الميزان / العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي .

51 : تحفة الأحوذي / محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري .
52 : تحفة الزائر / لشيخنا المجلسي .
53 : التعاريف / للمناوي / بتحقيق الداية .
54 : تزكية النفس / السيد كاظم الحائري
55 : تلخيص الشافي / شيخ الطائفة المحقة الشيخ الطوسي

56 : تنقيح المقال / المحقّق الشيخ عبد الله المامقاني

57 : دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام / العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي
58 : دراسة في علامات الظهور / السيد جعفر مرتضى العاملي
59 : دلائل الصدق لنهج الحق / الشيخ محمد حسن المظفر .

60 : ربيع الأبرار / الزمخشري
61 : الرسائل العلمية ترف أم حل للمشكلات ؟ / الأستاذ الدكتور عبد علي الخفاف عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة / العراق 15 / آذار / ورقة مقدمة إلى الندوة المصاحبة للمؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة الجنان – طرابلس / لبنان ، في 21-22 نيسان 2007 .
62 : رسائل في الغيبة / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي .
63 : روضة الكافي / الشيخ الكليني
64 : روضة المتّقين / الشيخ محمد تقي بن مقصود علي ، الشهير بالمجلسي الأول ، والد العلاّمة المجلسي .

65 : سنن البيهقي / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي .
66 : سنن الدارقطني / علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي .
67 : سنن الدارمي / أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برهام الدارمي السمرقندي .

68 : شجرة طوبى / محمد مهدي الحائري .

69 : شرح نهج البلاغة / عزّ الدين عبدالحميد المدائني ، الحنفي ، المشهور بابن أبي الحديد المعتزلي .
70 : شرح ابن عقيل / بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني
71 : شرح مختصر الروضة / نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي .

72 : سفينة البحار / المقدس الشيخ عباس بن محمد رضا القمي
73 : السلسلة الصحيحة / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

74 : صحيح البخاري / أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري .
75 : صحيح مسلم / أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .
76 : صحيح الجامع الصغير " وزيادته " الفتح الكبير / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
77 : الصلاة على النبي و أثرها في النشأتين / محمد حسين الأنصاري

78 : عالَم الملائكة الأبرار / الشيخ عمر الأشقر .
79 : عقد الدرر في أخبار المنتظر / يوسف بن يحيى بن علي المقدسي الشافعي السلمي .
80 : العقد الفريد / أبو عمر أحمد بن محمد بن حبيب بن عبد ربه الأندلسي .
81 : علل الشرائع / الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي القمي (305 هـ - 381 هـ) .
82 : عمدة الزائر / السيّد حيدر الكاظمي .
83 : عيون أخبار الرضا (عليه السلام) / الشيخ الصدوق .

84 : الغدير / العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني .
85 : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب / محمد بن أحمد بن سالم السفاريني
86 : الغَيبة / شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (385هـ - 460 هـ) .
87 : الغَيبة / محمد بن إبراهيم النعماني .

88 : فتح الباري في شرح صحيح البخاري
89 : الفتوح / ابو محمد احمد بن أعثم الكوفي
90 : الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي
91 : فلاح السائل / السيد ابن طاووس .
92 : فرائد الأصول / الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري
93 : فرق الشيعة / محمد الحسن بن موسى النوبختي ، من أعلام القرن (3 هـ) .
94 : الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري
95 : الفوائد / الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية (ولد عام 691 هـ) .
96 : في رحاب الزيارة الجامعة / السيد علي الحسيني الصدر .

97 : قرب الإسناد / الشيخ الجليل أبو العباس ، عبدالله بن جعفر الحميري ، من أعلام القرن (3 هـ) .
98 : القاموس المحيط والقابوس الوسيط / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .

99 : الكامل في التاريخ / لابن الأثير .
100 : كتاب الفتن / لابن حماد .
101 : كتاب من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق

102 : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / الإمام إسماعيل الشافعي العجلوني .
103 : كشف الغمة في معرفة الأئمة / أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي .
104 : كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة 381 .
105 : كنز العمال / المتقي الهندي .
106 : كنز الفوائد / أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي .
107 : كفاية الأثر فـــي النصّ على الأئمة الإثني عشر / علي بن محمد الخزّاز القميّ.
108 : الكنى والألقاب / الشيخ عباس القمي
109 : كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام / العلامة الحلي .

110 : لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي .
111 : لسان العرب / ابن منظور

112 : مآثر الأنافة في معالم الخلافة / أحمد بن عبد الله القلقشندي .
113 : المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين / الآمدي / ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب / لعبد الأمير الأعسم .
114 : المجالس السنية / السيد محسن الأمين .
115 : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي
116 : مجموع فتاوى ابن باز
117 : مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .

118 : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (691 هـ - 751 هـ) .
119 :مسند الإمام الرضا / عزيز الله العطاردي .
120 : مستدرك الصحيحين / الحاكم النيسابوري .
121 : مستدرك سفينة البحار / الشيخ عباس القمي .
122 : مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل / الحاج ميرزا حسين النوري ، المشهور بـ " المحدث النّوري " .
123 : مسند الإمام أحمد .
124 : مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي
125 : مفردات القرآن / للراغب الأصفهاني .
126 : المقنع في الغيبة والزيادة المكملة له / السيد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي (355 هـ - 436هـ) .
127 : المقابسات / أبو حيان التوحيدي .
128 : معادن الحكمة / للفيض الكاشاني
129 : المعيار والموازنة / لابن الإسكافي
130 : معاني الأخبار / الشيخ أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الفقيه .
131 : الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر. / السيد ابن طاووس الحلي .
132 : مناقب آل أبي طالب / الإمام الحافظ ابن شهراشوب شيرالدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهراشوب ابن أبي نصر بن أبي يش السروي المازندراني (ت 588 هـ) .
133 : منتخب الأثر / الشيخ لطف الله الصافي .
134 : المنطق / محمد رضا المظفر .

135 : موطأ مالك / الإمام مالك أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني .

136 : نهج البلاغة (جمع الشريف الرضي) بشرح محمد عبده .
137 : نهج البلاغة / تحقيق صبحي الصالح .
138 : نور الأبصار في مناقب آل بيت المختار / الشيخ مؤمن الشبلنجي .
139 : نفس الرحمن في فضائل سلمان / ميرزا حسين النوري الطبرسي .

140 : الهداية / الشيخ الصدوق .

141 : الوافي / الفيض الكاشاني محمد محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود (ت 1091هـ) .
142 : وسائل الشيعة إلى تحصيل أحكام الشريعة / تَأليفُ الفقيه المُحْدّثِ الشيخ مُحمّد بن الحسن الحُر العاملي (ت سنَة 1104 هـ .) .
143 : الورقات / إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الشافعي (419- 478) .

144 : ينابيع المودة / سليمان بن الشيخ القندوزي .
145 : ينابيع المعاجز وأصول الدلائل / السيد هاشم البحراني .

وغيرها من العناوين المذكورة في داخل الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد و آل محمد

فهرس الكتاب

الإهداء 3

كلمة لابد منها 5

المقدمة : 11

القسم الأول في فصل واحد :

قراءة في آية : ((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)) (هود / 86) .

التفسير الأولي :

مرور سريع لمعرفة معنى " البقية " ، ومعنى " بقيت الله " عند أهل اللغة ، والمفسرين .

13

التوسّع في المعنى : المرحلة الأولى ما بعد التفسير : ونبدأ بها مارين بتفسير قوله تعالى :

((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة 158.

من خلال تفسير " شعائر الله " في هذه الآية المباركة ، حاولنا الدخول لتفسير " بقيت الله " في تلك الآية . 17

شواهد على هذا الإستعمال القراني :

والقران لا يخلو من موارد كثيرة أخر لها هذا المؤدى ، منها :

تفسير قوله تعالى : ((قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)) المائدة 100 .

من خلال هذه الآية المباركة حاولنا رفع الاستيحاش من المعاني التي ظاهرها أنها بعيدة المعنى عنها ، بينما هي منها ، ليتجلى لنا معنى الآية الأولى . 21

العودة إلى " البقية " : 23

المرحلة الثانية ما بعد التفسير :
وهل يُكتفى بما ذكر هؤلاء ؟
طبعاً لا ، لأن المتدبر ربما يستطيع أن يستخرج درراً أخر من هذه الجمل 29
آل الله : ما دلالة هذا المصطلح ؟ وهل هو بنفسه صحيح ؟ ومن هم آل الله ، إن صح ؟
37
القسم الثاني : الدعاء
لقد ورد فيما ورد عنهم عليهم السلام :
اللهم عرفني 41
مقدمة في " الصلاة " للدخول في المطلب :
حاولنا فيها أن نبين بعض ثقل آل البيت عليهم السلام في الميزان عند الله تبارك وتعالى ، بمعرفة لماذا سميت هذه الأفعال والحركات بالصلاة ، وكيفية الصلاة على محمد و آل محمد صلى الله عليه و آله ، وماذا يعني ذلك ، لمعرفة بعض الأمور المتعلقة بالحجة من خلالها لأنه منهم عليهم السلام . 41
ثم نضيف للمقدمة ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : قال تعالى : ((قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم)) الفرقان / آية 77 .
محاولة تفسيرية بسيطة لهذه الآية المباركة 47
المطلب الثاني :
وقد رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السَّلام) أنهُ قَالَ :
((كُلُّ دُعَاءٍ يُدْعَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ " .
49
من هاتين المقدمتين حاولنا أن نكتشف بعض ثقل الصلاة على محمد و آل محمد صلى الله عليه و آله .

المطلب الثالث :

لابد أن يكون هذا الحجة الذي ندعي وجوده مرتبطاً : بالله ، وبرسوله ، وبالمعجزة التي جاء بها وهي القران ، حتى تتم به الحجة علينا 53

أمر نزول الملائكة ليس مختصاً بالأنبياء والمرسلين 54

ما بعد المقدمة :

الصيغ الواردة لهذا الدعاء : أي لدعاء الغيبة . 59

الفهم العام لهذا الدعاء : 63

المرحلة الأولى :

((اللهم عرفني نفسك .....)) 69

و أما أدنى المعرفة : 70

كيف ندعوا الله أن يعرّفنا نفسه ، وسؤالنا إيّاه يقتضي أننا نعرفه ؟ 71

الجواب الأول : جواب مقتضب وسريع . 71

الجواب الثاني : 71

المرحلة الثانية :

((.... فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك ....)) 73

وفيه بيان مختصر ، لأن الكتاب أنشأ لمعرفة بعض جوانب المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة :

معرفة الحجة :

تمهيد 75

و لهذه المرحلة عدة فصول :

الفصل الأول :

الفرق بين العلم والمعرفة 85

كلمة العلم : 85
كلمة المعرفة : 85
وأما من جهة الإستعمال : 86
و أما من جهة المعنى : 88
قالوا من أن الفرق يكمن في أن : 91
بعض الألفاظ التي لا يُمكن أن تُستعمل صفة لله تعالى ، ولماذا ؟! 93
وعوداً على بدءٍ نقول :
إذاً يمكن أن يكون ثمّة عدّة فوارق بين العلم والمعرفة : 97
علم المعرفة ، ومعرفة هذا العلم .
جرنا الكلام إلى المعرفة و أهلها من أهل العرفان 103
الفصل الثاني :
من عرف نفسه فقد عرف ربه : 105
معرفة هذا القول تفصيلاً لتعدد معناه ، التفسير الإيجابي لبعض علمائنا وما فيه .
وتبياناً للرد : 107
الفصل الثالث :
مقدمة لابد منها :
الخليفة أو المستخلَف : 111
بعض صفات الحجة عليه السلام التي علينا أن نعرفها ، و أن نؤمن بها ، مستخرجة من الروايات.
115
بيان خاص : الزيارة الجامعة :
بما ان الذي يريد أن يحيط به ، و بآبائه وأجداده صلوات الله عليهم
جميعاً ، صفاتاً وتعريفاً ، ربما تكون الزيارة الجامعة الكبيرة ، المروية عن الإمام عليٍّ الهادي

عليه السلام أحسنَ معرِّفٍ له ، لذا ارتأينا أن نخوض بها من حيث السند .
وهل لنا أن نقبلها حتى مع الخدشة في السند ؟
وبطبيعة الحال لم نتعرض لشرح متنها ، لأن الكتاب أنشأ لغير ذلك .
سندها ، و متنها : 119
الفصل الرابع : علامات الظهور :
القسم الأول :
نقول بدواً ، والله أعلم متى سيكون الختام 133
القسم الثاني :
أبعاد علامات الظهور : 137
القسم الثالث :
بقية لابد منها :
ولكن ما هي العلامات ؟ 141
القسم الرابع :
وهاك بعضها ، وما قالوا فيها : 143
القسم الخامس :
لنتعرف على بعض تلك الشخصيات المتاخمة للظهور : 153
الخراساني : 153
شعيب بن صالح : 153
من هم أهل المشرق ؟ 157
الشيصباني 157
ذو النفس الزكية 161

ونتعرض في الأثناء إلى مَن يخرج من الكوفة للإمام عليه السلام ، ويقاتله ، ومن عساهم أن يكونوا ؟
فمَن هم هؤلاء البترية 163
وَ من هو اليماني يا ترى ؟... 167
و أما السفياني : 173
ومن العلامات الصيحة : 173
والزوراء لها حديثها الخاص : 174
نار المشرق : 176
خاتمة الفصل :
إرشاد الشيخ المفيد و علاماته : 179
الفصل الخامس :
القسم الأول :
علـَّة الغيبة و أسبابها . 183
القسم الثاني :
أُطروحة : تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيئاً ليوم الظهور 199
نقد أطروحة تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيئاً ليوم الظهور 213
الخاتمة :
التوصيات : 225
المصادر والمراجع 235
الفهرست 245